بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهم يسّر وأعن

الحمد لله الواحد العدل ، وصلى الله على محمد نبيه خاتم الرسل ، وعلى آله الطيّبين ذوي الطهارة والفضل .

هذه ألفاظ تلقّطتها من أفواه الرجال ، وما دار بينهم في المجالس ، وأكثرها ممّا لا يكاد يتجاوز به الحفظ في الضمائر ، إلى التخليد في الدفاتر ، وأظنّها ما سبقت إلى كَتْبِ مِثْلِهِ ، ولا تخليد بطون الصحف بشيء من جنسه وشكله ، والعادة جارية في مثله ، أن يحفظ إذا سُمِع ليُذاكر به إذا جرى ما يشبهه ويقتضيه ، وعرض ما يوجبه ويستدعيه .

ولعلّ قارئها والناظر فيها أن يستضعفها إذا وجدها خارجة عن السَّنَنِ[1] المعروفة في الأخبار ، والطريق المألوف في الحكايات والآثار ، الراتبة[2] في الكتب ، المتداولة بين أهل الأدب ، ولا سيّما ما لم يعلم السبب الذي رَغّبني في كَتْبِها ، وهو أنّي اجتمعت قديماً مع مشايخ فضلاء ، علماء أدباء[3] ، قد عرفوا أحاديث المِلَلِ ، وأخبار الممالك والدول ، وحفظوا مناقب الأمم ومعايبهم ، وفضائلهم ومثالبهم ، وشاهدوا كل فنّ غريب ، ولون[4] طريف

---

١ السنن : الطريقة .
٢ في ط : الثابتة .
٣ في ط : اجتمعت قديماً مع طائفة من الأدباء .
٤ في ط : نوع .

عجيب ، من أخبار الملوك والخلفاء ، والكتّاب والوزراء ، والسادة والأمراء ، والرؤساء والفضلاء ، والمحصّلين والعقلاء ، والأجواد والبخلاء ، وذوي الكِبْر والخُيَلاء[1] ، والأشراف والظرفاء[2] ، والمخرّفين والجلساء[3] ، والمحادثين والندماء ، والأذكياء والفهماء ، والأسخياء والكرماء ، والسفهاء والحلماء ، والفلاسفة والحكماء[4] ، والمتكلّمين والعلماء[5] ، والمحدّثين والفقهاء[6] ، وأهل الآراء والأهواء[7] ، والمتأدبين والأدباء ، والمترسّلين والفصحاء ، والرُّجَّاز والخطباء ، والعَرُوضيّين والشعراء ، والنسّابين والرواة ، والحفّاظ والدراة[8] ، واللّغويين والنحاة ، والشهود والقضاة[9] ، والأمناء والولاة[10] ، والمتصرّفين والكفاة ، والفرسان والأمجاد ، والشجعان والأنجاد ، والجند والقوّاد ،

---

١ في ط : والفضلاء . والخيلاء : العجب والكبر . والكبر : العظمة والتجبر .

٢ الظرف : الكياسة وحسن الهيئة والذكاء والبراعة .

٣ المخرّف : المتحدث في الخرافات والمؤلف فيها .

٤ الحكمة : معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، وقد أصبحت كلمة (الحكمة) مرادفة لكلمة (الفلسفة) . انظر دائرة المعارف الإسلامية ٨ / ١٤) .

٥ علم الكلام : علم يبحث عن ذات الله وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد (التعريفات)

٦ المحدث : راوي حديث النبي صلوت الله عليه . والفقيه : العالم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية (التعريفات) .

٧ أهل الآراء : على ما أورده الخوارزمي في مفاتيح العلوم (ص ١٨) سبعة : المعتزلة ، والخوارج ، وأصحاب الحديث ، والمجبرة ، والمشبهة ، والمرجئة ، والشيعة ، وأما أهل الأهواء : فهم أصحاب البدع من الذين زاغوا عن الطريقة المثلى .

٨ الرواية والدراية : يشتمل عليهما علم الحديث الذي تعرف به أقوال النبي صلوات الله عليه وأفعاله وأحواله وهما علم الرواية وعلم الدراية ، فالأول يبحث عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول الأعظم والثاني يبحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث ، وعلماء الأول هم الرواة ، وعلماء الثاني هم الدراة . (كشف الظنون) .

٩ الشهود : الأشخاص الذين تثبت عدالتهم عند القاضي ، فيقبل شهاداتهم ويحكم بموجبها .

١٠ الأمين : لغة ، الثقة المعتمد في حفظ ما يودع إليه ، والمقصود به هنا ، الشخص الذي يختاره القاضي وينيط به حفظ أموال القاصر ، أو حفظ أي مال أو متاع يودع إليه أمر حفظه .

وأصحاب القنص والاصطياد ، والجواسيس والمتخبّرين[1] ، والسعاة والغمّازين[2] ، والورّاقين[3] والمعلّمين ، والحسّاب والمحرّرين[4] ، والعُمّال وأصحاب الدواوين[5] ، والتنّاء[6] والمزارعين ، وأرباب الخراج والأرضين ، والأكَرَة[7] والفلاّحين ، والمتكلمين على الطُرُقِ[8] ، [وأصحاب الحادور والحَلَق][9] ، والواعظين والقُصّاص[10] ، وذوي التَّنَمُّس والإخلاص[11] ، وأهل الصوامع والخلوات ، والسيّاح في الجبال والفَلَوات ، والنسّاك والصالحين ، والأبدال والمتفرّدين[12] ،

---

١ المتخبر : الأجير الذي يتسمع الأخبار وينقلها للسلطة .

٢ الغماز : الذي يغمز على الناس ويخبر السلطان بما لديهم من أموال وما ارتكبوه من مخالفات ، والساعي : الواشي .

٣ الوراقة : العلم بالكتب واستنساخها وتجليدها وبيعها .

٤ في ط : المحرزين .

٥ العامل : الوالي والحاكم ، وصاحب الديوان : الرئيس في ديوان العمل

٦ التناء : مفردها تانىء ، وهو المزارع (آرامية) قاله الأب انستاس مارى الكرملي .

٧ الأكرة (بفتحتين) : جمع أكار بالفتح وتشديد الكاف ، وهو الزارع ، قاله أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي م ٢ ص ١٠

٨ المتكلم على الطرق : هو ما نسميه اليوم في بغداد بفتاح الفال ، ويتخذ فتاح الفال ، من زاوية نظيفة هادئة في الطريق ، مقراً له وتشتمل أداة صناعته على كتاب صغير للفأل ، وشيء من الرمل والزار ومرآة صغيرة وقدح ، وخرقة خضراء نظيفة ، وقليل من الحصى ودفتر صغير وقلم من الرصاص ، ويعتمد بالدرجة الأولى على ذلاقة لسانه ، وعلى فراسته في المقبل عليه .

٩ لا توجد هذه الفقرة في ط ، وفي ب (الهادور) والصحيح ما اثبتناه ، وأصحاب الحادور والحلق هم من مدعي الطب الذين يداوون بالحادور وهو المسهل والحلق وهو دواء يقطع الصفراء (ابن البيطار ٢/٢٧) .

١٠ الواعظ : الذي يذكر الناس وينهاهم عن ارتكاب المعاصي ، والقاص : الخطيب الذي يروي القصص على المنبر .

١١ المنمس : المدلس ، والمخلص : المتخلص في قوله وفعله من الغش .

١٢ الأبدال مفردها بدل : أحد طبقات الأولياء في النظام الصوفي (راجع أبدال في دائرة المعارف الإسلامية) والتفريد : وقوفك بالحق معك (اصطلاحات الصوفية) .

والمريدين والمُخْبِتين [1] ، والعُبّاد والمُتَبَتِّلين [2] ، والزهّاد والمتوحّشين [3] ، والصوفيّة [4] والمتواجدين [5] ، والأئمّة والمؤذّنين ، والقرّاء والملحّنين ، [٢ ب] والرُّجّحاء والمبرّزين ، وأهل النقص والمقصّرين ، [والأغنياء والمملقين] [6] والأغبياء والمتخلّفين ، والفطناء والمتقدّمين ، والشطّار والمتّقين [7] ، وأصحاب العصبيّة والسكاكين [8] ، وقطّاع الطّريق والمتلصّصين ، والجيران والمتغرّبين ، وأهل الخسارة والعيّارين [9] ، ولعّاب النرد والشطرنجيّين [10] ، والملاح والمتطايبين [11] ،

---

١ المريد : هو المتجرد عن إرادته الذي دخل في جملة المتواصلين إلى الله بالاسم ، والمخبت إلى الله : المتخشع إليه .

٢ العبادة : فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه . والتبتل : الانقطاع عن الدنيا إلى الله (تعريفات) .

٣ الزهد : ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة . والتوحش : الانفراد بقصد الخلوة والابتعاد عن الناس رغبة في محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا أحد سواه .

٤ الصوفية : فئة من المتعبدين ، والصوفي : (عند الصوفية) من كان فانياً بنفسه ، باقياً بالله ، مستخلصاً من الطبائع ، متصلا بحقيقة الحقائق . (راجع بحث التصوف في دائرة المعارف الإسلامية ٥/٢٦٥) .

٥ التواجد : عند الصوفية ، استدعاء الوجد تكلفاً ، بضرب اختيار ، ويقصد به تحصيل الوجد . (التعريفات) .

٦ هذه الفقرة زيدت من ط ، والمملق : من أنفق ماله حتى افتقر .

٧ المتقي : من احترز بطاعة الله عن عقوبته ، والشاطر : هو الذي يتصرف على هواه ولا يتقيد بأحكام الدين ولا يلتزم الوقار .

٨ أصحاب العصبية والسكاكين : العصبية : أن يدعو الرجل لنصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين ، وأهل العصبية إنما يظهرون عند ضعف السلطة وهم يحملون السكاكين ويهاجمون بها خصومهم ، وهم الطبقة المسماة عندنا في بغداد بالأشقياء .

٩ أهل الخسارة والعيارين : الخاسر : الذي يتصرف بسفه ، وقد لقب سلم الخاسر بهذا اللقب لأنه باع مصحفاً واشترى طنبوراً ، والعيار : الشخص الذي لا يهتم بأمور عيشه ، وإنما يعيش كيفما اتفق ، لا يتقيد بالدين ولا بالمتعارف بين الناس وهو أشبه بمن يسمون اليوم بالهيبيين .

١٠ النرد : لعبة فارسية الأصل ، تعرف في بغداد اليوم بالطاولي ، وفي لبنان : طاولة الزهر ، والشطرنج لعبة مشهورة هندية الأصل ، اسمها فارسي (شت رنك) .

١١ الملاح جميع مليح وهو الظريف ، والظريف الشديد الملاحة يقال له : الملاح بضم الميم وتشديد=

[والمسامرين والمضاحكين][1] وأصحاب النادرة والمضحكين ، والمُورّثين والمبذّرين[2] ، والطفيليّة والمتطرّحين[3] ، والأكلة والمواكلين ، والشرّاب [٢ ط] والمعاقرين ، والمغنّيات والمغنّين ، والرقّاصين والمخنّثين[4] ، وأصحاب الستائر[5] والمقيّنين[6] ، والمتقاينين[7] والمستمعين[8] ، وأهل الهزل والمتخالعين ، والمجّان والمجانين[9] ، والبُلْهُ والمُغَفَّلين ، والمُفَكّرين والمُوَسْوِسين[10] ، وأهل المُذهب والسوداويّين[11] ، والمشعبذين والمحتالين[12] ،

....

= اللام ، والمتطايب : الفكه الخفيف الروح .

١ زيادة من ط .

٢ المبذر : من بذر المال وأسرف فيه . والمورث : بفتح الراء : هو ما يسمى اليوم بالوارث .

٣ الطفيلي : الذي يهجم على الوليمة دون أن يدعى إليها ، والمتطرح : الذي يطرح نفسه على المجتمعين.

٤ الخنث : اللين والتكسر والتشبه بالنساء ، والمخنثون : طائفة من الرجال تتزيا بزي النساء وتتكسب بالفجور والقيادة .

٥ أصحاب الستائر : المراد بالستائر مجالس الغناء التي للقينات ، قاله أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي م ٢/ حـ ١٠

٦ في ب (المقيسين) والتصحيح من ط ، والمقين : الذي يتخذ قياناً للكسب من غنائهن ، قاله أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي م ٢ حـ/١٠ .

٧ المتقاين : المستهتر بمصاحبة القيان والانفاق عليهن ، قاله أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي م ٢/حـ ١٠ .

٨ في ط : المستجمعين .

٩ المجنون : من لا يستقيم كلامه وفعله ، والماجن : الفاسق الذي لا يبالي بما يقول ويفعل ، وتكون أفعاله على نهج أفعال الفساق (التعريفات) .

١٠ الموسوس : من أصيب في عقله فتكلم بغير نظام .

١١ المذهب : الوسوسة في الماء والإكثار منه في الوضوء ، والسوداء : مرض الماليخوليا وهو فساد الفكر في حزن .

١٢ المشعبذ والمشعوذ سواء في الوزن والمعنى ، والشعوذة : خفة في اليد ، وأعمال كالسحر تري العين الشيء بغير ما هو عليه . والاحتيال : التصرف باستعمال الحيلة ،

والملحدة والمتنبّين [1] ، والأطبّاء والمنجّمين [2] ، والكحّالين والفصّادين [3] ، والأساة والمجبّرين [4] ، ومعالجي الجرائح والقمائحيّين [5] ، وأصحاب الزجر [6] ، والزرّاقين [7] ، وأهل القُرعَة [8] والمقالين [9] ، والطوّاف بالسهام [10] والمفسّرين [11] ، والشحّاذين والمجتدين [12] ، والمجدودين والمحدودين [13] ، والسعاة

---

١ الملحد : الكافر والمتنبيء : مدعي النبوة .

٢ الطب : علم تقويم الأبدان ، والتنجيم : علم دلالات الكواكب على ما سيحدث في المستقبل (إحصاء العلوم للفارابي / ٤٣) .

٣ الكحال : طبيب العيون ، والفصاد : الذي يفصد العرق بأن يشقه بمبضع ويستخرج منه الدم .

٤ في الاصل الأسية ، والصحيح ما أثبتناه ، الآسي : الطبيب وجمعه أساة ، أما الآسية فهو الدواء . والمجبر : جابر العظام المكسورة .

٥ القمائحيون : صانعوا قمائح الدواء والمعالجون بها (قاله أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي م/٢ حـ١٠) .

٦ أصحاب الزجر : الذين يتنبأون ويتحدثون عن المستقبل بزجر الطائر .

٧ الزراق : المنجم الذي يقعد على الطريق وينظر في النجوم (قاله أحمد تيمور) .

٨ أهل القرعة : الذين يمخرقون بالقرعة المنسوبة للامام جعفر الصادق وغيرها (قاله أحمد تيمور) .

٩ في ط : المتقابلين . قال أحمد تيمور (مجلة المجمع العلمي العربي م ٢ حـ ١٠) أن كلمة المقالين محرفة عن (الفثالين) نسبة للفأل ، وأقول : ربما كانت محرفة عن (المفايلين) ، والمفايل : الذي يأخذ كفاً من التراب فيبسطه على الأرض ، ثم يشقه بكفه ، ويقلب بعضه على بعض ، ثم يتحدث عما يراه ، وإلى ذلك أشار طرفة بن العبد ، حيث قال في وصف السفينة :

يشق حباب الماء حيزومها بها ... كما قسم الترب المفايل باليد

أما إذا اعتبر ما ورد في ط : (المتقابلين) أساساً ، فلعل الاشارة فيه إلى نوع من الفأل ، وهو أن يتقابل إثنان ، يتبادلان الحديث ، فيتفاءل السامع بما يسمع ، ويستنبط من حديثهما ما يريد استنباطه .

١٠ الطواف بالسهام : هم أهل القرعة (قاله أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي م ٢/حـ ١٠) .

١١ المفسرون : المعبرون الذين يفسرون الأحلام ، وتعبير الرؤيا : علم يتعرف منه المناسبة بين التخيلات النفسية والأمور الغيبية (كشف الظنون ١/٤١٦) .

١٢ الشحاذ : المتسول أو المستعطي ، وهو المكدي (وهذه الكلمة لم تزل مستعملة في العراق إلا أن كافها يلفظ جيماً مصرياً) ، والمجتدي : طالب الجدوى وهو الشحاذ .

١٣ المجدود : المحظوظ المرزوق ، والمحدود : المحروم .

والمسافرين[1] والمشاة والمتغرّبين ، والسبّاح والغوّاصين ،[والبانانية والملاّحين][2] ، وسلاّك البحار والمفازات[3] ، وأهل المهن والصناعات ، والمياسير والفقراء ، والتجّار والأغنياء ، والفواضل من النساء ، وحرايرهنّ والإماء ، وخواصّ الأحجار والحيوانات ، وغريب الأدوية والعلاجات ، والرقي[4] والنيرنجيّات[5] ، والأحاديث المفردات ، وشاذّ الاتفاقات ، وطريف المنامات ، وشريف الحكايات ، وغير ذلك من ضروب أحاديث أهل الخير والشرّ ، والنفع والضرّ ، وسكّان المدر والوبر[6] ، والبدو والحضر ، شرقاً وغرباً ، وبُعْداً وقُرْباً ،

وكان القوم الذين استكثرت منهم ، وأخذت ذلك عنهم ، يحكونه في أثناء[7] مذاكراتهم ، وفي عرض مجاراتهم ، وبعد انقضاء مُلَحِهِم[8] وآدابِهم ،

---

١ الساعي : الفيج الذي يسير على قدميه وينقل البريد وما خف حمله ، قال التنوخي : إن معز الدولة كان يشجع السباحة والصراع ، واحتاج إلى السعاة ليجعلهم فيوجاً بينه وبين أخيه ركن الدولة في الريّ ، فأعطى على جودة السعي الرغائب ، واشتهر له ركابيان يسعى كل واحد منهما نيفاً وثلاثين فرسخاً في اليوم من طلوع الشمس إلى غروبها (المنتظم ٦ / ٣٤٠) . راجع العداؤون والسعاة في العصور الإسلامية، لكوركيس عواد (المقتطف ١٠٣/٦٦ للسنة ٤٣)

٢ البانانية والملاحين : هذه الجملة انفردت بها ط ، ووردت بلفظ البابانية والصحيح ما أثبتناه ، والبانانية كلمة هندية يستعملها بحارة المحيط الهندي وتعني خدم المركب (انظر كتاب المنظمات البحرية الإسلامية في شرق البحر الأبيض المتوسط تأليف علي محمد فهمي ، بالإنكليزية طبع القاهرة ط ٢ /٦٦) .

٣ المفازة : الأرض المهلكة، والفلاة التي لا ماء فيها ، سميت مفازة من باب تسمية الشيء بضده.

٤ الرقية : وجمعها رقي : أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق القوى الطبيعية .

٥ في ب : الانبجات ، والتصحيح من ط. والنيرنجيات: أخذ تشبه السحر وليست بحقيقته (الألفاظ الفارسية المعربة / ١٥٥) .

٦ المدر : الطين ، وسكان المدر يعني أهل المدن ، والوبر : صوف الإبل ، وأهل الوبر يعني البدو .

٧ في ط : ابتداء .

٨ الملح جمع ملحة : الحديث المستملح اللذيذ .

والخوف من مللٍ يلحق السامعين لعلومهم وحكمهم ، نفياً للمساكنة ، واجتراراً للمثافنة[1] ، وصلة للمجالسة ، وفتحاً للمؤانسة ، وسبراً[2] لأحاديث الدنيا ماضيها وباقيها ، وتواصفاً لسير أهلها وما جرى فيها ، وتمثيلاً بين ما شاهدوه منها ، وسمعوه عنها ، [وعابوه من فعلها][3] وعانوه من تقلّبها ، وقاسوه من تصرّفها ، وأخبروا به من عجائبها ، ويوردون كل فنّ من تلك الفنون على حسب ما تقتضيه المحادثة ، وتبتغيه المفاوضة ، فأحفظ عنهم ذلك في الحال وأتمثّل به وأستفيده في أحوال .

فلمّا تطاولت السنون ، ومات [أكثر أولئك][3] المشيخة الذين كانوا مادّة هذا الفنّ ، ولم يبقَ من نظرائهم إلاّ اليسير الذي إن مات ولم يحفظ عنه ما يحكيه ، مات بموته ما يرويه ، وَوَجَدْتُ أخلاق ملوكنا [٣ ب] ورؤسائنا لا تأتي من الفضل ، بمثل ما تحتوي عليه تلك الأخبار من النّبل ، فيستغنى بما يشاهَدُ من نظيره ، عن حفظ ما سلَفَ وتَحْبيرِه ، بل هي مضادّة لما تدلّ عليه تلك الحكايات من أخلاق المتقدّمين وضرائبهم ، وطبائعهم ومذاهبهم ، حتى إنّ من بقي من هؤلاء الشيوخ إذا ذَكَرَ ما يحفظه من هذا الجنس بحضرة أرباب الدولة ، ورؤساء الوقت ، خاصّة ما كان منه متعلّقاً بالكرم ، ودالاً على حسن الشيم ، ومتضمّناً ذكر وفور النعم ، وكبر الهمم ، وسعة الأنفس ، وغضارة الزمان[4] ، ومكارم الأخلاق ، كذّبوا به ودفعوه ، وحصّلوه في أقسام الباطل واستبعدوه ، ضعفاً عن إتيان مثله ، واستعظاماً منهم لصغير ما وصلوا إليه ، بالإضافة إلى كبير

١ المثافنة : المجالسة والمحاورة .

٢ في ب و ط : سيراً ، والصحيح ما اثبتناه ، والسبر : التجربة والاختبار .

٣ الزيادة من ط .

٤ الغضارة : النعمة وطيب العيش .

ما احتوى أولئك عليه ، وقصوراً عن [٣ ط] أن تنتج خواطرهم أمثال تلك الفضائل والخصال ، وأن تتسع صدورهم لفعل ما يقارب تلك المكارم والأفعال هذا مع أن في زمانهم هذا من العلماء المحتسبين[١] في التعليم، [والحكماء][٢] والأدباء المنتصبين، للتأديب والتفهيم ، وأهل الفضل والبراعة ، في كلّ علم وأدب ، وجدّ وهزل وصناعة ، من يتقدّم بجودة الخاطر ، وحسن الباطن والظاهر ، وشدّة الحذق فيما يتعاطاه ، والتبريز فيما يعانيه ويتولاّه ، كثيراً ممن تقدّمه في الزمان ، وسبقه بالمولد في ذلك الأوان ، ويقتصر منهم على الأكرام دون الأموال ، وقضاء الحاجات دون المغارم والأثقال ، فما يرفعون به رأساً ، ولا ينظرون إليه الاّ اختلاساً ، لفساد هذا العصر ، وتباعد حكمه من ذلك الدهر ، وإنّ موجبات الطبائع فيه متغيّرة متنقّلة ، والسنن دارسة متبدّلة، والرغبة في التعلّم معدومة ، والهمم باطلة مفقودة ، والاشتغال من العامّة بالمعاش قاطع ، ومن الرؤساء بلذّاتهم البهيميّة مانع[٣] ، فنحن حاصلون فيما روي من الخبَرِ إنّ الزمان لا يزداد إلاّ صعوبةً ، ولا الناسُ إلاّ شدّةً ، ولا تقوم الساعة إلاّ على شرارِ الخلقِ ، وما أحسَنَ ما أنشدني أبو الطيّب المتنبّي لنفسه من قصيدة ، في وصف صورتنا :

أتى الزّمانَ بَنُوهُ في شبيبتهِ ... فسرّهم وأتيناه على الهَرَمِ[٤]

---

١ في ط : المحسنين .

٢ الزيادة من ط .

٣ في ب : قانع .

٤ وجدت الناسخ في ب قد أقحم فقرة بعد بيت المتنبي ، وصيرها في جملة المقدمة ، ولم أجد تلك الفقرة في ط ، ومع ثقتي بأنها من تدوين المؤلف ، إلا أني وجدتها أجدر بأن تدون في الحاشية ، فأثبتها ، وهذه هي الفقرة :

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخي، المعروف=

واتّفَقَ أيضاً ، أنّني حضرتُ المجالسَ بمدينة السلام ، في سنة ستين وثلاثمائة ، بعد غيبتي عنها [٤ ب] سنين ، فوجدتها مختلّة ممّن كانت به عامرة ، وبمذاكراته آهلة ناضرة ، ولَقيتُ بقايا من نظراء أولئك الأشياخ ، وجرت المذاكرة ، فوجدت ما كان في حفظي من تلك الحكايات قديماً قد قلّ ، وما يجري من الأفواه في معناها قد اختلّ ، حتى صار من يحكي كثيراً ممّا سمعناه يخلطه بما يحيله ويفسده ، ورأيت كلّ حكاية ممّا أنسيته لو كان باقياً في حفظي لصلح لفنّ من المذاكرة ، ونوع من نشوار المحاضرة[1] فأثبتُّ ما بقي على ما كنت أحفظه قديماً ، واعتقدتُ إثبات كلّ ما أسمعه من هذا الجنس ، وتلميعه بما يحثّ على قراءته من شعر لمتأخّر من المُحْدَثينَ ، أو مُجيدٍ من الكتّاب والمتأدّبين ، أو كلام منثور لرجل من أهل العصر ، أو رسالة أو كتاب بديع المعنى أو حسن النظم والنثر[2] ، ممّن لم يكن في الأيدي شِعْرُهُ ولا نَثْرُهُ ، ولا تكرّر نَسْخُ ديوانه ، ولا تردَّدتْ معاني إحسانه ، وما فيه من مَثَلٍ طريّ ، أو حكمة جديدة ، أو نادرة حديثة ، أو فائدة قريبة المولد ، لِيُعْلَمَ أنّ الزمان قد بقّى من القرائح والألباب ، في ضروب العلوم

= والده بأبي بكر الأزرق الأنباري ، قال : قال أبي : يا بني ، إذا كان يوم القيامة أصعب الأيام ، فكل ما قرب منه من الأيام ، ودخل في أشراطه كان أصعب » .

١ وجدت الناسخ في ط ، قد أقحم النبذة التالية، ضمن المقدمة ، بعد قوله (نشوار المحاضرة) ولم ترد في ب ، ولست أشك في كونها من إضافة المؤلف ، غير أنه أراد أن يشرح فيها كلمة النشوار ، وكيفية ضبطها ، فهي بأن تكون حاشية ، أولى من أن تقحم في صلب المقدمة ، ولذلك فقد أوردتها في الحاشية ، وهذه هي النبذة :

« رأيت بخط القاضي أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي : النشوار : « ما يظهر من كلام حسن . يقال : إن لفلان نشواراً حسناً أي كلام حسن . والعامة تقول : « نسوار . ورأيته قد شكل تحت النون شكلة ، وهو حجة في رواية اللغة » .

٢ في ط : أو البيتين .

والآداب ، أكثر ممّا كان قديماً أو مثْلَهُ ، ولكن تقبّلَ أرباب تلك الدول
[٤ ط] للأدب أظهره ونشره[1] ، وزُهْدُ هؤلاء الآن في هذا الأدب غمَرَهُ
وسَتَرَه ، ولهذه الحال ما انطمَسَت المحاسنُ في هذه الدول ، وردّت أخبار
هؤلاء الملوك ، وخلَتِ التواريخ من عجائب ما يجري في هذا الوقت ، لأنّ ذوي
الفضل لا يُفْنونَ أعمارهم بتشييد مفاخر غيرهم ، وإنفاق نتائج خواطرهم ،
مع بُعْدِهِم عن الفائدة ، وخلوّهم من العائدة ، وأكثر الملوك وذوي
الأحوال ، والرؤساء وأرباب الأموال ، لا يجودون عليهم فيجيد هؤلاء لهم
نَسْجَ الأشعار والخطب ، وحَوْكَ الوسائل والكتب التي تبقى فيها المآثر ،
ما أقام الدهر الغابر ، فقد بَخل هؤلاء ، وغَفلَ هؤلاء ، ورَضِيَ كلّ
واحد من الفريقين بالتقصير فيما يجده ، والنقص فيما يعتمده ، وإلاّ فقد
خرج في أعمارنا وما قاربها من السنين ، من مكنون أسرار العلم ، وظهر من
دقيق الخواطر والفهم ، ما لعلّه كان مُعتاصاً[2] على الماضين ، ومُمتَنِعاً على
كثير من المتقدمين ، وجرت في هذه المدّة من الحوادث الكبار ، والوقائع
العظام [والانقلابات العجيبة][3] ، والاتّفاقاتِ الغريبة ، والحِيَل الدقيقة ،
والأمور المحكمة الوثيقة ، التي لا يوجد مثلها سالفاً . في أضعاف هذه السنين
مضاعفاً ، ما لو قيّد بتأليف الكتب ، وحُفِظَ بتصنيف الأشعار فيه والخطب ،
أو خلّد على شرحه في تواريخ السنين والحِقَب ، لأوفى على ما سَلَف ،
وتقدّم في علوّ الرتب .

وقد أثبتُّ من هذا أيضاً طرفاً طفيفاً ، ونبذاً موجزاً [٥ ب] خفيفاً ،
لئلاّ تخرج هذه الأخبار عن سبيلها ، ولا تخلو مع ذلك من فنون لا توجد

---

١ في ط : وسيره .

٢ اعتاص الأمر : اشتد وامتنع والتاث .

٣ الزيادة من ب .

إلاّ فيها ، وليستفيد منها العاقل اللبيب ، والفطن الأريب ، إذا طرقت سمعه ، وخالطت فهمه ، من آداب النفس ، ولطافة الذهن والحسّ ، ما يغنيه عن مباشرة الأحوال ، وتلقّي مثله من أفواه الرجال ، ويحثّه على العلم[1] بالمعاش والمعاد ، والمعرفة بعواقب الصلاح والفساد ، وما تفضي إليه أواخر الأمور ، ويساس به كافة الجمهور ، ويجنّبه من المكاره حتى لا يتوغل في أمثالها ، ولا يتورّط بنظائـرها وأشكالها ، ولا يحتاج معها إلى إنفاد[2] عمره في التجارب ، وانتظار ما تكشفه له السنون من العواقب .

فأوردت ما كتبته ممّا كان في حفظي سالفاً ، مختلطاً بما سمعته آنفاً ، من غير أن أجعله أبواباً مبوّبة ، ولا أصنّفه أنواعاً مرتّبة ، لأن فيها أخباراً تصلح أن يذاكر بكلّ واحد منها في عدّة معاني[3] وأكثرها ما لو شغلت نفسي فيه ، بالنظم والتأليف ، والتصنيف والترتيب ، لبرد واستُثْقِـل ، وكان إذا وقف قارئه على خبرٍ من أوّل كلّ بابٍ فيه ، علم أن مِثْلَهُ باقيه ، فقلّ لقراءة جميعه ارتياحُهُ ونشاطُهُ ، وضاق فيه توسّعه وانبساطُهُ ، ولكان ذلك أيضاً يفسد ما في أثنائه من الفصول والأشعار ، والرسائل والأمثال ، والفصول التي إن رتّبت على الأبواب وجب أن توصل بما تقدّم من أشباهها ، وتردّد في الكتب من أمثالها ، فينتقض ما شرطناه ، ويبطل [٥ ط] ما ذكرناه ، من أنّ هذه الأخبار جنسٌ لم يسبق إلى كَتْبِـه[4] ، وأنا إنّما تلقّطتها من الأفواه دون الأوراق ، ويخرج بذلك عن القصد والمراد ، والغرض

---

١ في ب : ويحنكه في العلم .

٢ أنفد : أفنى .

٣ في ب : مكان .

٤ يعني لم يسبق إلى كتابته ، يقال : كتب كتباً وكتاباً وكتبة وكتابة : يعني صور اللفظ بحروف المعجم .

المطلوب في الاستقامة والسداد ، إذ ليست الفائدة فيها التنويع ، ولا المغزى التأليف ، بل لعلّ كثيراً ممّا فيها لا نظير له ولا شكل ، وهو وحده جنس وأصل ، واختلاطها أطيب في الآذان وأدخَل ، وأخفّ على القلوب والأذهان وأوصل .

وعلى أنّي وإن كنتُ أتجنّب بجهدي أن أثبت فيها شيئاً قد كتب قبلي ، أو تنبّه على الفائدة في إثباته سواي ، إلاّ الشعر فإنّه غير داخل في هذا الأمر ، فإنّي في الأوّل ربما كتبت شيئاً أعلم أنّه موجودٌ في الدفاتر عقيب شيء يوجبه ويدعو إليه ، ولأجل فائدة تحبّبه وتحضّ عليه[1] ، واعتماداً لترصيع هذه الأخبار ، بما يحبّبها إلى أكثر طلاّب الآثار ، وقد جعلت كلّ واحد من أجزائها ، وهو مائة ورقة ، واحدة[2] قائماً بنفسه ، مستغنياً عن الباقي من جنسه ، لا يخلّ بفائدة لقارئه دون غيره [٦ ب] ، ولا يضطرّه إلى سواه مع حضوره ، وإن كان في غيره ضروب أخر من الفوائد لا تعلم إلاّ منه ، وصدّرت كلّ جزء برسالة تدلّ على جنس الأخبار الموردة في جميع الأجزاء ، والغرض منها ، والسبب الباعث على جمعها ، مختصرة لهذا الشرح الطويل ، وموجزة في جملة هذا الكلام الكثير ، وأوردت في كلّ خبر ما اتّفق إيراده مختلطاً بما ربّما كان في الأجزاء الأخر ما هو في معناه داخل ، ومن نوعه وفنّه حاصل ، وممّا ليس فيها أخ له على حسب ما سَنَحَ وتيسّر ، واتّفق ولم يتعذّر .

وأرجو أن لا يبور ما جمعته ، ولا يضيع ما تعبت فيه وكتبته ، وأثبتّه

---

١ في ط جملة لم أفهم معناها ، ولم أستطع ردها إلى أصلها ، ولم ترد في (ب) وهي : (وتحض علينا ولاته على الروائيين والحكايين والاعتبار بما يصح به إقرار الحس) .

٢ كذا في ب و ط ولعل الصحيح (واحداً) .

من ذلك وصنعته ، فلو لم يكن فيه ، إلاّ أنّه خير من أن يكون موضعه بياضاً ، لكانت فائدة إن شاء الله تعالى .

وإيّاه أسأل التوفيق في المقال ، والتسديد في جميع الأفعال ، والعصمة من الزلل ، والحفظ من الخطإ والوهل[1] ، إنّه بذلك وليّ ، وبالمرجوّ فيه منه مليّ ، وهو حسبي ، وإليه في كلّ أمر مرجعي ، وعليه توكّلي ، ولا حول لي ولا قوّة إلاّ به ، إنّه نعم المولى والوكيل .

---

١ في ط : الوهن .

١

لماذا لا يكذبون على الوزير أعزّه الله

حدّثني أبو العبّاس هبة الله بن محمد بن يوسف ، المعروف بابن المنجّم النديم ، وهو أحد بني يحيى بن أبي منصور المنجّم[1] ، صاحب المأمون ، ومحلّ أهلهِ وسلَفهِ وبيته في منادمة الخلفاء والوزراء والأمراء مشهور ، وموضعهم من الكلام والنجوم والعلم والأدب وقول الشعر وتصنيف الكتب في أنواع ذلك معروف ، ومكانهم من المنزلة في خدمة السلطان وعظم النعمة والحال متعالم ، ومحلّ أبي العبّاس في نفسه أشهر من أن يجهل في العلم والأدب وقول الشعر والمعرفة بالجدل والفقه ، وغير ذلك مما يقوم به ، وقد نادَمَ أبا محمد المهلّبي[2] رحمه الله ، واختصّ به ونَفَقَ عليه [٦ ط] سنين كثيرة ، ومَن بَعْدَه من الوزراء ، وغيرهم من الرؤساء ، وهو أحد بقايا [رجال][3] أهل بيته ، قال :

---

١ سمي أبو منصور بالمنجم ، لأنه كان منجم الخليفة المنصور العباسي ، وكان مجوسياً ، وكان ولده يحيى متصلا بالفضل بن سهل ، ثم اتصل بالمأمون ، وأسلم على يده ، وكان ابنه علي ابن يحيى نديماً للمتوكل ومن خواصه والمتقدمين عنده ، وكان راوية حاذقاً في صنعة الغناء وله مؤلفات في الشعر وكتاب في الطبيخ ، عاش إلى أن خدم المعتمد على الله وتوفي سنة ٢٧٥ ، وكان ولداه هارون ويحيى مشتهرين بالفضل والأدب . (راجع معجم الأدباء ٥/٤٤٠ و ٤٥٩ و٧/٢٣٤ و ٢٨٧) .

٢ المهلبي : أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي ، وزر لمعز الدولة في السنة ٣٣٩ هـ . واشتهر بالكفاية ، والأمانة ، والمعرفة بمصالح الدولة ، وحسن السيرة ، وقد أزال كثيراً من المظالم ، وقرّب أهل العلم والأدب ، وكان كريماً فاضلا ، ذا عقل ومروءة ، ومات بموته الكرم ، دامت وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وتوفي في سنة ٣٥٢ . (الكامل لابن الأثير ٨/٤٤٩ – ٥٤٦) .

٣ الزيادة من ط .

كنت بحضرة أبي مخلّد عبد الله بن يحيى الطبريّ صاحب معز الدولة[1] فجرى ذكر الكرم والكرام، والجود والأجواد، وما كانت البرامكة وغيرها تأتيه من الأفضال على الناس، فأخذ أبو مخلد يدفع هذا ويبطله، حتى قال: هذه حيَلٌ نصبها الشحّاذون على دراهم الناس، لا أصل لها.

فقلت له: أيها الشيخ إن قلت ذلك، فقد قال صاعد[2] مثله، فأُجيب.

فقال: ما قال؟

فقلت له: حُكِيَ له جود البرامكة، فقال: هذا من موضوعات الورّاقين وكذبهم، وكان أبو العيناء[3] حاضراً، فقال له: فَلِمَ لا يكذب على الوزير أعزّه الله [مثل هذا][4] وهو [حَيٌّ][4] يرجى ويخاف، وأولئك موتى مأيوس من خيرهم وشرّهم مثل هذا الكذب؟

قال: فخجل أبو مخلد.

---

١ أبو مخلد عبد الله بن يحيى الطبري صاحب معز الدولة: كان من رجال مرداويج، وصاحب دولته، ولما قتل مرداويج أصبح من أكابر رجال معز الدولة، وكان أثيراً عنده، يعتمده في جليل أموره. (راجع تجارب الأمم ١/٣١٦ و ٢/١٥٥).

٢ صاعد بن مخلد: كاتب الأمير الموفق الناصر لدين الله والد المعتضد، كان عظيم السطوة في الدولة، مستولياً على الأمير الموفق، سار سنة ٢٧٢ إلى فارس لقتال عمرو بن الليث الصفار فظفر به، فأمر الموفق جميع القواد أن يستقبلوه، فترجلوا له، وقبلوا يده، وهو لا يكلمهم تيهاً وكبراً، ثم قبض عليه الموفق وعلى جميع أهله وأصحابه، ونهب منازلهم (الكامل لابن الأثير ج ٧) ومات صاعد في الحبس سنة ٢٧٦ وكانت غلته السنوية من ضياعه ألف ألف وثلثمائة ألف دينار (مروج الذهب ٢/٤٨٠).

٣ أبو العيناء: محمد بن القاسم بن خلاد، أبو عبد الله الضرير، مولى أبي جعفر المنصور، ولد بالأهواز سنة ١٩١، ونشأ بالبصرة، وعمي وهو ابن أربعين سنة، وكان من أفصح الناس وأسرعهم جواباً، وأقام ببغداد طويلا، ثم ركب يريد البصرة في سفينة فيها ثمانون نفساً، فغرقت، فلم يسلم غيره، فلما وصل البصرة مات سنة ٢٨٢ (المنتظم ٥/١٥٦).

٤ الزيادة من ط.

٢

الوزير ابن الزيات يذكر البرامكة وهو في التنور

وفي معنى هذا [٧ ب] ما أذكره ، وإن كان موجوداً في الكتب ، ولكنّه على سبيل الاستعادة ، وهو حَسَن .

حدّثني أبو محمد يحيى بن محمد الأزديّ ، قال : بلغني أنّ ابن الزيّات [1] لمّا حَصَلَ [2] في التنّور قال له بعض خدمه : لهذا وشبهه كنّا نشير عليك بفعل الإحسان ، وتقليد رقاب الرجال بالامتنان ، واتّخاذ الصنائع في حال القدرة لتجازى بها الآن عند الحاجة .

فقال : لو كنت فعلت هذا ، ما حَصَلْتُ منه على طائل ، لما في نفوس الناس من ضَعْفِ الإخاء ، وكثرة الغدر ، وقلّة الوفاء ، وتراني كنت أفعل أكثر من أفعال البرامكة ؟ ما نفعهم لمّا حصلوا في مثل حالي من إسلام الزمان وجور السلطان ؟

فقال له الخادم : لو لم ينفعهم إلاّ ذكرك لهم في مثل هذه الحال التي أنت فيها لكان ذلك أكبر نفع .

---

١ الوزير محمد بن عبد الملك الزيات : استوزره المعتصم سنة ٢٢٠ . ومات المعتصم وهو وزيره ، وأبقاه الواثق وزيراً ، وفوّض إليه الأمور كلها ، فلما ولي المتوكل الخلافة ، وكان يحقد عليه أموراً ، قبض عليه وعذبه في تنور من الحديد ، كان ابن الزيات قد اتخذه لتعذيب من يريد تعذيبه ، وهو من خشب فيه مسامير من حديد ، أطرافها إلى داخل التنور ، وتمنع من يكون في داخله من الحركة ، وكان ضيقاً بحيث ان الإنسان كان يمد يديه إلى فوق رأسه ليقدر على دخوله لضيقه ، ولا يقدر من يكون فيه ان يجلس ، فبقي فيه أياماً ، ومات ، وكان ذلك في السنة ٢٣٣ . (الكامل لابن الأثير ٦/٤٥٤ – ٥٢٥ و ٧/٢٩ – ٤٣) .

٢ في ب : جعل .

٣

أبو الشبل يقارن في الكرم بين البرامكة

وبين عبيد الله بن يحيى بن خاقان

وحدّثني أبو الفرج عليّ بن الحسين [بن محمد المعروف][1] بالأصبهانيّ الكاتب[2] ، قال : حدّثني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا ابن مهرويه ، قال : حدّثني أبو الشبل عاصم بن وهب البرجميّ ، قال :

حضرت مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان[3] ، وكان إليّ محسناً ، وعليّ مفضلاً ، فجرى ذكر البرامكة[4] ، ووصْفُ الناس لهم بالجود ، وما قالوا

---

١ الزيادة من ط .

٢ أبو الفرج الأصبهاني : صاحب كتاب الأغاني ، هو علي بن الحسين ينتهي نسبه إلى مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية ، ذكره ياقوت في معجم الأدباء (٥/١٤٩) . فقال فيه : العلامة ، النسابة، الأخباري ، الحفظة، الجامع بين سعة الرواية ، والحذق في الدراية، ولد سنة ٢٨٤، وتوفي في السنة ٣٥٦ . أهدى أبو الفرج كتابه الأغاني إلى الأمير سيف الدولة الحمداني فأجازه عليه بألف دينار ، وقال أبو الفرج إنه جمع كتاب الأغاني في خمسين سنة .

٣ الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان : استكتبه المتوكل في السنة ٢٣٦ . وكان حسن الخط ، له معرفة بالحساب والاستيفاء ، كريماً ، حسن الأخلاق ، وفيه تعفف ، وقتل المتوكل وهو وزيره ، وفي زمن المعتمد ، ولي الوزارة على كره منه وتنصل ، وظل وزيراً للمعتمد حتى مات سنة ٢٦٣ ، وسبب وفاته أنه كان له خادم اسمه رشيق صدمه في الميدان (ميدان لعب الكرة) فسقط عن دابته وسال من منخره وأذنه دم ، فمات بعد ثلاث ساعات (الفخري ٢٣٨ و ٢٥١ والمنتظم ٥/٤٥) .

٤ البرامكة : آل خالد بن برمك ، جاء في الفخري : أن دولة آل برمك ، كانت غرة في جبهة الدهر ، وتاجاً على مفرق العصر ، فكان يحيى وبنوه ، كالنجوم زاهرة ، والبحار زاخرة ، والسيول دافقة، والغيوث ماطرة، أسواق الأدب عندهم نافقة ، ومراتب ذوي=

في كرمهم وجوائزهم ، فأكثروا .

فقمت في وسط المجلس ، وقلت : أيُّها الوزير ، قد حكمت في هذا الخطب حُكْماً نظمته في بَيْتَيْ شعْر ، لا يقدر أحد أن يردّه عليّ ، وإنّما جعلته شعراً ليبقى ويدور ، أفيأذن الوزير في إنشادهما ؟

فقال : قل ، فربَّ صوابٍ قلت[1] ، فقلتُ :

رأيت عبيد الله أندى أنامـلاً   وأكرم من فضل ويحيى وخالد[2]

ورواه لنا مرّة أُخرى فقال فيه :

[رأيت عبيد الله][3] أفضل سؤددا   وأكرم من فضل ويحيى وخالد[4]
أولئك جادوا والزمـان مساعد   وقد جاد ذا والدهر غير مساعد[5]

= الحرمات عندهم عالية ، والدنيا في أيامهم عامرة ، وأبهة المملكة ظاهرة ، وهم ملجأ اللهف ، ومعتصم الطريد ، وفيهم يقول أبو نؤاس :

سلام على الدنيا إذا مـا فقدتم   بني برمك من رائحين وغاد

أوقع الرشيد بالبرامكة في السنة ١٨٧ . (الفخري ١٩٧) .

١ في ب : قلته .
٢ في ب : وأكرم من فضل بن يحيى بن خالد .
٣ ما بين القوسين لا يوجد في ب ، والاضافة من الأغاني وط .
٤ في ب : وأكرم من فضل ويحيى وجده ، والتصحيح من ط .
٥ وردت القصة في كتاب الأغاني للأصبهاني (١٤/١٩٨ – ١٩٩) وأورد لها تتمة وهي : فتهلل وجه عبيد الله ، وظهر السرور فيه ، وقال : أفرطت أبا الشبل ، ولا كل هذا ، فقلت : والله ما حابيتك أيها الوزير ، ولا قلت إلا حقاً ، واتبعني القوم في وصفه وتقريظه ، فما خرجت من مجلسه إلا وعلي الخلع ، وتحتي دابة بسرجه ولجامه ، وبين يدي خمسة آلاف درهم .

٤

الحسن المنجم عامل معزّ الدولة

على الأهواز وحبّه للعمارة

حضرت مجلسَ الحسن بن عليّ بن زيد المنجّم ، غلام أبي نافع ، وهو إذ ذاك عامل معزّ الدولة رحمه الله على الأهواز وقطعة من كورها ، ومحلّه عنده كمحلّ [٧ ط] وزرائه ، وكان قد خدم أبي رحمه الله قديماً ، بعد مفارقته خدمة القاسم بن دينار عامل الأهواز [١] ، وتوكّل له في داره وضيعته ، وخَلَفَهُ على العيارِ في دار الضرب بسوق الأهواز ، ثمّ خلطه بخدمة أبي عبد الله البريديّ [٢] ، فعلَتْ منزلته [٣] ، ثم بلغت به الحال ما ذكرته ، فكنت

---

١ أبو العباس القاسم بن دينار عامل الأهواز : راجع (تجارب الأمم ١/١٧٥ و ١٨٦) .

٢ آل البريدي : إخوة ثلاثة ، كانوا أشد على العراق من ألد أعدائه ، وقد عاثوا فيه عيثاً شنيعاً . وأخربوا الأهواز وواسط والبصرة وبغداد بسوء معاملتهم وفساد جبايتهم ، واعتدائهم على الناس وتعذيبهم في سبيل الحصول على المال ، وزر أبو عبد الله للخليفة المتقي سنة ٣٢٩ ، ثم شغب عليه الجند ، ففر إلى واسط ، وفي سنة ٣٣٠ ، وزر مرة ثانية وأصعد إلى بغداد ، واستولى عليها ، ونهب أصحابه بغداد ، وكبسوا الدور ، وأخرجوا أهلها منها ، واستولوا عليها ، وفرضوا على الناس ضرائب فاحشة ، وأخذوا القوي بالضعيف ، وكبسوا منازل الناس ليلا ونهاراً ، وعسفوا أهل العراق ، وظلموهم ظلماً لم يسمع بمثله قط ، وفي السنة ٣٣٢ قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف ، فلم يعش من بعده إلا ثمانية أشهر ثم حم ومات . وأما الأخ الثالث أبو الحسين ، فقد قدم بغداد في السنة ٣٣٣ ، وحل ضيفاً على أبي جعفر بن شيرزاد كاتب توزون ، فأكرمه ، ولكن أبا الحسين سعى في أن يحل محل ابن شيرزاد ، وعلم هذا بسعي أبي الحسين ، فقبض عليه ، ثم أخرجت فتوى قديمة بإحلال دمه ، فقتل صبراً ، وصلب ، وأحرق ، ونهبت داره ، (تجارب الأمم ١/١١٠ – ٤١٢ و ٢/٢ – ١٢٧) .

٣ في ط : فعلت ميزانه .

إذا جئته ، وهو إذ ذاك على غاية الجلالة، وأنا في حد الأحداث ، اختصّني .

وكان يعجبه أن يقرّظ في وجهه ، فأفاض قوم في مدحه ، وذكر عمارته للوقوف ، والسقايات ، وإدراره الماء في ذنابة المسرقان [1] وتفريقه مال الصدقات على أهلها ، وذنّبت معهم في ذلك .

فقال لي هو : يا بنيّ ، أرباب هذه الدولة إذا حدّثوا عنّي بهذا وشبهه ، قالوا : المنجّم إنّما يفعل هذا رياءً ، وما أفعله إلاّ لله تعالى ، وإن كان رياءً فهو حسَنٌ أيضاً، فلِمَ لا يراؤون هم [٨ ب] بمثل هذا الرياء؟ ولكنّ الطباع خستّ [2] ، حتى في الحسد أيضاً ، كان الناسُ قديماً إذا حسدوا رجلاً على يَساره ، حرَصُوا على كسب المال حتى يصيروا مثْلَهُ ، وإذا حسدوه على علمه، تعلّموا حتى يضاهوه، وإذا حسدوه على جوده، بذلوا حتى يقال إنّهم أكرم منه ، وإذا . . . وعدّد أشياء كثيرة ، فالآن لما ضَعُفَتِ الطبائعُ ، وصَغُرَتِ النفوسُ ، وعجزوا أن يجعلوا أنفسهم مثل من حسدوه ، في المعنى الذي حسدوه عليه ، عدلوا إلى تنقّص المبرّز ، فإن كان فقيراً شنّعوا [3] على فقره ، وإن كان عالماً خطّأوه ، وإن كان جواداً قالوا هذا مُتاجرٌ بجوده وبخلوه ، وإن كان فعّالاً للخير ، قالوا هذا مُراءٍ .

---

١ المسرقان نهر بخوزستان عليه عدة قرى ومبدأه من تستر (معجم البلدان ٤/٥٢٧) . وذنابة الوادي : الموضع الذي ينتهي إليه مسيله، وهو ما يسمى الآن عند المزارعين في العراق (البزايز) ومفردها (بز) .

٢ في ط : خبثت .

٣ في ب وط : سعوا .

٥

الوزير حامد بن العباس يرى قشر باقلاء في دهليز داره

حدّثني القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشميّ [رحمه الله][١]، قال :

كان حامد بن العبّاس[٢] من أوسع من رأيناه نفساً ، وأحسنهم مروءة ، وأكثرهم نعمة ، وأشدّهم سخاءً ، وتفقّداً لمروءته .

وكان يَنْصِبُ في داره كلّ يوم عدّة موائد ، ولا يخرجُ من الدار أحَدٌ من الجلّة والعامّة والحاشِيَةِ وغيرهم إذا حضر الطعام ، أو يأكل ، حتى غلمان الناس ، فربما نَصَبَ في داره في يوم واحد أربعين مائدة .

وكان يُجْرِي على كل من يجرى عليه الخبز لحماً ، وكانت جراياته كلّها الحوّارى[٣] .

فدخل يوماً إلى دهليز داره[٤] ، فرأى فيها قِشْرَ باقلاة ، فأحضر وكيلَه ، وقال : ويلك يؤكل في داري الباقلا[٥] ؟

---

١ الزيادة من ط .

٢ حامد بن العباس : وزير المقتدر ، كان يتولى أعمال السواد ، وكان كريماً ، متجملا ، رئيساً في نفسه ، غزير المروءة ، سريع الطيش والحدة ، إلا أن كرمه كان يغطي على ذلك ، وزر للمقتدر سنة ٣٠٦ ولما بانت قلة خبرته ضم إليه علي بن عيسى ليدبره ، ثم عزله المقتدر وأعاد الوزير ابن الفرات ، وسلم إليه حامد فقتله سراً (الفخري ٢٦٨)

٣ الخبز الحوارى : الذي يصنع من الدقيق الأبيض الخالي من النخالة .

٤ في ب : دهليزه .

٥ الباقلا : بدون همزة ، تعبير بغدادي .

قال : هذا من فعل البوّابين .

قال : أوَلَيْست لهم جرايات لحم ؟

قال : بلى .

قال : فسلهم عن السبب ، فسألهم ، فقالوا : لا نتهنّأ بأكل اللحم دون عيالنا ، فنحن نُنْفِذُهُ إليهم لنأكله معهم ليلاً ، ونجوع بالغدوات فنأكل الباقلاّ ، فأمر حامد أن يجرى عليهم جراية لعيالاتهم ، تحمل إلى منازلهم ، وأن يأكلوا جراياتهم في الدهليز ، ففعل ذلك .

فلمّا كان بعد أيّام ، رأى قشر باقلاّة في الدهليز أيضاً ، فاستشاط ، وكان حديداً ، سفيه اللسان ، فشتم وكيله ، وقال : ألم أضعف الجرايات ، فَلِمَ في دهليزي قشور الباقلاّ ؟

فقال : إنّ الجرايات لمّا تضاعفت [٨ ط] ، جعلوا الأوّلة[1] لعيالاتهم في كلّ يوم ، وصاروا يجمعون الثانية عند القصّاب ، فإذا خرجوا من النوبة ومضوا نهاراً إلى منازلهم ، في نوبة[2] استراحاتهم فيها ، أخذوا ذلك مجتمعاً من القصّاب فتوسّعوا به .

فقال : فلتكن الجرايات بحالها ، ولتتّخذ[3] مائدة في كلّ يوم ، تنصب غدوة قبل نصب موائدنا ، يطعم عليها هؤلاء ، ووالله ، لئن وجدت بعدها في دهليزي قشر باقلاّة ، لأضربنّك وجميعهم بالمقارع .

ففعل ذلك ، وكان ما زاد من نفقة الأموال ، أمراً عظيماً .

---

١ الأوّلة : لغة بغدادية في (الأولى) .

٢ في ط : يوم .

٣ في ب وط : وليتخذ .

٦

الوزير حامد بن العباس يخبيء

أربعمائة ألف دينار في بئر مستراح

حدّثني القاضي أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحارث[١] [٩ ب] ابن عيّاش[٢] الجوهريّ البغداديّ ، وأبو الحسن بن المأمون الهاشميّ :

أنّه وُجِدَ لحامد في نكبته التي قُتِلَ فيها، في بئر لمستراح له، أربعمائة ألف دينار عيناً ، دلّ عليها لمّا اشتدّت به المطالبة .

وأخبرني غيرهما : أنّ حامداً كان عمل حجرة ، وجعل فيها مستراحاً ، وكان يتقدّم إلى وكيله أن يبتاع له الدنانير ، ويجيء بها ، فكلّما حصل له كيسٌ ، أخذَهُ تحت ثيابه ، وقام كأنّه يبول ، فدخل ذلك المستراح ، فألقى الكيس في البئر ، وخرج من غير أن يصبّ فيها ماء ولا يبول ، ويوهم الفرّاش أنّه فعل ذلك ، فإذا خرج أقفل المستراح ، ولم يدخله غيره ، على رسم مستراحات السراة التي يختصّونها ، وإذا أراد الدخول ، فتحه له الخادم الموسوم بالوضوء ، وذلك الخادم أيضاً لا يعلم السرّ في ذلك ، فلمّا تكامل ذلك المال ، قال : هذا المستراح ضيّق البناء ، قبيح ، فسدّوه لأغيّره ، فسدّ البئر ، وعُطِّل المستراح ، فحصل[٣] ذلك المال مصوناً في الموضع ، لا يَعْرِف خَبَرَه غيره .

فلما اشتدّت به المطالبة ، دلّ عليه ، فأخرج وما ذهب منه شيء ، ولا عُرِفَ خَبَرُهُ إلاّ مِنْ جهته .

---

١ في ط : الحسن .

٢ في ب : عباس ، والتصحيح من ط .

٣ في ب : فجعل .

٧

مصادرة التاجر ابن الجصاص

في زمن المقتدر زادت على ستّة ملايين دينار

وحدّثني أبو الحسين بن عيّاش : أنّه سمع جماعة من ثقات الكتّاب يقولون : إنّهم حصّلوا ما ارتفعت به مصادرة أبي عبد الله بن الجصّاص[١] في أيّام المقتدر ، فكانت ستّة آلاف ألف دينار ، سوى ما قبض من داره ، وبعد الذي بقي له من ظاهره .

---

١ في السنة ٢٩٦ اجتمع القواد والقضاة والكتاب مع الوزير العباس بن الحسن ، على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز ، وراسلو ابن المعتز في ذلك ، فأجابهم على أن لا يكون فيه سفك دم ، ولا حرب ، فأخبروه باجتماعهم عليه ، وأنه ليس له منازع ولا محارب ، ثم إن الوزير بدا له في ذلك ، فوثب به الآخرون فقتلوه ، وخلع المقتدر ، وبايع الناس لابن المعتز ، ولقب بالمرتضى بالله ، واستوزر محمد بن داود الجراح ، وقلد علي بن عيسى الدواوين ، وكتب بذلك إلى البلاد، ووجه إلى المقتدر يأمره بالانتقال إلى دار ابن طاهر التي كان مقيماً فيها ، لينتقل هو إلى دار الخلافة، فأجاب بالسمع والطاعة، واستمهل إلى الليل ، ثم أجمع رأي القواد الذين صبروا مع المقتدر على أن يقاتلوا ابن المعتز ، وصعدوا إليه وهو بالمخرم ، فهرب أتباع ابن المعتز ، وهرب هو والتجأ إلى دار أبي عبد الله بن الجصاص الجوهري ، فاستتر عنده ، ثم إن خادماً لابن الجصاص ، أخبر بأن ابن المعتز عند سيده ، فكبست دار ابن الجصاص ، وأخذ ابن المعتز منها ، وحبس إلى الليل ، ثم قتل ، وصودر ابن الجصاص على مال كثير . (الكامل لابن الأثير ٨ / ١٤) .

٨

ابن الجصاص التاجر

يبقى له من بعد المصادرة مليون دينار

سَمِعْتُ الأميرَ أبا محمد ، جعفر بن ورقاء ، بن محمد بن ورقاء الشيبانيّ [١] ، يحدّث في سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، قال :

اجتزت بابن الجصّاص ، بعد إطلاقه إلى داره من المصادرة بأيّام ، وكانت بيننا مودّة ومصاهرة ، فرأيته على روشن داره ، على دجلة ، في وقت حار ، من يوم شديد الحرّ ، وهو حافٍ حاسر ، يعدو من أوّل الروشن إلى آخره ، [كالمجنون] [٢] .

فطرحت طيّاري [٣] إليه ، وصعدت بغير إذن ، فلما رآني استحيا ، وعدا إلى مجلس له .

فقلت له : ويحك ما لك ، ما الذي قد أصابك ؟ .

---

١ أبو محمد جعفر بن محمد بن ورقاء الشيباني : أمير من أمراء الدولة ، من بيت إمرة وتقدم وأدب ، ولد بسامراء سنة ٢٩٢ وتوفي سنة ٣٥٢ ، وتقلد عدة ولايات ، وكان المقتدر يجريه مجرى بني حمدان ، وكان شاعراً ، كاتباً ، جيد البديهة (الأعلام٢ / ١٢٣) ، (راجع القصة ١ / ٣٤ من النشوار) .

٢ الزيادة من ط .

٣ الطيار : نوع من السفن ، يدل اسمه على أنه سريع الجريان ، قال جحظة البرمكي يعاتب وزيراً :

قل للوزير أدام الله دولتــه ... اذكر منادمتي والخبز خشكار

إذ ليس بالباب برذون لدولتكم ... ولا غلام ولا في الشط طيار

راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي م ٢ ج ١١ . وكذلك تجارب الأمم ١ / ٢٦٨ .

فدعا بطست وماء ، فغسل وجهه ورجليه ، ووقع ساعة كالمغشيّ عليه ، ثم قال : أولا يحقّ لي أن يذهب عقلي ، وقد خرج من يدي كذا ، وأخِذَ منّي كذا ، وجعل يعدّد أمراً عظيماً ممّا خرج منه ، فمتى أطمع في خلفه ، ولِمَ لا يذهب عقلي أسفاً عليه ؟ [٩ ط]

فقلت له : يا هذا إنّ نهايات الأموال غير مدركة ، وإنّما يجب أن تعلم أنّ النفوس لا عِوَضَ لها ، والعقول والأديان ، فما سلم لك ذلك ، فالفَضْلُ معك ، وإنّما يقلق هذا القلق ، من يَخافُ الفقر ، والحاجةُ إلى الناس ، أو فقد العادة في مأكول ومشروب وملبوس ، وما جرى مجرى ذلك ، أو النقصان في جاهٍ ، فاصبر ، حتى أواقِفَكَ[1] أنّه ليس ببغداد اليوم ، بعد ما خرج منك ، أيسر منك من أصحاب [١٠ ب] الطيالس .

فقال : هات .

فقلت : أليسَ دارك هذه ، هي التي كانت قبل مصادرتك ، ولك فيها مِنَ الفَرْشِ والأثاث ما فيه جمال لك ، وإن لم تكن في ذلك الكبر المفرط ؟

فقال : بلى

فقلت : وقد بقي لك عقارك بالكرخ ، وقيمته خمسون ألف دينار .

فقال : بلى .

[فقلت : ودار الحرير وقيمتها عشرة آلاف دينار .

قال : بلى][2] .

فقلت : وعقارك بباب الطاق ، وقيمته ثلاثون ألف دينار .

---

١ في ب وط : أوافقكَ .

٢ الزيادة من ط .

فقال : بلى .

فقلت : وبستانك الفلانيّ ، وضيعتك الفلانيَّة ، وقيمتهما كذا وكذا .

فقال : بلى .

فقلت : وما لك بالبصرة وقيمته مائة ألف دينار .

فقال : بلى .

فجعلت أعدّد عليه ، من عقاراته ، وضياعه ، إلى أن بَلَغَتِ القيمةُ سبعمائة ألف دينار .

فقلت : وأصدقني عمّاً سلم لك من الجوهر والأثاث والقماش والطيب والجواري والعبيد والدوابّ ، وعن قيمة ذلك ، وقيمة دارك ؟

فأخذ يصدقني ، ويقوّم ، وأحصي ، إلى أن بلغت القيمة لذلك ، ثلثمائة ألف دينار .

فقلت له : يا هذا ، مَنْ ببغداد اليوم مَنْ يحتوي ملكه على ألف ألف دينار ؟ وجاهُك عند الناس الجاه الأوّل ، وهم يظنّون أنّ الذي بقي لك ضِعْفُ هذا [1] ، فلِمَ تغتمّ ؟

قال : فسجد لله ، وحَمَدَهُ ، وبكى ، ثم قال : والله ، لقد غَلَبَ الفِكْرُ عليّ حتى نسيت جميع هذا أنّه لي ، وقلّ في عيني ، لإضافتي إيّاهُ إلى ما أُخِذَ منّي ، ولو لم تجئني الساعة ، لزاد الفِكْرُ عليّ حتى يبطل عقلي ، ولكنّ الله تعالى أنقذني بك ، وما عزّاني أحد ، بأنفع من تعزيتك ، وما أكلت منذ ثلاث شيئاً ، فأحبّ أن تقيمَ عندي ، لنأكل ونَتَحدّث ونتفرّج .

فقلت : أفْعَلُ ، فأقمت يومي عنده وأكلنا ، وتحدّثنا بقيَّة يومنا .

---

[1] في ط : أضعاف هذا .

٩

حكاية تدل على دهاء التاجر

أبي عبد الله بن الجصّاص

وكنت أنا ، اجتمعت ببغداد ، في سنة [نيّف و] [١] خمسين وثلثمائة ، مع أبي عليّ بن أبي عبد الله بن الجصّاص [٢]، فرأيت شيخاً طيّباً ، حَسَنَ المحاضرة ، فسألته عن الحكايات التي تنسب إلى أبيه ، مثل قوله خلف إمام قد قرأ ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالّين ﴾ ، فقال : إي لَعَمْرِي، بدلاً من آمين [٣] .

ومثل قوله للخاقانيّ الوزير : أسهرني البارحة صوت كلابٍ في الحارة [٤] على بابي ، كلّ كلبٍ مثلي ومثل الوزير .

وقوله له ، وأراد تقبيل رأسه ، فقال : إنّ فيه دهناً فلا تفعل ، فقال : لو كان في رأس الوزير خرا لقبّلته [٥] .

ومثل قوله : قمت البارحة في الظلمة إلى الخلاء فما زلت اتلحّظ المقعدة حتّى وقعت [١٠ ط] عليها [٦] .

---

١ الزيادة من ط : والنيف من واحدة إلى ثلاث ، والبضع من أربع إلى تسع (لسان العرب).

٢ أبو عبد الله بن الجصاص : الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهري، كان ذا ثروة عظيمة ، وفي النشوار قصص تتحدث عن كيفية إثرائه ، وعن ذكائه ، وعن مدى غناه ، وكان ابن الجصاص يحكي حكايات ينسب من أجلها إلى التغفيل ، ولكنه كان يتطابع بها ويقصد أن يظنوا فيه سلامة الصدر ، توفي ابن الجصاص سنة ٣١٥ . وللاطلاع على أخباره انظر القصص المرقمات ١ / ٧ و ٨ و ١٠ و ١١ و ٢ / ١٦٤ و ١٦٥ من النشوار .

٣ كتاب المفوات ١٤٧ .

٤ في ط : بالجزيرة .

٥ كتاب المفوات ١٤٧ .

٦ كتاب المفوات ١٤٨ .

ومثل قوله وقد وَصَفَ مصحفاً بالعتق ، فقال : هو كسرويّ[1] ، وأمثال هذا على كثرته عنه ، وتواتر الرواية له .

فقال لي : أمّا أمر المقعدة ، وإي لعمري ، وما كان من هذا الجنس، فكذب ، وما كانت فيه سلامة[2] تخرجه [١١ ب] إلى هذا ، وما كان إلاّ من أدهى الناس وأخبثهم[3] ، ولكنّه كان يطلق بحضرة الوزراء قريباً ممّا حكي عنه ، بسلاسة طبع[4] كانت فيه ، ولأنّه كان يحبّ أن يصوّر نفسه عندهم بصورة الأبلَه ، ليأمنه الوزراء ، لكثرة خلواته بالخلفاء ، فيسلم عليهم ، وأنا أحدّثك عنه بحديث حدّثنا به ، لتعلم معه إنّه كان في غاية الحزم ، وإنّ فاعله لا يجوز عليه مثل ما حُكيَ عنه .

فقلت : أحبّ أن تفعل .

قال : حدّثنا أبي قال : إنّ أبا الحسن بن الفرات[5] ، لما وَلي بَعض

---

١ كتاب الهفوات ١٤٨ .

٢ السلامة : يقصد بها الغفلة .

٣ في ط : أعنتهم .

٤ في ط : لسلامة طبع .

٥ أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات : بنو الفرات أصلهم من أعمال دجيل ، وهم من أجل الناس فضلا وكرماً ونبلا ، ووفاء ، ومروءة ، وكان أبو الحسن علي بن الفرات من أجل الناس وأعظمهم كرماً وجوداً ، وزر للمقتدر أول مرة لما وقعت له الفتنة ، وخلع ، وبويع ابن المعتز ، ثم استظهر المقتدر واستقرت الخلافة له ، وولي ابن الفرات الوزارة ثلاث دفعات للمقتدر ، وكان إذا ولي الوزارة يغلو الشمع والثلج والكاغد ، لكثرة استعماله لها ، لأنه ما كان يشرب أحد كائناً من كان في داره ، في الفصول الثلاثة ، إلا الماء المثلوج ، وما كان أحد يخرج من عنده بعد المغرب إلا وبين يديه شمعة كبيرة نقية ، صغيراً كان أو كبيراً ، وكان في داره حجرة معروفة « بحجرة الكاغد » ، كل من دخل واحتاج إلى شيء من الكاغد أخذ حاجته منها . وقد وزر أول مرة ، في السنة ٢٩٦ ، وثاني مرة سنة ٣٠٤ ، ووزر للمرة الثالثة في السنة ٣١١ ، فأطلق يد ولده المحسن في =

وزاراته قصدني قصداً قبيحاً ، لشيء كان في نفسه عليّ ، فأنفذ العمّال إلى ضياعي ، وأمر بنقض معاملاتي ، وبَسَطَ لسانه بثلبي وتنقّصي في مجالسه ، وأدام الغضّ منّي إذا دخلت إليه .

فوسّطت بيني وبينه جماعة ، وبذلت له أشياء توجب صلاح ما بيننا ، فما نجعت ، وأقام على قصدي ، وأنا محتمل ، طامع في رجوعه[1] .

فدخلت يوماً داره ، فسمعت حاجبه يقول وقد ولّيت عنه : أيّ بيت مالٍ يمشي على وجه الأرض ؟ ألفا ألف دينار تمشي وليس لها من يأخذها ؟

فعلمت أنّ هذا من كلام صاحبه ، وأنّي منكوب ، وكان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف ألف دينار ، عَيْناً وجوهراً ، سوى غيرهما ممّا يحتوي عليه ملكي .

فضاقت عليّ الدنيا ، وسَهرتُ ليلتي بأسرها أفكّر في أمري معه ، فوقع لي الرأي في الثُلثِ الأخير ، فركبت في الحال إلى داره ، فوَجَدْتُ الأبواب مغلقةً ، فَطَرَقتُها .

فقال البوّابون : من هذا ؟

فقلت : ابن الجصّاص .

فقالوا : ليس هذا وَقْتُ وُصُولٍ ، والوزير نائم .

فقلت : عرّفوا الحجّاب أنّي حضرت لمهمّ ، فعرّفوهم ، فخرج إليّ أحدهم ، فقال : إنّه إلى ساعة ينتبه ، فتجلس وتنتظر .

فقلت : الأمر أهمّ من ذلك ، فأنبِهْهُ وعرّفْهُ عنّي هذا .

= الناس ، فآذاهم وعذبهم ، فتألبوا عليه ، وأفسدوا رأي المقتدر ، فقبض عليه وعلى ولده في السنة ٣١٢ وقتلهما صبراً . (الكامل لابن الأثير ٨/ ١٤٩ ، الفخري ٢٦٥) .

١ في ط : وأنا أتحمل كل ذلك طمعاً في رجوعه لي .

فدَخَلَ ، فأبطأ ساعة ، ثم خرج ، فأدخلني من دارٍ إلى أخرى ، حتى انتهيت إلى مرقده ، وهو على سرير وحواليه نحو خمسين فراشاً لغلمان له ، كأنّهم حفظة ، وقد قاموا ، وبعض الفرش تنقل ، وهو جالس في فراشه ، مرتاعاً، قد ظنّ أنّ حادثة حدثت ، أو أنّي جئته برسالة الخليفة ، وهو متوقّع لما أورده .

فرَفَعَني ، وقال : ما الذي جاء بك في هذا الوقت ؟

فقلت : خَيْرٌ ، ما حدثت حادثة ، ولا معي رسالة ، وما جئت إلاّ في أمر يخصّ الوزير ويخصّني ، لَمْ تصلح مفاوضته فيه إلاّ على خلوةٍ شديدةٍ .

فَسَكَنَ ، ثم قال لمن حَوْلَهُ : انصرفوا ، فمضوا .

وقال : هات .

فقلت : أيّها الوزير إنّك قد قصدتني أقبح قصد ، وشرعت في هلاكي ، وإزالة نعمتي ، وفي إزالتها خروج نفسي ، وليس من النعمة والنفس عِوَض ، ولعمري انّي قد أسأت في خدمتك، وقد كان في بعض هذا التقويم بلاغ [١٢ ب] عندي، وقد جهدت في استصلاحك بكلّ ما قدرت عليه ، ووسّطت [١١ ط] بيني وبينك فلاناً ، وبذلت كذا ، وقلت[1] كذا ، فأبيت إلاّ الإقامة على أذاي ، وليس شيء أضعف من السنّور ، وإذا عاثت في دكّان بقّال ، فظَفرَ بها ، ولزّها إلى الزاوية ليخنقها ، وثَبَتْ عليه ، فخدشت وجهه وبدنه ، ومزّقت ثيابه ، وطلبت الحياة بكلّ ما يمكنها ، وقد وجدت نفسي معك في مثل هذه الصورة ، ولست أضعف بطشاً من السنّور ، وقد جعلت هذا الكلام عذراً بيننا ، فإن نزلت تحت حكمي في الصلح ، وإلاّ فعليّ وعليّ ، وحلفت له بأيمانٍ غليظةٍ ، لأقصدنّ الخليفةَ الساعةَ ،

---

١ في ب : وقبلت .

ولأحوّلنّ إليه من خزانتي ألفي ألف دينار عَيْناً وَوَرِقاً[1] ، ولا أصبح إلاّ وهي عنده ، وأنت تعلم قدرتي عليها ، وأقول له : خذ هذا المال ، وسلّم ابن الفرات إلى فلان ، واستوزره ، وأذكرُ له أقرب من يقع في نفسي أنّه يجيب إلى تقليده ، ممّن له وجه مقبول ، ولسان عذب، وخطّ حسن ، [ومخرقة حادّة][2] ، ولا أعتمد إلاّ بعض كتّابك ، فإنّه لا يفرّق بينك وبينهم إذا رأى المال حاضراً ، فيسلمك في الحال لهم ، ويراني المتقلّد بعين من أخذَهُ وهو صغير ، فجعله وزيراً ، وغَرِمَ عنه هذا المال الكثير ، ويعتقد أنّي ربّه ، وَوَلِيُّ نعمته ، فيخدمني ، ويتدبّر بتدبيري ، في جميع أمره ، فأسلمك إليه ، فيفرغ عليك العذاب ، حتى يأخذ منك الألفي ألف دينار بأسرها ، وأنت تعلم أنّ حالك تفي بها ، ولكنّك تفتقر بعدها ، ويرجع إليّ المال ، ولا يذهب عليّ منه دانقٌ ، وأكون قد أهلكت عدوّي ، وشفَيْتُ غيظي، واسترجعت مالي ، وصُنْتُ نعمتي ، وازداد محلّي عظماً بصرف وزير ، وتقليد وزير .

فلمّا سمع هذا أسْقِطَ في يده[3] ، وقال : يا عدوّ الله أوتستحلّ هذا ؟

فقلت : لست عدوّ الله ، بل عدوّ الله من استحلّ منّي ما أحوجني إلى الفكر في مثل هذا ، ولِمَ لا أستحلّ مكروه من يريد هلاكي وزوالَ نعمتي ؟

فقال : أو أيش ؟ .

قلت : أو أن تحلف الساعة بما أستحلفك به من الأيمان المغلظة ، أنّك تكون لي لا عليّ ، في صغير أمري وكبيره ، ولا تنقض لي رسماً ، ولا تغيّر

---

١ العين : الذهب أي الدنانير ، والورق (بكسر الراء) الفضة أي الدراهم .

٢ الزيادة من (ب) .

٣ أسقط في يده : تحير .

معاملة ، ولا تضع منّي ، وتزيد في رفعتي ، وذكري بالجميل ، ولا تبغي لي الغوائل ، ولا تدسّس عليّ المكاره ، ولا تشرع لي في سوء ولا نكبة أبداً ، ظاهراً ولا باطناً ، وتفعل . . . وتفعل . . . ، فاشترطت عليه الأمن من كلّ ما كنت أخافه منه .

فقال : وتحلف أنت أيضاً بمثل هذه اليمين على جميل النيّة ، وحسن الطاعة ، والمؤازرة .

فقلت : أفعل .

فقال : لعنك الله فما أنت إلاّ إبليس ، سحرتني والله .

واستدعى دواة ، وعملنا [١٣ ب] نسخة اليمين ، فأحلفته بها أوّلاً ، ثم حلفت له .

فلما أرَدْتُ القيامَ ، قال : يا أبا عبد الله لقد عظُمْتَ في نفسي وخفّفت ثقلاً عنّي ، فوالله ما كان المقتدرُ[1] يفرّق بيني مع كفايتي وغَنائي وموقعي ، وبين أخَسّ كتّابي — كما ذكرت — مع المال الحاضر ، فليكن ما جرى مطويّاً .

فقلتُ : سبحان الله .

---

١ المقتدر : أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله ولد سنة ٢٨٢ ، وفي أيامه اضمحلت الدولة العباسية وصغرت ، فتسمى أمير الأندلس عبد الرحمن الناصر بأمير المؤمنين ولقب بالناصر لدين الله ، وقد خلع المقتدر مرتين وأعيد ، وطالت خلافته خمساً وعشرين سنة ، وعاش ثمانياً وثلاثين سنة،وقتل في المعركة ، قتله رجال مؤنس في السنة ٣٢٠ ، وكان مؤثراً للعب والشهوات غير ناهض بأعباء الخلافة ، وكانت أمه وخالته والقهرمانة يدخلن في الأمور الكبار والحل والعقد ، وكان عظيم الإسراف حتى قيل إنه ضيع من الذهب ثمانين ألف ألف دينار وكان في داره عشرة آلاف خصي من الصقالبة . (شذرات الذهب ٢ / ٢٨٤) .

فقال : وإذا كان غداً ، فَصِرْ إلى المجلس [العاميّ][1] لترى ما أعاملك به .

فنَهَضْتُ ، فقال : يا غلمان ، بأسركم بين يدي أبي عبد الله ، فخرج بين يديّ مائتا غلام ، فعدت إلى داري وما طلع الفجر ، فاسترحت [١٢ ط] .

وجئته في وقت المجلس ، فرفعني فوق جميع من كان بحضرته ، وقرّظني التقريظ التام ، وعاملني بما علِمَ منه الحاضرون ، رُجُوعَهُ لي ، وأمر بإنشاء الكتب إلى عمّال النواحي ، بإعزاز وكلائي ، وصِيانَةِ أسبابي وضياعي وتَقدّم إلى كتّاب الدواوين بإخراج كل ما كانوا أدخلوه إليها من تغيير رسومي ، والزيادة عليّ ، وأن أجرى على الرسوم القديمة .

فشكرته ، وقمت ، فقال : يا غلمان بين يديه ، فخرج الحجّاب يجرّون سيوفهم بين يديّ ، والناس يشاهدون ذلك ، ويعجبون منه ، وقد رجع جاهي ، ولم يعلم أحد سبب صلاح ما بيننا ، فما حدّثت بذلك إلاّ بعد القبض عليه .

ثم قال لي أبو عليّ ابنه : فهل كان هذا فعلُ ورأي من يليق به ما حكي من تلك الحكايات عنه ؟

فقلت لا .

---

[1] الزيادة من ب ، والمجلس العامي هو المجلس العام .

١٠

حكاية تدل على ذكاء التاجر

أبي عبد الله بن الجصّاص

حدّثني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن بكر بن داسة ، قال : حدّثني بعض شيوخنا قال :

كنّا بحضرة أبي عُمَر القاضي [١] ، فجرى ذكر ابن الجصّاص وغَفْلته ، فقال أبو عمر : معاذ الله ما هو كذلك، ولقد كنت عنده منذ أيّام مُسَلّماً ، وفي صَحْنِه سرادق [٢] مضروب ، فجلسنا بالقرب منه نتحدّث ، فإذا بصرير نَعْل من خَلْفِ السرادق فصاح : يا غلام جئني بمن مشت خلف السرادق الساعة ، فأخرجت إليه جارية سوداء .

فقال : ما كنت تعملين هاهنا ؟

قالت : جئت إلى الخادم أعرّفه أنّي قد فرغت من الطبيخ ، وأستأذن في تقديمه . فقال : انصرفي لشأنك .

فعلمت أنّه أراد أن يعرّفني أنّ ذلك الوطء وطء سوداء مبتذلة ، وأنّها ليست من حرمه ولا ممّن يصونه ، فيزيل عنّي أن أظنّ به مثل ذلك في حرمه ، فكيف يكون هذا مغفّلاً ؟

---

١ أبو عمر القاضي : محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي ، ولد بالبصرة سنة ٢٤٣ وكان ثقة ، فاضلا ، غزير العقل والحلم والذكاء، ويضرب المثل بعقله وسداده وحلمه ، فيقال في العاقل الرشيد : كأنه أبو عمر القاضي ، وفي الحليم : لو أني أبو عمر ما صبرت ، ولي قضاء مدينة المنصور والأعمال المتصلة بها في السنة ٢٦٤ وجلس في جامع المدينة ثم استخلفه أبوه على القضاء بالجانب الشرقي إلى سنة ٢٩٢ ثم صرف عن القضاء سنة ٢٩٧ وفي السنة ٣١٧ قلد قضاء القضاة ، وتوفي في السنة ٣٢٠ (المنتظم ٦ / ٢٤٦) .

٢ السرادق : الخيمة ، أو الفسطاط الذي يمد في صحن البيت .

١١

مروءة التاجر ابن الجصاص

واتّساع حاله

حدّثني أبو العبّاس هبة الله بن المنجّم ، أنّ جدّه حدّثه :

أنّه لما قبض المقتدر على ابن الجصّاص ، أنْفَذَ إلى داره من يحصي ما فيها ويَحْمِلُهُ .

فقال لي الذي كتب الإحصاء : إنّا وجدنا له في جملة قماشه سبعمائة مزمّلة[١] خيازر[٢] ، فما ظنّك بمروءة وقماش يكون هذا في جملته ؟

---

١ المزملة : عند البغداديين جرة أو خابية خضراء في وسطها ثقب مركب فيه قصبة فضة أو رصاص يشرب منها (راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي م ٢ ج ١١) .
أقول : وكلمة المزملة لم تزل شائعة في بغداد ، وقد حرفت فأصبحت (مزملة) وتطلق على قصبة الحديد أو الرصاص التي ينصب منها الماء .

٢ الخيازر : جمع خيزران (راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي م ٢ ج ١١)

١٢

ثلاثون جاماً في تركة يأنس الموفقي

ثمنها ثلاثة ملايين دينار

كنتُ بحضرة الوزير أبي محمّد الحسن بن محمّد بن هارون المهلّبي[١] رحمه الله ببغداد وقد دخل إليه أبو إسحق القراريطي[٢] بعد وروده [١٤ ب] من مصر ، وأبو القاسم الجهني[٣] حاضر .

---

١ الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ١ من النشوار .

٢ القراريطي : أبو إسحق محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسكافي ، وزير من الكتاب ، كان كاتب محمد بن رائق واستوزره المتقي تسعة وثلاثين يوماً ثم عزل وصودر على مائتي ألف دينار ، ووزر بعد ذلك أربعين يوماً ، ووزر في الثالثة ثمانية أشهر ونصف شهر ، ثم اعتقل ، وأطلق ، فاستكتبه سيف الدولة، ثم قبض عليه في السنة ٣٣٥ وعاد إلى بغداد . وكان ظالماً ، ولد سنة ٢٨١ وتوفي سنة ٣٥٧ (الأعلام ٦ / ٢٠١) .

٣ أبو القاسم الجهني القاضي : قال عنه ياقوت في معجم الأدباء (٥ / ١٦٣) : أظنه من أهل البصرة ، وتقلد الحسبة بها ، ومنها عرف أبا محمد المهلبي ، وصحبه ، ويشتمل على آداب يتميز بها ، إلا أنه كان فاحش الكذب ، يورد من الحكايات ، ما لا يعلق بقبول ، ولا يدخل في معقول ، وكان أبو محمد قد ألف ذلك منه ، وسلك معه مسلك الاحتمال ، وكنا لا نخلو عند حديثه من التعجب والاستطراف والاستبعاد ، وكان ذلك لا يزيده إلا إغراقاً في قوله، وتمادياً في فعله، فلما كان في بعض الأيام جرى حديث النعنع، وإلى أي حد يطول ، فقال الجهني : في البلد الفلاني يتشجر حتى يعمل من خشبه السلالم ، فاغتاظ أبو الفرج الأصبهاني (صاحب الأغاني) من ذاك ، وقال : نعم ، عجائب الدنيا كثيرة ، ولا يدفع مثل هذا ، وليس بمستبدع، وعندي ما هو أعجب من هذا وأغرب، وهو زوج حمام راعبي، يبيض في نيف وعشرين يوماً بيضتين ، فأنتزعهما من تحته ، وأضع مكانهما صنجة مائة وصنجة خمسين،فاذا انتهت مدة الحضان، تفقست الصنجتان عن طست وإبريق،أو سطل وكرنيب،فعمنا الضحك ، وفطن الجهني لما قصده أبو الفرج من الطنز به ، وانقبض عن كثير مما =

فقال له : يا سيّدي تسل أبا إسحق عن الحكاية التي كنت حكيتها لك في أمر الجامات البجاذيّ[1] ؟ فإنّي كنت ذكرت لك أنّه كان حاضراً لأمرها [وما علمت أنّه قدم من مصر فأواطئه][2] .

فقال له أبو محمد : ما بك إلى هذا حاجة .

فقال : بلى يا سيّدي ، ثم التفت إلى القراريطيّ ، فقال : إنّي حكيت لسيّدنا الوزير أنّ المقتدر أنفذني أيّام تقلّدي له المواريث لقبْض تركة فلان ، فذكر أميراً جليلاً ، قد أنسيتُ اسمَهُ على الحقيقة ، وأظنّه قال : يأنس[3] الموفّقي ، وأنفذك مستظهراً بك لتُحْصِي التركة ، وإنّها كانت هائلة عظيمة ، وإنّا وجدنا فيها ثلاثين جامة بجاذيّ ، كلّ جامة فَتْحُها شبرٌ وكَسْرٌ ، في غُلُف من لُبّ الخيازر ، مبطّنة بالحرير والديباج ، مضرّبة بالنبات ، محلاّة بالذهب ، فأثبتناها ، وحملناها إلى المقتدر ، فهاله حسنها ، وأحضر ابن الجصّاص ، وأمره بتقويمها ، فقال : ما أعرف لها قيمة ، ولا رأيت مثلها قط ، ولولا أنّي شاهدتها [١٣ ط] ، لكذّبت بوجود مثلها ، ولو قلتُ إنّ قيمة كل واحدة مائة[4] ألف دينار ، ما خشيت البُعْدَ .

وإنّي لمّا حدّثت سيّدنا الوزير أيّده الله ، بهذا الحديث ، كذّبني

= كان يحكيه ويتسمح فيه وإن لم يخل في الأيام من الشيء بعد الشيء منه .

١ البيجاذه والبيجاذق : حجر أحمر اللون ، إذا خرج من معدنه أصابته ظلمة ، فإذا قطعه الصانع خرج نوره وحسنه ، تعريب (بيجاده) (الألفاظ الفارسية المعربة ٣٢) .

٢ الزيادة من ط .

٣ في ب : أنس والتصحيح من ط . ورد في المنتظم (٦ / ١٨٧) : أن يأنس الموفقي توفي في السنة ٣١١ وخلف ضياعاً تغل ثلاثين ألف دينار ، وكان في أصل سور داره من خيار الفرسان والرجالة ألف مقاتل .

٤ في ط : عشرة .

جماعة من نُدَمائِهِ ، وكُنْتَ أنْتَ يا سيّدي بمصر ، فإن رأيت أن تقيم الآن لي الشهادة .

فقال القراريطيّ: قد صَدَق – أيّد الله الوزير – أبو القاسم ، أنا رأيت هذه الجامات ، وقبضتها للمقتدر من هذه التَّرِكَة وسمعت ابن الجصّاص يقول هذا ، وقد نَسِيَ أبو القاسم شيئاً جرى[1] لم يذكره .

فقال أبو محمد : ما هو ؟

فقال : سألنا خازن الرجل عن هذه الجامات وسببها، فقال : لا أعلم مِنْ أين وَصَلَتْ إليه ، ولكن كان عنده منها ، ثمانون جامة ، فأهدى إلى جماعة من الملوك منها وبقي هذه البقيّة .

فاستطرف أبو محمّد المهلّبي الحكاية واستحسنها .

---

٢ في ط : آخر .

١٣

مروءة الوزير حامد بن العباس
ومكارم أخلاقه

حدّثني أبو العبّاس هبة الله بن محمد بن يوسف بن يحيى بن عليّ بن يحيى ابن أبي منصور المنجّم ، قال : حدّثني جدّي ، قال :

وقفت امرأة لحامد بن العبّاس على الطريق ، فشكت إليه الفقر ، وطلبت منه البرّ ، ورفعت إليه قصّة[١] كانت معها ، فلمّا جلس ، وقّع لها بمائتي دينار .

فأنكر الجهبذ[٢] دَفْعَ هذا القدر إلى مثلها ، فراجعه . فقال حامد : والله ما كان في نفسي أن أهب لها إلاّ مائتي درهم ، ولكنّ الله أجرى لها على يدي مائتي دينار ، فلا أرجع في ذلك ، أعطها ، فدفع إليها .

فلما كان بعد أيّام رفع إليه رَجُلٌ قصّة يذكر فيها : إنّ امرأتي وإيّاي كنّا فقيرين ، فرفعت امرأتي قصّة إلى الوزير ، فوهب لها مائتي دينار ، فاستطالت بها عليّ ، وتريد الآن إعناتي لأطلّقها ، فإن رأى الوزير أن يوقّع لي إلى مَنْ يكفّها عنّي ، فَعَل .

قال : فضَحِكَ حامد ، ووقّع له بمائتي دينار ، وقال : أعطوه [١٥ ب] إيّاها ، وقولوا له : قد صار الآن مالك مثل مالها ، فهي لا تطالبك بالطلاق . فقبضها الرجل وانصرف غنيّاً .

---

١ القصة : العريضة التي ترفع لأصحاب الحل والعقد ، يروي المتظلم فيها قصته (قاله عبد القادر المغربي) .

٢ الجهبذ : اصلها فارسي (كهبذ) وتعني ما نسميه اليوم بالصراف أو المحاسب أو أمين الصندوق أو الخزنة دار (قاله عبد القادر المغربي) .

١٤

الوزير علي بن عيسى

وصاحب ديوان السواد

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول[١] الأنباريّ التنوخيّ المعروف والده بأبي بكر الأزرق ، قال :

كان أبو عيسى أخو أبي صخرة[٢] جارنا ببغداد ، وكان عظيم الحال ، كثير المال ، تامّ الجاه ، شيخاً من شيوخ الكتّاب ، قد تقلّد كبارَ الأعمال ، وخلّف إسماعيل بن بلبل[٣] قديماً على الوزارة ، فلما وَلِيَ محمد بن عبيد الله الخاقاني[٤] [الوزارة][٥] قلّده ديوانَ السوادِ ، فلما صُرِفَ بأبي الحسن عليّ

....

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري الكاتب ؛ يعرف والده بأبي بكر الأزرق ، لزرقة عينيه ، توفي أبو الحسن سنة ٣٧٧ (المنتظم ٧ / ١٣٦)

٢ أبو عيسى أخو أبي صخرة : أحمد بن محمد بن خالد ، من شيوخ الكتاب ، تقلد كبار الأعمال ، وخلف إسماعيل بن بلبل على الوزارة (وزراء ٣٥٠) ، وقال الوزير علي بن عيسى ، إن المقتدر رغب مرة في استيزار أبي عيسى فلم يشر عليه به (وزراء ٣٧٥) .. توفي أبو عيسى سنة ٣١١ وخلف أموالا وأملاكاً ولم يخلف ولداً ، فتعرض أصحاب المواريث لتركته ، فمنعهم الوزير ابن الفرات ، وكتب بذلك منشوراً (وزراء ٢٦٨) ، وبعد ذلك وجه المحسن ابن الوزير إلى الورثة من أخذ جميع مالهم وحبسهم وأخافهم (صلة الطبري ٦٠) .

٣ إسماعيل بن بلبل ، الوزير : انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ٧٦ من النشوار .

٤ محمد بن عبيد الله الخاقاني : الوزير ، وزر للمقتدر بعد ابن الفرات في وزارته الأولى ، وكان سيء التدبير ، كثير التولية والعزل ، وكلما طلب أحد منه شيئاً دق صدره بالموافقة ، فلقب : دق صدره (تجارب الأمم ١ / ٢٤) ولم يطل أمره ، فعزله المقتدر واستوزر محله علي بن عيسى (الفخري ٢٦٦) .

٥ الزيادة من ط .

ابن عيسى [1] وَوَرَدَ أبو الحسن من اليَمَنِ والشام، لمّا كان نُفيَ إليه عقيب قصّة ابن المعتز ، وتَقَلّدَ الوزارةَ ، لم يَرَهُ أهلاً لديوان السواد ، ولأنّ صنعته لم تكن بالتامّة التي تفي بهذا الديوان ، ولم يمكنه صرفه لمكانة كانت له في الدار [2] ، فكان يقصده بالغضّ في المجالس ، ولا يرفعه الرفعة التي يستحقّها صاحب ديوان السواد ، [وإذا أراد عملاً من الديوان أو خراجاً أو حساباً وقّع إلى كتّاب الديوان ، واستدعاهم ، وخاطَبَهُم وهو حاضر ، لا يكلّمه في ذلك، فيغضّ منه بهذا، الغضّ الشديد][3] ، فإذا أراد عملاً يعلم أنّ صناعة أبي عيسى لا تفي به وأنّه لا يمكنه الكلام عليه ، خاطبه فيه على رؤوس الأشهاد ، لِيَتَبيّنَ نَقْصُه ويفتضح ، ، وإذا أراد مهمّاً أحضر كتّاب الديوان فخاطبهم فيه ، ليكون ذلك نهاية الغضّ منه .

فلمّا طال ذلك على أبي عيسى ، جَلَس عنده يوماً حتى لَمْ يبق في مجلسه غيره [١٤ ط] ، وغير إبراهيم بن عيسى أخي الوزير [4] .

فقال له عليّ بن عيسى : هل من حاجة ؟

فقال : نعم ، إذا خلا مجلس الوزير .

---

١ أبو الحسن علي بن عيسى الجراح : وزير المقتدر ، شيخ من شيوخ الكتاب ، كان محمود السيرة ، قال الصولي : ما أعلم أنه وزر لبني العباس وزير يشبهه في زهده وعفته ، ومعرفته ، وصدقاته ومبراته ، توفي سنة ٣٣٤ في أيام معز الدولة البويهي (الأعلام ٥ / ١٣٣) .

٢ يعني دار الخليفة .

٣ هذه الجملة لا توجد في ط .

٤ إبراهيم بن عيسى : أخو الوزير علي بن عيسى ، كان يتقلد أعمال الزاب الأعلى في أيام عبيد الله بن سليمان خلافة لأخيه علي بن عيسى ثم تقلدها رئاسة، ولما ولي ابن الفرات الوزارة صرفه ، ثم تقلد الإشراف على أعمال واسط ، ولازم منزله في أيام حامد بن العباس فلما تقلد ابن الفرات الوزارة الثالثة قبض عليه ، وصادره أولا وثانياً ، ثم سلمه إلى ولده المحسن فأوقع به مكروهاً شديداً ، ونفاه إلى البصرة ، وسلمه إلى عاملها، فقيل إنه سمه فمات ، (الوزراء ٥٠ / ٣٥٠) .

قال : فأُخبرتُ عن إبراهيم إنّه قال : لما سَمِعْتُ هذا قمت وانصرفت .

فلما كان مِنَ الغَدِ جئت إلى أخي ، فوجدت أبا عيسى في صدر المجلس ، حيث يستحقّ صاحب الديوان أن يكون وهو يأمر ، وينهى ، وينبسط ، ويتكلّم ، والخطاب معه في الأعمال دون الكتّاب ، وقد صار في السماء .

فدعتني نفسي الى مسألة الوزير عن ذلك ، فجلست إلى أن لم يبق في مجلسه غيري ، فقال : شيء تقوله يا بنيّ ؟

[فقلت : شيء من الفضول أُريد أن أسأل الوزير عنه][1] .

فقال : إن كان فضولاً فلا تسل عنه .

قال : قلت لا بُدّ .

فقال : هات .

قلت : استخلاكَ أمس أبو عيسى فأخليته ، ثم رأيتك اليوم تعامله بضدّ ما كنت تعمله قبل هذا ، فما سَبَبُ ذلك ؟

فقال : نعم ، إنّه خاطبني بخطابٍ عظم به في عيني ، وكبر به في نفسي ، وعلمت صدقه فيه ، فرجعت له ، قال لي ، وقد خلا بي : أيّها الوزير ، أنا رجل شيخ من شيوخ الكتّاب ، عارفٌ بمقدار ما أُحْسِنُه من صناعة [١٦ب] الكتابة ، وتقصيري فيها عن الغاية ، وليس يخفى عليّ ما يعاملني به الوزير من الغضّ والهَتْكِ والتعريض للفضيحة في الصناعة ، ومخاطبة الكتّاب في الديوان إذا أراد مهمّاً ، ومخاطبتي إذا نَزَلَ مُعْضِلٌ ، ويجب أن يعلم الوزير أيّده الله ، أنّ حالي ، ومالي ، وباطني ، أكثر ممّا يقع له ، ويعرفه من ظاهري على كثرته ، وأنّي ما أتصرّف طلباً للفائدة ، ولا خوفاً

---

١ في ط بدل هذه الجملة : فقلت نعم .

من الفقر ، وإنّما أُريد الزيادة في الجاه ، واتّصال نفوذ الأمر والنهي ، وقد عشت طول هذه السنين ، آمراً ، ناهياً ، مستوراً في صَناعَتي ، ما تعرّض لي أحد من الوزراء ، ولا تعرّضت لهم ، وسَلِمْتُ عليهم ، وسَلِموا عليّ ، ومهما عمله الوزير فيّ من الغَضّ فليس يمكنه أن يزيلَ من نفوس الخاصّة والعامّة ، أنّي خَلَفْتُ إسماعيل بن بلبل على الوزارة ، وتقلّدت كذا وكذا ، وأخذ يعدّد كبار الأعمال التي وَلِيها ، وأنّ مثل هذا لا يناط بعاجز ، ولا أن يستخرج من النفوس عِظَمَ محلّي فيها ، مع سعة الحال ، وكثرة الضياع والمال ، ولا يُمْكِنهُ في طَمْسِ محلّي أكثر مما قد عَمِلهُ ، وأنا بين أُمور ، إمّا توصّلت إلى إزالة ذلك عنّي بما لعلّه يَثْقُلُ على الوزير ، أو آثرت صفاء نيته فاستعفيت من العمل ، ولَزِمتُ بيتي ، فلم أكن فيه خاملاً ولا ساقطاً ، ثم حَصَلْتُ حيث أختارُ ، من الكون في جملة أولياء الوزير أو أعدائه ، فإمّا أعفاني ممّا يستعمله معي ، ورِدّني إلى العادة التي يستحقّها من نُصِبَ في مثل مَنصبي ، أو أعفاني من العمل لألزم بيتي .

فقلت له : يا أبا عيسى ، لن ترى بعد هذا شيئاً تنكره ، ولن أكون لك إلاّ على أفْضَلِ مَحبّتكَ ، فبكّر إليّ ليبين لك مصداق ذلك .

فلمّا جاءني اليوم ، عاملته بما رأيته .

١٥

حكايات عن وقار الوزير علي بن عيسى وزماتته

ويشبه قول عليّ بن عيسى لأخيه : إن كان فضولاً فلا تسل عنه ، ما كان يَبلغُنا عنه من الزماتة الشديدة ، والوقار العظيم ، ومطالبة نفسه باحتشام الخَلْقِ ، واستعمال ذلك مع أهله وولده .

حدثني أبو الحسن بن الأزرق ، قال : بلغني عن بعض أكابر وُلْدِه [١٥ ط] أنّه دخل إليه في آخر عمره ، وهو مستلقٍ ، فلمّا رأى ابنه جلس منتصباً .

وأخبرني أبي رحمه الله ، وأبو الحسين بن عيّاش : أنّهما كانا يشاهدان أبا الحسن في آخر الأوقات في المجالس الحافلة ، يجلس عند باب مفتوح ، وبين البابين مِسْوَرَة[١] يستند إليها ، وعلى الباب سِتْرٌ قد أرخي حتّى بلغ الأرض وغطّى المسورة ، وصار حِجاباً بين الناس وبينها ، وهو ملتزق بالسِّتْرِ احتشاماً للناس أن يستند بحضرتهم ، وما زال الناس على هذا .[٢]

---

١ المسورة : نوع من المتكآت أو المساند (راجع ماكتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ٢ / ١١) .

٢ في الهفوات النادرة ٢٦٣ : لما ورد معز الدولة، أبو الحسين بن بويه إلى بغداد، ومعه أبو جعفر الصيمري ،قصدته مع جماعة من الناس، فدخلنا داراً قوراء، في جانب صحنها حصيران، في صدرها حصير مبطن عليه ثلاث مخاد ، وجلسنا ننتظر إذنه ، فما راعنا إلا رفع الستر وخروجه من حجرة كان فيها ، وعليه منديل لطيف ، وقميص نوري ، قد رفع ذيله على كتفه ، وسراويل مسح بتكة ظاهرة . وقيل : الأستاذ ، الأستاذ – وبذاك كان يدعى – فنهضنا وبادرنا إلى السلام عليه، وتقبيل يده، فجلس بين المخاد، فأمر ونهى غير متحاش ، وانصرفنا متعجبين من أن شاهدنا ما شاهدنا من وقار علي بن عيسى بن الجراح وتزمته ، وأنه ما رؤي في خلوته ، فضلا عن جمعه ، إلا متعمماً متحنكاً ، عليه القميصان والمبطنة بينهما ، والدراعة من فوقها، وفي رجله الخفان ، ورأينا ما رأينا الآن من الصيمري .

١٦
حكاية عن تزمت القاضي
أبي جعفر بن البهلول

حدّثني أبو الحسن بن أبي طالب بن أبي جعفر بن البهلول [١] ، قال :

كنت وأنا صبيّ ، أجيء ، وألعب ، بحضرة جدّي [٢] ، فيصيح [١٧ ب] عليّ .

قال : ما دخلت إليه قط ، وهو مكشوف الرأس ، إلاّ أخذ القلنسوة من خلف مسورته ، ولبسها ، وجلس متزمّتاً [٣] عليّ [وسنّي إذ ذاك عَشْرُ سنين ، أو حواليها] [٤] ، إلى أن أنْصَرِف ، فأراه إذا بَعُدتُ ، وقد وَضَعها [عن رأسه] [٥] .

---

١ أبو الحسن التنوخي : علي بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول ، وكنية والده محمد أبو طالب ، ولد في شوال سنة ٣٠١ ، وتقلد القضاء بالأنبار وهيت ، ثم ولي القضاء بطريق خراسان ، ثم صرف ، ثم قلد قضاء الأنبار وهيت ، ثم أضيف إليها الكوفة ثم صرف ، ثم عين قاضياً في عسكر مكرم وإيذج . توفي في السنة ٣٥٤ (المنتظم ٧ / ٣٠) .

٢ أبو جعفر بن البهلول : أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري ، ولد سنة ٢٣١ وتوفي سنة ٣١٨ عن ثمان وثمانين سنة ، ولي القضاء بمدينة المنصور عشرين سنة ، وكان عظيم القدر واسع الأدب ، تام المروءة ، تام العلم باللغة ، حسن القيام بالنحو ، تام الحفظ للشعر القديم والمحدث ، والأخبار والسير والتفسير ، وكان شاعراً خطيباً ، متخشناً في الحكم ، قلد القضاء سنة ٢٧٦ واستقال منه سنة ٣١٦ وقال : أحب أن يكون بين الصدر والقبر فرجة ، ولا أنزل من القلنسوة إلى الحفرة . (معجم الأدباء ١ / ٨٢)

٣ في ط : مقبلا .

٤ الزيادة من ب .

٥ الزيادة من ط .

١٧

بين الوزير علي بن عيسى

والوزير أبي عليّ بن مقلة

ويشبه فِعلُ أبي الحسن عليّ بن عيسى بأبي عيسى أخي أبي صخرة ، ما أخبرني به الثقة ، قال :

أخبرني جماعة من الكتّاب ، أنّه بَلَغَهُ[١] أنّ المقتدر قد عمَدَ[٢] على صرفه بأبي عليّ بن مُقْلَة[٣] ، وكان يَخْلُفُهُ إذ ذاك على عدّة دواوين ، فاستدعاه ، وطالَبَهُ بأعمال يعملها له من الدواوين ، فوَعَدَهُ بإحضارها .

فلما كان بعد أيّام ، خاطبه بحضرة الناس يريد الغضّ منه ، فقال له : طَلَبْتُ منك أعمالاً فما أحضرتها ، وأنا أعلم تعذّرها عليك ، فإن كان الأمر كذلك ، فأفصح عن نفسك .

فقال ابن مقلة : قد أحضرتها ، ووَضَعَها بين يديه ..

فأخذ يقرؤها ، ويعجّب مَشايخ الكتاب الحضور من خطائه فيها ، ويُواقِفُهُ على ضَعْفِ صناعته ، ويفضحه في موضعٍ موضعٍ يخرّجه ، ويقول له في عرض الخطاب ؛ هذه حِياكَةٌ : ليست كتابَةٌ ، ويضرب

---

١ الضمير يعود للوزير أبي الحسن علي بن عيسى .

٢ في ط : عمل .

٣ أبو علي بن مقلة : محمد بن علي بن الحسين الوزير ، من الشعراء الأدباء ، يضرب بحسن خطه المثل ، ولد ببغداد ، وولي جباية الخراج في بعض أعمال فارس ، ثم استوزره المقتدر العباسي سنة ٣١٦ ثم صادره ونفاه ، واستوزره القاهر سنة ٣٢٠ ثم اتهمه بالتآمر عليه فاستتر ، واستوزره الراضي سنة ٣٢٢ ثم سجنه ، ثم بلغه عنه ما أحوج إلى أن قطع يده ، ثم قطع لسانه ، وسجنه ، ومات في سجنه سنة ٣٢٨ (الأعلام ٧ / ١٥٧) .

على عَمَلٍ عَمَلٍ ، ويرسم في أضعافه ، كيف يجب أن يُعمل ، والكتّاب الحاضرون يعجبون من حسن ما يورده أبو الحسن ، وضعف ما أورده أبو عليّ ، إلى أن ضرَبَ على جميع الأعمال ، ثم قال له : قم فاعملها على هذا ، وحَرِّرها ، وجئني بها ، فقام أبو عليّ [يجرّ رجله][1] .

فلمّا ولّى عن حضرة أبي الحسن ، قال : إنّ أمراً عجز عنه عليّ بن محمد بن الفرات ، ونحن فيه مرتبكون ، تقوم به أنت ؟ لَشيء عجيب[2] .

قال : فلما كان في اليوم الرابع أو الخامس من هذا الحديث ، قُبِضَ على عليّ بن عيسى ، وسُلِّمَ إلى أبي عليّ ، وقلّد الوزارة ، فاعتمد الغضّ من أبي الحسن ، فما قدر على ذلك بأكثر من المكاره ، والمخاطبة له في وجهه بما يرتفع عنه أرباب المروءات .

فمن ذلك ، انّ هذا المخبر أخبرني ، قال : حدّثني أبو أحمد الشيرازيّ الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر[3] قال :

كنت بحضرة أبي عليّ بن مقلة يوماً في وزارته وقد دخل عليه عليّ بن عيسى فجلس بين يديه ، وكان أبو عبد الله العلويّ الموسويّ حاضراً[4] ، وأبو

---

١ الزيادة من ط .

٢ في ب : تقوم به بشي عجب .

٣ أبو أحمد الشيرازي : كان يكتب للوزير ابن مقلة ، وهو متزوج بابنة حسن الشيرازية قهرمانة المستكفي ، ولما استخلف المستكفي ، استكتبه على خاص أموره ، ولما خلع وسمل ، قبض على الشيرازي ، ثم قلد كتبة الخليفة (القصص ٢/ ٢٦ و٢٧ و٢٨ من النشوار ، وتجارب الأمم ٢/ ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٦ و ١٠٨) .

٤ أبو عبد الله العلوي الموسوي : راجع القصة ١ / ١٨٩ من النشوار .

عليّ الحسن بن هارون[1] .

فقال أبو عليّ بن مقلة للحسن بن هارون : اكتب رقعة عن أبي عبد الله يصف فيها اختلال ضيعته ، ويسأل فيها الاحتساب له بمظلمة ، وإطلاق معونة له .

ففعل الحسن بن هارون ذلك في الحال ، وعرَض الرُّقعةَ ، فوقّع بإخراج الحال ، وأنفذ إلى الكاتب بأن أخـرِج الحال [١٦ ط] مصدقاً [١٨ ب] لما في الرقعة . فَفعَل ذلك .

فوقّع تحت إخراج الحال بإطلاق عشرين كرّاً حنطة وعشرين كرّاً شعيراً معونة له، والاحتساب بما ذكر مبلغه في المظلمة، وقال لأبي عليّ الحسن ابن هارون : سلّمه إلى أبي عبد الله .

قال ، فاستَحسَن الحاضرونَ كرَمَهُ في ذلك على رَجُلٍ علويّ ، وأخذ أبو الحسن عليّ بن عيسى يشكر له ذلك ويُصَوّبه له .

فقال له مجيباً : فلِمَ لم تفعل مثل هذا يا أبا الحسن في وزارتك ؟

قال ، فنهض أبو الحسن ، وقال : استودع الله الوزير ، ولم يجب بحرف واحد .

---

١ أبو علي الحسن بن هارون : انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٤٨ من النشوار .

١٨

تزمت الوزير علي بن عيسى وتخشنه

ومن زَماتَةِ أبي الحسن عليّ بن عيسى وتخشّنه[١]، انّه كان يحبّ أن يبينَ فَضْلُه في هذا على كلّ أحدٍ ، أخبرني به غير واحد :

إن أبا عمر القاضي [٢] دخل إليه يوماً في بعض وزاراته ، وعلى أبي عمر قميص دبيقيّ ششتريّ فاخر[٣] ، فأراد أبو الحسن أن يخجله فقال له : يا أبا عمر بكم اشتريت شقّة هذا القميص ؟

فقال : بمائتي دينار [٤] .

فقال أبو الحسن : ولكنّي اشْتُرِيتْ لي هذه الشقّة التي قطعتُ منها هذه الدرّاعة وهذا القميص الذي تحتها بعشرين ديناراً .

فقال له أبو عمر مسرعاً كأنّه قد أعدّ له الجواب : الوزير أعزّه الله يجمّل الثياب ، ولا يحتاج إلى المبالغة فيها ، [ونحن نتجمّل بالثياب ، فنحتاج إلى المبالغة فيها] [٥] لأنّا نلابس العوام ، ومن نحتاج إلى التفخيم عليه ، وإقامة الهيبة في نفسه بها ، والوزير أيّده الله يخدمه الخواصّ ، أكثر من خدمة العوام ، ونَعْلَمُ أنّه يدع هذا عن قدرةٍ .

قال : فكأنّما ألقمَ أبا الحسن حجراً ، وسكت عنه .

---

١ في ب : تحسنه . والتخشن اصطلاح عباسي يعني الإفراط في الالتزام بالجدية التامة

٢ أبو عمر القاضي : راجع ترجمته في حاشية القصة رقم ١ / ١٠ من النشوار .

٣ في ط : سفري فاخر جداً .

٤ في ط : بمائة دينار .

٥ هذه الجملة لا توجد في ط .

١٩

الوزير علي بن عيسى يفرض

على ملك الروم أن يحسن معاملة الأسارى المسلمين

حدّثني القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن[١] ، قال حدّثني مكرّم ابن بكر ابن عم أبي يحيى بن مكرّم القاضي[٢] ، قال :

كنْتُ خصيصاً بأبي الحسن عليّ بن عيسى ، وربما شاورني في شيء من أمره ، قال : دخلت عليه يوماً وهو مغمومٌ جدّاً ، فقدّرت أنّه بلغه عن المقتدر أمر كرهه ، فقلت هل حدثَ شيء ؟ وأومأت إلى الخليفة .

فقال : ليس غمّي من هذا الجنس ، ولكن ممّا هو أشدّ منه .

فقلت : إن جاز أن أقف عليه فلعلّي أقول فيه شيئاً .

فقال : نعم ، كتب إليّ عامِلُنا بالثّغْرِ ، أنّ أسارى المسلمين في بلد الروم ، كانوا على رفقٍ وصيانةٍ إلى أن وَلي آنفاً ، مُلْكَ الروم ، حدَثان ،

---

١ أبو بكر محمد بن عبد الرحمن القاضي المعروف بابن قريعة ، كان يأتي بالكلام مسجوعاً مطبوعاً من غير تعمد . ومن لطيف ما يروى عنه ، أنه كان في بغداد قائد يلقب بالكنية ، كنيته أبو إسحاق ، وكان يخاطب ابن قريعة بالقاضي ، ويخاطبه ابن قريعة بالقائد ،فبدر منه يوماً في المخاطبة أن قال لابن قريعة : يا أبا بكر ، فقال له ابن قريعة : لبيك يا أبا إسحاق ، فقال القائد : ما هذا ؟ فقال : يا هذا إنما قوّدناك إذ قضّيتنا ، فاذا بكركتنا تسحقناك ، فقال القائد : ويلاه ، هذا أفظع من الأول . توفي ابن قريعة سنة ٣٦٧ عن خمس وستين سنة (المنتظم ٧ / ٩١) .

٢ في ب : أبي الحسن . والصحيح ما أثبتناه : وهو أبو يحيى عبد الله بن إبراهيم بن مكرم ، كان من شباب بغداد وشهد عند القاضي أبي عمر ، وولي القضاء ببغداد ثم ولاه ابن الفرات قضاء مصر فاستخلف عليها ولم يدخلها (الولاة للكندي ٥٣١) .

فعسفا الأسارى ، وأجاعاهم ، وأعرياهم ، وعاقباهم ، وطالباهم بالتنصّر ، وأنّهم في جهد جهيد ، وبلاء شديد ، وليس هذا ممّا لي فيه حيلة ، لأنّه أمر لا يبلغه سُلْطانُنا ، والخليفة لا يطاوعني ، فكنت أنفق الأموال ، وأجتهد ، وأجهّز الجيوش حتى تطرق القسطنطينية .

فقلت [١٩ب] أيّها الوزير ، هاهنا رأي أسهل ممّا وقع لك ، يزول به هذا .

فقال : قل يا مبارك .

فقلت : إنّ بانطاكية عظيماً للنصارى يقال له البطرك[1] ، وببيت المقدس آخر يقال له القاثليق[2] ، وأمرهما ينفذ على مَلِكِ الروم ، [حتى انّهما ربّما حرما الملك فيحرم عندهم ، ويحلاّنه فيحلّ][3] . وعند الروم انّه من خالَفَ منهم هذين فقد كفر ، وانّه لا يتمّ جلوس الملك ببلد الروم إلاّ برأي هذين ، وان يكونَ الملك قد دَخَلَ إلى بيعتهما ، وتقرّب بهما ، والبَلَدان في سلطاننا [١٧ ط] ، والرَجُلان في ذمّتنا ، فيأمر الوزير بأن يُكتب إلى عاملي البلدين بإحضارهما ، وتعريفهما ما يجري على الأسارى ، وانّ هذا خارج عن الملك ، وانّهما إن لم يزيلا هذا ، لم يطالب بجريرته غيرهما ، وينظر ما يكون من الجواب .

قال : فاستدعى كاتباً ، وأملى عليه كتابين في ذلك[4] ، وأنفذهما في الحال ، وقال : سرّيت عنّي قليلاً ، وافترقنا .

فلما كان بعد شهرين وأيّام ، وقد أُنسيتُ الحديثَ ، جاءني

---

١ البطرك والبطريك والبطريرك جمعها بطاركة وبطاريك : رئيس الأساقفة .

٢ الجاثليق والجثليق جمعها جثالقة ، متقدم الأساقفة ، يونانية .

٣ انفردت ب بهذه الجملة .

٤ في ط : كتباً في هذا المعنى .

فُرانق[1] من جهته يطلبني ، فركبت وأنا مشغول القلب بمعرفة السبب في ذلك ، حتى وصلت إليه ، فوجدته مسروراً ، فحين رآني قال : يا هذا ، أحسن الله جزاءك عن نفسك ودينك وعنّي .

فقلت : ما الخبر ؟

قال : كان رأيك في أمر الأسارى أبرك رأي وأصحّه ، وهذا رسول العامل قد ورَد بالخبر ،وأومأ إلى رجل كان بحضرته ، وقال له : خبّرنا بما جرى .

فقال الرجل : أنفذني العاملُ مع رسول البطرك والقاثليق، برسالتهما إلى قسطنطينية[2] وكتبا إلى ملكيها : إنّكما قد خرجتما عن ملّة المسيح بما فعلتماه بالأسارى وليس لكما ذلك ، فإنّه حرام عليكما ، ومُخالفٌ لما أمرنا به المسيح من كذا وكذا ، وعدّدا أشياء في دينهما ، فإمّا زلتما عن هذا ، واستأنفتما الإحسان إلى الأسارى ، وتركتما مطالبتهم بالتنصّر ، وإلاّ لعنّاكما على هذين الكرسيّين وحرَمْناكما .

قال : فمضيت مع الرسول ، فلما صرنا بقسطنطينية ، حُجبْتُ عن الملِكين أيّاماً ، وخليا بالرسول[3] ، ثمّ استدعياني إليهما ، فسلّمت عليهما ، فقال لي ترجمانهما : يقول لك الملكان ، إنّ الذي بلَغَ مَلكَ العرب من فعلنا بالأسارى ، كذب وتشنيع ، وقد أذنّا في إدخالك دار البلاط لتشاهد أساراكم ، فترى أحوالهم بخلاف ما بلغكم ، وتسمع من شكرهم لنا ، ضدّ ما اتّصل بكم .

---

[1] الفرانق : الساعي المكلف بنقل الرسائل .

[2] قسطنطينية: وكان اسمها بزنطية فسميت قسطنطينية باسم قسطنطين الأكبر الذي انتقل إليها وبنى سورها وهي دار ملك الروم وتسمى اصطنبول ، (معجم البلدان ٤ / ٩٥) .

[3] في ط : ثم جلسا لي وللرسول .

قال : ثم حُملت إلى دار البلاط ، فرأيت الأسارى ، وكأنّ وجوههم قد أخرجت من القبور ، تشهد بالضرّ [الشديد والجهد الجهيد] [1] وماكانوا فيه من العذاب [إلى حين قدومنا] [1] إلاّ أنّهم مرفّهون في ذلك الوقت ، وتأمّلت ثيابهم ، فإذا جميعها [٢٠ ب] جدد ، فعلمت أنّي مُنعتُ من الوصول تلك الأيّام حتى غُيِّر زيّ الأسارى [وأصلح أمرهم] [1] .

وقال لي الأسرى : نحن للملكين شاكرون ، فَعَلَ الله بهما وَصَنَعَ ، وأومأوا إليّ : إنّ الأمر كان كما بَلَغكُمْ ، ولكنّه خفّف عنّا ، وأحسن إلينا ، بعد حُصُولكَ هاهنا .

وقالوا لي كيف عُرِفَتْ حالُنا ؟ ومن تَنَبّهَ علينا ، وأنفذك بسببنا ؟

فقلت لهم : وَلِيَ الوزارة عليّ بن عيسى فَبَلَغَهُ ذلك ، فأنفذ من بغداد ، وفَعَلَ كذا وكذا .

قال : فضجّوا بالدعاء إلى الله تعالى للوزير ، وسَمِعْتُ امرأة منهم تقول : مُرَّ يا عليّ بن عيسى لا نَسِيَ اللهُ لك هذا الفعل [2] .

قال : فلما سَمِعَ ذلك عليّ بن عيسى أجهش بالبكاء ، وسَجَدَ حمداً لله سبحانه وتعالى ، وبَرَّ الرسول ، وصَرَفَهُ .

فقلت له : أيّها الوزير ، أسمعك دائماً تتبرّم بالوزارة ، وتتمنّى الانصراف عنها في خلواتك خوفاً من [١٨ ط] آثامها ، فلو كنت في بيتك ، هل كنت تقدر أن تحصِّل هذا الثواب ولو أنفقت فيه أكثر مالك ؟ فلا تفعَلْ ، ولا تتبرّم بهذا الأمر فلعلّ الله يمكّنك ويُجري على يديك أمثال هذا الفعل ، فتَفوزَ بثوابه في الآخرة ، كما تفرّدت بشرف الوزارة في الدنيا .

---

١ الزيادة من ط .

٢ في ط : الفضل .

٢٠

ابن رزق الله ، التاجر البغدادي

يوقِفُ في بلاد الروم أكسية لتدفئة أسارى المسلمين

حدّثني أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن داسه البصريّ ، قال : حدّثني عليّ بن إبراهيم بن حمّاد القاضي : إنّ بعض مشايخ العرب[1] أخبره عن رجل من المسلمين ، أسر ، ثم رَجَعَ إلى دار الإسلام ، قال :

لما حُمِلنا إلى بَلَدِ الروم مرّت بنا شدائد ، فحصلنا عدّة ليال لا ننام من البرد ، وكدنا نتلف ، ثم دخلنا قرية ، فجاءنا راهبٌ فيها بأكسيةٍ وقُطُفٍ[2] ثقيلةٍ دفيّةٍ ، فغطّى جميع الأسارى ، كلّ واحدٍ بواحدةٍ ، فعشنا تلك الليلة ، فأقاموا في تلك القرية أيّاماً ، فكانت سبيلنا هذه ، ثم نقلونا إلى أخرى ، فعادت حالنا في العري والبرد إلى الأولى .

فسألنا عن السبب في ذلك ، فقالوا : إنّ رجلاً ببغداد من التجّار يقال له ابن رزق الله ، صهر ابن أبي عوف[3]، توصّل إلى أن حصّلَتْ له هذه الأكسية والقُطُفُ عند الراهب ، بغرامات مال جليل ، وسأله أن يغطّي بها من يَحْصَل في قريته من أسارى المسلمين، وضَمَنَ له أن ينفق على بيعة في بلد الإسلام بإزاء هذا في كل سنة شيئاً ما دامت الأكسية محفوظة للأسارى ، فالراهب يفعل ذلك في هذه القرية ، وما قبلها وما بعدها ليس فيها شيء من هذا . فأقبلنا ندعو لابن رزق الله كلما نفحنا البرد ، ولحقتنا الشدّة، ونحن لا نعرفه .

---

[1] في ط : الغزاة .

[2] قطف : مفردها قطيفة وهي دثار مخمل يلقيه الرجل على نفسه .

[3] انظر ترجمة ابن أبي عوف في حاشية القصة ١ / ٣٢ من النشوار .

٢١

شخص متعطل زوّر كتاباً عن لسان

الوزير ابن الفرات ، إلى عامِلِ مصر

حدّثني أبو الحسين ، عبد الله بن أحمد بن عيّاش القاضي :

إنّ رجلاً دامت عطلته ، فزوّر كتاباً عن عليّ بن محمد بن الفرات[1] ، وهو وزير ، إلى أبي زنبور[2] [٢١ ب] عامِل مصر ، وخرج إليه ، ولَقِيهُ بها

فأنكرها أبو زنبور ، لإفراط التأكيد فيها ، وكثرة الدعاء للرجل ، وأنّ محلّه عنده لم يكن يقتضي ذلك الترتيب ، واستراب بالخطاب أيضاً .

فوَصَل الرَجُل بصلة يسيرة ، وأمر له بجراية ، وقال : تأخذها إلى أن أنظر في أمرك .

وأنفذ الكتبَ في خاصّ كتبه إلى ابن الفرات ، وشَرَحَ له الصورة ، وكان فيها : إنّ للرجل حرمة وكيدة بالوزير ، وخدمة قديمة .

قال : فوصلت الكتب إلى أبي الحسن بن الفرات ، وأصحابه بين يديه فعرّفهم الصُوْرَةَ ، وعجّبهم منها ، وقال : ما الرأي في أمر الرجل ؟

فقال بعضهم : تقطع يده لتزويره على الوزير .

---

١ الوزير أبو الحسن علي بن الفرات سبقت ترجمته في حاشية القصة رقم ١ / ٩ من النشوار .

٢ أبو زنبور : الحسين بن أحمد بن رستم المادرائي ، من كبار العمال في الدولة العباسية ، قلده المكتفي خراج مصر وأقره المقتدر ، ولما وزر ابن الفرات وزارته الثالثة ، صادره ومحمد بن علي المادرائي على ألف ألف وسبعمائة ألف دينار . توفي بالشام سنة ٣١٤ (الأعلام ٢ / ٢٤٨ والوزراء ٥١ - ٣٧٥) . وهو منسوب إلى ماذرايا قرية فوق واسط من أعمال فم الصلح مقابل نهر سابس (معجم البلدان ٤ / ٣٨١) ،

وقال بعضهم : يقطع إبهامه .

وقال بعضهم : يضرب ويحبس .

وقال بعضهم : يكشف لأبي زنبور أمره، ويتقدم إليه بطرده، ويقتصر به على الحرمان مع بُعدِ الشقّة [1] .

فقال ابن الفرات : ما أبعَدَ طباعكم عن الجميل ، وأنفرها من الحريّة [2] ، رَجُلٌ توسّل بنا ، وتحمّل المشقّة إلى مصر ، وأمّل بجاهنا الغنى ، ولعلّه كان لا يصل [١٩ ط] إلينا ، ولا حرمة له بنا فيأخذ كتبنا ، فخفّف عنّا بأن كتب لنفسه ما قدّر أنّ به صلاحه ، ورَحَلَ ملتمساً للرزق ، وجعلنا سببه ، يكون أحسن أحواله عند أجملكم محضراً الخيبة ؟

ثم ضرَبَ بيده إلى الدواة ، وقلَبَ الكتابَ المزوّرَ، ووقّع عليه [3] بخطه : هذا كتابي ، ولا أعلم لأيّ سَببٍ أنكرته . ولا كيف استربت به ، كأنّك عارف بجميع من خَدَمَنا في النكبة ، وأوقات الاستتار ، وقديم الأيّام ، وقد أحطت علماً بجميعهم ، فأنكرت أبا فلان هذا — أعزّه الله — من بينهم ، وحُرْمَتُهُ بي أوكد ممّا في هذا الكتاب ، وسَبَبُهُ عندي أقوى ممّا تظنّ ، فأجزِلْ عَطيّتَه ، وتابعْ برّه [4] ووَفّرْ حظّه من التصرّف فيما يصلح له ، وافعل به واصنع ، وأصدَرَ الكتابَ في الحال .

فلما كان بعد مدّة طويلة ، دخل عليه رجل جميل الهيئة ، حسن الزيّ والغلمان ، فأقبل يدعو له ، ويبكي ، ويقبّل الأرض بين يديه ،

---

١ في ط : مع السفر الطويل والمشقة اللاحقة له .

٢ الحرية : شرف النفس .

٣ في ط : على ظهره .

٤ في ط : وبالغ برّه .

وابن الفرات لا يعرفه ، ويقول : يا بارك الله عليك ــ وكانت هذه كلمته ــ ما لك ؟

فقال له : أنا صاحب الكتاب المزوّر إلى أبي زنبور ، الذي حقّقه تفضّل الوزير ، فعل الله به وصنع .

قال : فضحك ابن الفرات ، وقال : فبكم وصلك ؟

قال : وصل إليّ من ماله ، وبتقسيط قسّطه لي ، وبتصرّف صرّفني فيه ، عشرون ألف دينار .

قال ابن الفرات : الحمد لله ، الزَمْنا ، فإنّا ننفعك بأضعافها .

قال : فلزمه وفاتشه ، فوجده كاتباً ، فاستخدمه ، وأكسبه مالاً عظيماً ، وصار ذلك سبباً لحرمة الرجل به .

٢٢

أبو عمر القاضي يعامل بالجميل

رجلاً زوّر عنه رقعةً بطلب التصرّف

حدّثني أبو أحمد بن أبي الورد [شيخ من أبناء القضاة لقيته سنة تسع وأربعين وثلثمائة ببغداد][١] ، قال حدّثني أبي [٢٢ ب] وكان خصيصاً بأبي عمر القاضي[٢] .

إنّ رجلاً زوّر عنه رقعةً إلى أبي القاسم ابن الحواريّ[٣] ، يسأله تصريفه ، وكانت بينهما مودّة .

وصار الرجل بالرقعة إلى أبي القاسم، فأخذت منه وحُجِبَ ، فجلس يتوقّع الجواب .

فاتّفق أن جاء القاضي أبو عمر وأنا معه ليسلّم على ابن الحواريّ ، ودخلنا ، فوجد القاضي الرقعة بحضرته مشبهة بخطه ، فوجم لذلك ، وتشوّف[٤] لمعرفة الخبر ، وكان فيه من الوقار والرصانة والفضل المشهور الذي ضُرِبَ به المثل ، [ما لم يتبين لابن الحواريّ معه ذلك عليه ، وفطنت أنا لدربتي بأخلاقه][٥] .

وحانت لابن الحواريّ التفاتةٌ ، فرأى الرقعة في يده ، فقال : أيّها القاضي الساعة وَصَلَتْ ، وأنا أفعل ما التمسته في معنى الرجل .

---

١ الزيادة من ط .

٢ أبو عمر القاضي ، راجع ترجمته في حاشية القصة رقم ١ / ١٠ من النشوار .

٣ أبو القاسم ابن الحواري ، راجع ترجمته في حاشية القصة رقم ١ / ٦٣ من النشوار .

٤ التشوف : التطلع .

٥ في ط بدلا من هذه الجملة (ما لم يبن معه اضطراب) .

فشكره أبو عمر ، وخاطبه بما أوهمه فيه انّها رقعته ، من غير أن يطلق ذلك ، وكان أفعل الناس لهذا ، وأقدرهم على أن يتكلّم دائماً في الأمور بما يحتمل معنيين ، ويحتاج إلى تفسير للمقصد ، توقّياً منه ، ودهاء .

وقال أبو عمر : فليطلب الرجل ، إن كان حاضراً ويدخل ، فطلبوه وأدخلوه ، وقد امتقع لونه .

فقال له ابن الحواريّ : أنت الموصل لرقعة القاضي أعزّه الله ؟

فقال : نعم .

فقال له أبو عمر : إنّه أعزّه الله قد وَعَد بتصريفك والإحسان إليك ، فالزمه .

قال : وتحدّثا ساعة ، ونهض أبو عمر ، وقال لي سرّاً: [٢٠ ط] جئني به . فتأخّرتُ ونّسته[1] ، وحملته إليه ، فدخلت عليه به وهو خالٍ ينتظرنا وحْدَهُ .

فقال له : ويلك ، أتزوّر على خطّي ، وأنا حاكم ، وخطّي ينفذ في الأموال والفروج والدماء ؟ ما كان يؤمنك أن أعرّف أبا القاسم أمرك فتَصيرَ نكالاً .

فبكى الرجل وقال : والله ، أيّها القاضي ، ما حملني على ذلك إلاّ عدم القوت ، وشدة الفقر ، وأنّي وثقت بكرمك ففعلت ذلك ، إذ كان غير متّصل بحكم ولا شهادةٍ ، وقدّرت أيضاً أنّ ذلك ينستّر عنك ، وأنتفع أنا من حيث لا يضرّك .

فقال له أبو عمر : اللهَ إنّ الفقر حملك على هذا ؟

فقال : إي والله ، فبكى أبو عمر ، وسارَّ خادماً له ، فغاب الخادم قليلاً ،

---

[1] بمعنى آنسته : لغة بغدادية .

ثم جاء بصرّةٍ فيها مائة دينار ، ومنديلٌ فيه دستُ ثيابٍ ، فسلّمه إلى الرجل .

فقال له أبو عمر : اتّسع بهذا ، والبس هذا ، والزم أبا القاسم فإنّي أؤكّد عليه أمرك ، واحْلِفْ لي أن لا تزوّر على خطّي أبداً .

فحلف له الرجل على ذلك وانصرف .

فلما كان بعد شهور جاءنا مسلّماً على أبي عمر بمركوب حسن وثيابٍ فاخرةٍ ، فأخذ يشكر أبا عمر ويدعو له ، وهو لا يعرفه ، وقد ذكرته أنا .

فقال له أبو عمر : يا هذا على أيّ شيء تشكرني ؟

فقال : أنا صاحب الرقعة إلى أبي القاسم ابن الحواريّ ، الذي [٢٣ ب] وصلني القاضي بماله ، وأحياني بجاهه ، وقد صرّفني أبو القاسم طول هذه المدة ، فبَلَغَتْ حالي إلى هذا ، وأنا أدعو الله للقاضي أبداً .

فقال أبو عمر : الحمد لله على حسن التوفيق .

٢٣

أراد أن يزوّر على رجل مرتعش اليد

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش القاضي ، قال :

رأيت صديقاً لي على بعض زواريق الجسر ببغداد ، جالساً في يوم ريح شديد ، وهو يكتب .

فقلت ويحك في مثل هذا الموضع ، ومثل هذا الوقت ؟

فقال : أُريد أن أُزوّر على رجلٍ مرتعشٍ ، ويدي لا تساعدني ، فتعمدت الجلوس هاهنا لتحرُّك الزورق بالموج في هذه الريح، فيجيء خطّي مرتعشاً ، فيشبه خطّه .

٢٤

الوزير ابن مقلة يزوّر عليه أخوه

حدّثني أبو الحسين[١] ، قال :

حضرت أبا عليّ بن مقلة ، وقد عُرِضَتْ عليه ، وهو وزير ، عدّة تسبيبات ، وتوقيعات ، قد زوّرها عليه أخوه أبو عبد الله[٢] ، وارتفق عليها[٣] ، وكان أبو عبد الله حاضراً ، فاستقبح أن يفضحه فيها .

فلمّا كثرت عليه ، التفت إليه ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد خفّفت عنّا ، حتى ثقّلت ، وخشينا أن نثقّل عليك ، فأحبّ أن تخفّف عن نفسك هذا التعب .

قال : فضحك أبو عبد الله ، وقال السمع والطاعة للوزير .

---

١ يعني أبا الحسين بن عياش القاضي .

٢ أبو عبد الله : الحسن بن علي بن الحسن بن عبد الله بن مقلة، ومقلة اسم أمّ لهم، وأبو عبد الله أخ الوزير أبي علي محمد بن علي بن مقلة ، كان الوزير أوحد الدنيا في كتبة قلم الرقاع والتوقيعات ، وكان أبو عبد الله هذا أكتب من أخيه في قلم الدفاتر والنسخ ، ولد سنة ٢٧٨ وتوفي سنة ٣٣٨ ، وكان منقطعاً إلى بني حمدان سنين كثيرة ، يقومون بأمره أحسن القيام ، وكان ينزل في دار قوراء حسنة ، وفيها فرش تشاكلها ، ومجلس ، وله دشت للنسخ وحوض فيه أقلام ومحابر ، فيقوم ويتمشى في الدار إذا ضاق صدره ، ثم يعود فيجلس في بعض تلك المجالس ، وينسخ ما يخف عليه ، ثم ينهض ويطوف على جوانب البستان ، ثم يجلس في مجلس آخر ، وينسخ أوراقاً أخر ، فاجتمع في خزائنهم من خطه ما لا يحصى (معجم الأدباء ٣ / ١٥٠) .

٣ الارتفاق : الرشوة .

٢٥

عمران المملكة أساس صلاح الرعية

حدّثني القاضي أبو الحسن عليّ بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخيّ قال :

استتر في دورنا عند أبي ، أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، المعروف بابن حنزابة[1] ، وكنت حدَثاً ، فكان يستدعيني دائماً ، ونتحدّث ، وألعب معه الشطرنج .

فقال لي يوماً ، وقد جرى حديث نقصان [٢١ ط] دَخْلِ المقتدر عن خَرْجِه : نظرتُ ، فإذا دَخْل المملكة كذا وكذا ، وخَرْجها كذا وكذا ، وإذا دَخْلُ ضياع عمّي أبي الحسن ، وما قُبِض معها من ضياعنا ، كان في وقت قبضها ، كذا وكذا ، وهو اليوم ثلث ذلك ، ولو مُكّنْتُ من ضياعنا وحدها ، لعمّرتها ، فعاد ارتفاعها إلى ما كان عليه ، فوَفَرُ ما بين الارتفاعين يعمّر الدنيا كلها ، وإنّما أملاكنا شِقْصٌ[2] يسير من الأرض ، فكيف لو كان للدنيا من يهتمّ بعمارة جميعها ؟

قال القاضي أبو الحسن : وما سمعت أعظم من هذا ، وذلك قبل تقلّد أبي الفتح الوزارة .

وكان أبو الحسن ، يحفظ مبلغ المال ، وأخبرني به ، فذهب عنّي .

---

١ ابن حنزابة (٢٧٩ – ٣٢٧) : أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، ابن أخ أبي الحسن بن الفرات ، وزوج ابنته ، وكان كاتباً مجوّداً ، وحنزابة أمه ، وهي جارية رومية ، تقلد الوزارة للمقتدر ، ثم للراضي ، ثم ولي الشام ، وتوفي هناك (الأعلام ٥/٣٥١) .

٢ الشقص : القطعة من الشيء أو الأرض .

٢٦

الوزير ابن الفرات يحسن إلى خياط

حدّثني أبي رضي الله عنه ، قال :

بلغني أنّ أبا الحسن بن الفرات ، اجتاز وهو متوسّط الحال ، في بعض الدروب الضيّقة [١] راكباً ، وبين يديه غلامان ، فسال عليه ميزابٌ من دارٍ فصيّره آيةً ونكالاً .

فقال لأحد غلمانه : اطلب لي موضعاً أدْخُلُهُ .

فدقّ على قومٍ بابَهُمْ ، وكان صاحب الدار خيّاطاً ، فلما رأى شارة أبي الحسن ، وهيأته ، أعظمه وخدمه ، وأدخله وأجلسه ، وأخذ ثيابه فدفعها إلى زوجته لتغسلها [٢٤ب] ، وجلس يحادثه ، وبادر الغلام الآخر إلى دار أبي الحسن فجاءه بخلعة ثيـــاب قبل أن يفرغ من غَسْلِ ذلك القماش ، فلبسها ، وأمر بترك تلك الثياب على القوم ، وانصرف .

وضرب الدهر ضربه ، ووَليَ الوزارة الأوّلَة [٢] .

فاجتاز يوماً راكباً في موكب عظيم ، فقام الناس ينظرونه ، وقام الخيّاط ، فلما رآه عرفه ، فقال لأهل سوقه : إنّ لي مع هذا الرجل قصّة طريفة ، وأخبرهم بها .

فقالوا له : إنّه كريم ، ولو قصدته لانتفعت .

فلمّا كان من غدٍ قصده الخيّاط ، فصادف مصيره إلى بابه ركوب ابن الفرات ، فدعا له ، وقال : لي بالوزير حرمة .

---

[١] في ط : العتيقة .

[٢] الأولة بمعنى الأولى ، لغة بغدادية .

فتأمّله ابن الفرات ، فعرفه ، وتذكّر قصّته ، فأمر بإجلاسه .

فلما عاد استحضره وسأله عن خبره ، وخبر زوجته ، وأولاده .

فأخبره [ووصف خلّة] [1] .

فقال له : أيّما أحب إليك الجائزة أو الخدمة لنا ؟

فقال : بل خدمة الوزير .

فأمر له بألف دينار ، وأن يجعل رئيساً على الخيّاطين في داره ، ففعل به ذلك .

فما مضت عليه مديدة حتّى صار صاحب عشرات ألوف [2] .

---

١ الزيادة من ط .

٢ للوزير ابن الفرات قصة تشبه هذه القصة وردت في كتاب الوزراء للصابي (ص ٨٤) .

٢٧

الوزير المهلبي يحسن إلى كوّاز

وقد شاهدت أنا ، قريباً من هذا ، من الوزير أبي محمد ، الحسن بن محمد المهلّبي رحمه الله ، وذلك : إنّ أبا محمد عبد الرحمن بن نصر السكّريّ البصريّ ، صاحب البريديّين ، وتقلّد شرطة البصرة دفعات ، دعاه في وزارته ، فجاء إليه إلى داره في شارع المِرْبد .

فلمّا أراد الرجوع من داره إلى مسماران[1] — وكان أبو محمد المهلّبي رحمه الله ، قد نزلها — استقبح الاجتياز بالجامع مع أنّه شارب ، فعدل في الأزقّة إلى سَيْحان[2] ، ليركب منها طيّاره .

فلما بلغ حيث تُعْمَلُ الكيزان ، حقَنَهُ بَوْلُه ، فدخل دار قوم ضعفاء ، فبال ، فدعا له صاحب الدار .

فقال له : هذه الدار لك ؟ قال : لا ، هي بأجرة معي .

قال : كم أجرتها ؟ قال : خمسة دراهم في الشهر .

قال : وكم تساوي ؟ قال : خمسمائة درهم .

قال : وكم رأس مالك في عمل الكيزان ؟ قال : مائة درهم .

فدفع إليه في الحال ألف درهم ، وقال : اشترِ منها الدار ، ورُدَّ [٢٢ ط] الباقي في رأس مالك ، وركِبَ .

---

١ في ط : سمارات والصحيح ما أثبتناه من ب . ومسماران من ضواحي البصرة وكانت مقراً للبريديين . (راجع تجارب الأمم ٢ / ٥٣ و ٦٠ و ١١٢) .

٢ سيحان نهر بالبصرة كان للبرامكة ، والعرب تسمي كل ماء جار غير منقطع سيحان (معجم البلدان ٣ / ٢١٠) .

٢٨

من مكارم أخلاق الوزير أبي محمد المهلبي

وكان رحمه الله[١] ، من بقايا الكرام ، ولقد شاهدت له مجلساً في شهر رمضان ، سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، كأنّه من مجالس البرامكة ، ما شهدت مِثْلَهُ قط قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ ، وذلك :

إنّ كاتبه على ديوان السواد ، أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم ، المعروف بابن حاجب[٢] النعمان ، سقط من رَوْشَنٍ[٣] في دار أبي محمّد على دِجلَة ، فمات في اليوم الثامن من السقطةِ .

فجزع عليه أبو محمد ، وجاء من غدٍ إلى أولاده ، لأنّهم كانوا دفنوه[٤] عشيّاً ، وكنت معه [وحضر ، وقد أعدّوا له دستاً يجلس فيه ، فلما دخل عدل عنه ولم يجلس فيه][٥] ، فعزّاهم بأعذب لسان، وأحسن بيان [٢٥ ب] ، ووعدهم الإحسان ، وقال : أنا أبوكم ، وما فقدتم من ماضيكم غير شخصه .

ثم قال لابنه الأكبر أبي عبد الله : قد ولّيتك موضع أبيك ، ورددت

---

١ يريد الوزير المهلبي .

٢ في ب : صاحب ، والتصحيح من ط ومن المنتظم ٧ / ٩ وهو أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم ، وكان أبوه حاجب أبي المنذر النعمان بن عبد الله الكاتب (راجع القصتين ١/٦١ و٦٢ من النشوار) ، وكان أبو الحسين أحد أفراد الزمان في الفضل ، والنبل ، ومعرفة كتابة الدواوين، وكان إليه ديوان السواد في أيام معز الدولة، ولم تشاهد خزانة كتب أحسن من خزانته ، وله ستة مؤلفات (الفهرست ١٣٤) .

٣ الروشن : فارسية : روشان، وأصل معناها الضوء، ثم أطلقت على الكوّة لأنها تجلب الضوء ، ثم أطلقت على ما نسميه البلكون .

٤ في ط : آذنوه .

٥ الزيادة من ط .

إليك عَمَلَهُ ، ووليت أخاك أبا الحسين ، وكان هذا صبياً سِنّهُ إذ ذاك عَشْرُ سنين أو نحوها [كِتبة حضرة ابني أبي الغنائم][1] ، وأجريت عليه كذا وكذا — رزقاً كثيراً ، وقــد ذهب عنّي — فليَلْزَمهُ ، فإن سنيهما متقاربة ، ليتعلّم بتعلّمه ، وينشأ بنشأته ، فيجب حقّهُ عليه .

ثم قال لأبي العلاء صاعد بن ثابت ، خليفته على الوزارة[2] : اكتب عهداً لأبي عبد الله ، واستدع كلّ من كان أبو الحسين رحمه الله ، مستأجراً منه شيئاً ، فخاطِبْهُ في تجديد الإجارة للورثة ، فإن أكثر نعمته ، إنّما كانت دخالات وإجارات ومزارعات ، وقد انحلّت الآن بموته ، ومن امتنع فزِدْهُ من مالي ، واسأله ، ولا تقنع إلاّ بتجديد العقد كيفما جرَتِ الحال .

ثم قال لأبي المكارم بن ورقاء ، وكان سِلْفَ[3] الميت : إنّ ذيل أبي الحسن طويل ، وقد كنت أعلم إنّه يُجري على أخواته وأولادهنّ وأقاربه شيئاً كثيراً في كلّ شهر ، وهؤلاء الآن يهلكون بموته، ولا حصّة لهم في إرثه، فقم إلى ابنة أبي محمد المادرائي — يعني زوجة المتوفّى — ، فعزّها عنّي ، واكتب عنها جريدة[4] بأسماء جميع النساء اللواتي كان أبو الحسن يجري عليهنّ ، وعلى غيرهنّ ، من الرجال وضعفاء حاشيته .

وقال لأبي العلاء : إذا جاءك بالجريدة ، فأطلقها عاجلاً لشهر ، وتقدّم

---

١ الزيادة من ط ، وهو أبو الغنائم المفضل بن الوزير أبي محمد المهلبي ، وقد عين في السنة ٣٥٧ كاتباً للمرزبان بن بختيار بن معز الدولة لما ولاه والده البصرة (تجارب الأمم ٢ / ٢٤٧) .

٢ أبو العلاء صاعد بن ثابت : من رجال معز الدولة وابنه بختيار ، وكان يخلف الوزير المهلبي على الوزارة (تجارب الأمم ٢/٢٠٤ و ٢٤٣ والكامل ٨/٥٥٣) .

٣ سلف الرجل : زوج أخت امرأته ، يقال هما سلفان أي متزوجان بأختين ، ويسمى في العراق العديل ، يقال فلان عديل فلان أي إنهما متزوجان بأختين .

٤ الجريدة : القائمة (قاله عبد القادر المغربي) .

بإطلاقها على الإدرار ، فبلغت الجريدةُ ثلاثة آلاف وكسراً في الشهر ، وعملت في المجلس وأطلق مالها وامتثل جميع ما رسم به أبو محمد .

فلم يبق أحد إلاّ بكى رقّة واستحساناً لذلك .

ولقد رأيت أبا عبد الله محمد بن الحسن الداعي العلويّ[1] رحمه الله ، ذلك اليوم، وكان حاضراً المجلس، وقد أجهش بالبكاء، وأسرف في شكر أبي محمّد ، وتقريظه ، على قلّة كلامه إلاّ فيما يعنيه ، وعلى سوء رأيه – كان – في أبي محمد ، ولكنّ الفضل بهرَهُ ، فلم يمنعه ما بينهما ، أن نطق بالحق .

وقلت أنا ، لأبي محمد في ذلك اليوم : لو كان الموت يستطاب في وقت من الأوقات ، لطاب لكل ذي ذيل طويل ، في أيّام سيّدنا الوزير [أطال الله بقاءه][2]، فإنّ هذا الفعل ، تاريخ الكرم ، [وغاية تسامي الهمم][2] [٢٣ ط] وبه يتحقّق ما يروى عن الأسلاف من الأجواد ، والماضين من الكرماء الأفراد ، وغير ذلك ، ممّا حضرني في الحال .

ثم نهض أبو محمّد رحمه الله ، فارتفعت الضجّة من النساء ، والرجال ، وأهل الدار ، والشارع ، بالدعاء له ، والشكر .

---

١ أبو عبد الله محمد بن الحسن بن القاسم ، ووالده الحسن بن القاسم الملقب بالداعي ، إمام الزيدية الذي قام بالري وقتل سنة ٣١٦ ، وكان أبو عبد الله هذا مقيماً ببغداد ، ولم يكن ما بينه وبين الوزير المهلبي عامراً ، ولكن معز الدولة كان يجله كثيراً ، وبلغ من إجلاله له ، أنه دخل عليه يوماً وهو مريض ، فقبل يده استشفاء بها ، وحدث أن غاب معز الدولة في السنة ٣٥٣ عن بغداد ، فلقي أبو عبد الله ما ساءه من أحد أتباع عز الدولة بختيار بن معز الدولة ، فغضب ، وترك بغداد إلى بلد الديلم ، حيث اجتمع عليه عشرة آلاف رجل ، وتلقب بالمهدي لدين الله، وظفر في عدة حروب ، وتوفي في السنة ٣٥٩ (تجارب الأمم ١ / ٢٠٧ – ٢١٦ و ٢ / ٧٨) .

٢ وردت في ط .

٢٩

الوزير المهلبي وأبو عبد الله الأزدي الموصلي

حدّثني أبو محمد ، يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزديّ الموصليّ :

إنّ أبا [٢٦ ب] عبد الله ، والده ، رحمه الله[١]، توسّط بين أبي محمد المهلّبي ، وناصر الدولة ، في مال يحمله إلى معزّ الدولة ، من صلح الموصل ، فأنفق من المال أربعين ألف درهم ، لإضاقةٍ لحقَتْهُ .

وسَبّبَ عليه المهلّبيّ بالمالِ كاملاً ، وهو لا يعرف الخبر ، وكانت بينهما مودّة وأنْس ، فصحّح أبو عبد الله الموجود ، ودافع بما أنفق .

وجلَسَ يوماً في داره ليحتال العوَضَ ويردّه ، فجاءته رقعة أبي محمد يدعوه للشرب ، فدافع ، فعاوده ، فركب ، فأكلا ، وجلسا للشراب .

فقال له أبو عليّ الأنباري[٢] : أرى فيك يا سيّدي أبا عبد الله فتوراً ، وكانت بينهما مودّة ، [وأبو عليّ — إذ ذاك — يخلف الوزير أبا محمد على الوزارة][٣] وعنده ابنته[٤] ، فحدّثه أبو عبد الله بالحديث ، وإن قلبه مشغول ، إلى أن يتمّ له العِوَضُ ويردّه ، وسأله كِتْمانَ ذلك .

وتبيّن المهلّبيّ في أبي عبد الله ذلك الفتور ، فسأله عنه فورّى عن الصدق وكبرت نفسه عن إخباره بذلك ، فأمسك عنه ، وقام أبو عبد الله إلى البول ،

---

١ هو أبو عبد الله محمد بن سليمان ، استكتبه الأمير سيف الدولة الحمداني في السنة ٣٣٥ وظل كاتباً عنده حتى مات في السنة ٣٤٢ .

٢ في ط : الابياري ، والصحيح ما أثبتناه آنفاً (راجع تجارب الأمم ٢ / ١٢٤) .

٣ الزيادة من ط .

٤ في السنة ٣٣٩ زوج الوزير أبو محمد المهلبي ابنته من أبي علي الحسن بن محمد الأنباري الكاتب واستخلفه بالحضرة وانحدر إلى الأهواز (تجارب الأمم ٢ / ١٢٤) .

فقال أبو محمد لأبي عليّ الأنباريّ : أما ترى فتور أبي عبد الله وهو صديقك، وقد رأيته يسارّك ، وأظنه قد خرج إليك بسبب كسله ، فما هو ؟

فحدّثه أبو عليّ بالحديث .

فلما عاد، قال له أبو محمد: يا أبا عبد الله ، أيدّك الله ، ما أنصفتني في المودّة ، ولا أنصفت نفسك في السياسة ، تهتم بسبب أربعين ألف درهم ، أملك إسقاطها عنك ، فتكاتمني ذلك ، حتى كأنّها عليك لغريبٍ، أو بحقّ واجبٍ .

وأخذ أبو عبد الله يجحد ، ويقطّب في وجه أبي عليّ ، ثم أخرج سرّه .

فقال المهلّبيّ ، لأبي عليّ ، يجب الساعة أن ينفذ إلى الجَهْبَذ ، أن يكتب له — أيّده الله — روزاً بها [1] ، وأن تجعل أنت لها وجوهاً في الخَرْج ، وتولّد بها نفقات واجبات — كما تعلم — على الأمير معزّ الدولة [2] ، لتسقط عن أبي عبد الله — أيّده الله — ولا نغرمها نحن .

قال : فاستدعى الجهبذ وأخذ روزه ، وسلّمه إليه .

ثم قال له المهلّبيّ : أيّ شيء ضرّك أو ضرّني من هذا ، سقط عنك هَمٌّ وثقل ، وعنّي بقضائي بعض حقك ، وخرج المال من مال الأمير ، عد الآن إلى شربنا .

فما برح ليلته تلك من عنده ، وسقط المال عنه .

---

[1] الروز : وجمعها روزات ، فارسية : الوصل الذي يكتبه الجهبذ باستلام المال (راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ١١ / ٢) .

[2] في ط : يجب الساعة أن ينفذ إلى الجهبذ بأن يكتب له روزاً بها ، وأن تجعل أنت لها وجوهاً في الخرج والنفقات والاحتسابات فيما يعمل للأمير معز الدولة .

٣٠

عطايا الوزير المهلبي متواصلة

وقد أخبرني جماعة من نُدماء أبي محمد :

إنّه فرّق في ليلة من الليّالي عليهم ، وعلى جماعة كانوا حضوراً معهم ، من مغنّين وملهين وغير ذلك ، من الدراهم والثياب ، ما يبلغ قيمة الجميع خمسة آلاف دينار .

ورأيته أنا ، غير مرّة ، قد وهب للجهنيّ[1] ولأبي الفرج الأصبهانيّ[2] خمسة آلاف درهم [وأربعة آلاف درهم][3] ، ولغيرهما [٢٧ ب] دائماً .

---

١ أبو القاسم الجهني : راجع حاشية القصة رقم ١/١٢ من النشوار .

٢ أبو الفرج الأصبهاني : راجع ترجمته في حاشية القصة رقم ١/٣ من النشوار .

٣ الزيادة من ط .

٣١

الوزير القاسم بن عبيد الله

يأمر أستاذه بالارتفاق

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش ، قال : حدّثني أبو إسحق إبراهيم بن السريّ الزجّاج [١] ، قال :

كنت أؤدّب القاسم بن عبيد الله [٢] ، وأقول له : إن بلّغك الله مبلغ أبيك ، ووَلِيتَ الوزارة ، ماذا تصنع بي ؟ فيقول : ما أحببتَ . فأقول له : تعطيني عشرين ألف دينار [٣] ، وكانت غاية أمنيتي ، فيقول : نعم . [٢٤ ط]

فما مضت إلاّ سنون ، حتى وَلِيَ القاسمُ الوَزَارَة ، وأنا على ملازمتي له ، وقد صرت نديمه ، فدعتني نفسي إلى إذكاره بالوَعْدِ ، ثم هبته .

فلما كان في اليوم الثالث من وزارته ، قال لي : يا أبا إسحق ، لم أرك أذكرتني بالنَذْر ؟ .

فقلت : عوّلت على رعاية الوزير أيّده الله ، وأنّه لا يحتاج إلى إذكارٍ لنَذْرٍ عليه ، في أمر خادم واجب الحقّ .

فقال لي : إنّه المعتضد ، ولولاه ما تعاظمني دفع ذلك إليك في مكان

---

١ أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، انظر ترجمته في حاشية القصة رقم ١ / ١٤٦ .

٢ الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب : كان من دهاة العالم ومن أفاضل الوزراء ، وكان شهماً ، لبيباً ، فاضلا محصلا ، كريماً ، مهيباً ، جباراً ، وكان يطعن في دينه ، واتهم بأنه قتل ابن الرومي بالسم ، ومات المعتضد وهو وزيره ، وأقره المكتفي على الوزارة ، وجل أمره في أيام المكتفي وعظم شأنه ، ومات وهو وزير المكتفي . (الفخري ٢٥٧) .

٣ ورد في ب : عشرة آلاف دينار .

واحد ، ولكنّي أخاف أن يصير لي معه حديث ، فاسمح لي بأخذه متفرّقاً .

فقلت : يا سيّدي ، أفْعَل .

فقال : اجلس للناس ، وخُذْ رقاعهم ، للحوائج الكبار ، واستجعل عليها[1] ، ولا تمتنع عن مسألتي شيئاً تخاطب فيه ، صحيحاً كان أو محالاً ، إلى أن يحصل لك مال النذر .

قال : ففعلت ذلك ، وكنت أعرض عليه ، كلّ يوم ، رقاعاً ، فيوقّع فيها لي ، وربّما قال : كم ضُمِنَ لك على هذا ؟ فأقول : كذا وكذا ، فيقول : غُبِنْتَ[2] ، هذا يساوي كذا وكذا ، ارجع فاستزد ، فأراجع القوم ، ولا أزال أماكسهم ، ويزيدوني حتّى أبلغ الحدّ الذي رسمه لي .

قال : وعرضت عليه شيئاً عظيماً ، فحَصَلَتْ عندي عشرون ألف دينار [وأكثر منها][3] ، في مديدة .

فقال لي بعد شهور : يا أبا إسحق ، حصل مال النذر ؟

فقلت : لا ، فسكت .

وظللت أعرض ، فيسألني في كل شهر أو نحوه ، هل حصل المال ؟ فأقول : لا ، خوفاً من انقطاع الكَسْب ، إلى أن حصل عندي ضِعْفُ ذلك المال .

وسألني يوماً ، فاستحييت من الكذب المتّصل ، فقلت : قد حصل ذلك ببركة الوزير .

فقال : فرّجت والله عني ، فقد كنت مشغول القلب ، إلى أن يحصل لك .

---

١ استجعل : طلب الجعل أي الأجر .

٢ في ط : غلطت .

٣ الزيادة من ط .

قال : ثمّ أخذ الدواة ، فوقّع لي إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة ، فأخذتها ، وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً ، ولم أدر كيف يقع منه .

فلما كان من غدٍ جئته ، وجلست على رسمي ، فأومأ إليّ ، أن هات ما معك ، يستدعي منّي الرقاع على الرسم .

فقلت : ما أخذت رقعة من أحد ، لأنّ النَذْرَ قد وقع الوفاء به ، ولم أدر كيف أقع من الوزير .

فقال : سبحان الله ، أتراني كنت أقطع شيئاً قد صار لك عادة [٢٨ ب]، وعلم به الناس ، وصارت لك به منزلة عندهم وجاه ، وغدوٌّ ورواح إلى بابك ، ولا يعلم سبب انقطاعه ، فيظن ذلك لضعف جاهك عندي ، أو تغيّر رتبتك ؟ أعرض عليّ على رسمك ، وخذ بلا حساب .

فقبّلت يده ، وباكرته من غد بالرقاع ، وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات ، [وقد تأثّلت حالي وكبرت] [1] .

---

[1] الزيادة من ط . أورد ابن الجوزي في كتابه المنتظم (٦/١٧٧) هذه القصة ، ثم علق عليها بما يلي : قال المصنّف : رأيت كثيراً من أصحاب الحديث والعلم ، يقرأون هذه الحكاية ، ويتعجبون مستحسنين لهذا الفعل ، غافلين عما تحته من القبيح ، وذلك أنه يجب على الولاة إيصال قصص المظلومين وأهل الحوائج ، فإقامة من يأخذ الاجعال على هذا قبيح حرام ، وهذا مما يهن به الزّجاج وهناً عظيماً ، ولا يرتفع ، لأنه إن كان لم يعلم ما في باطن ما قد حكاه عن نفسه فهذا جهل بمعرفة حكم الشرع ، وإن كان يعرف فحكايته في غاية القبح ، نعوذ بالله من قلة الفقه .

٣٢

الوزير عبيد الله بن سليمان

يبيع جزءاً من مال الدولة لأحد صنائعه

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش ، قال : حدّثني شيخٌ من شيوخنا ، ذكرَهُ هو ، وقد غاب [١] عنّي اسمه [٢] ، قال : حدّثني أبو عبد الله بن أبي عوف [٣] ، قال :

استتر عندي ، عبيد الله بن سليمان [٤] ، فدخلت إليه يوماً ، في حجرةٍ كنت أفردتها له من داري ، فقام إليّ ، فقلت له ممازحاً كما جرى على لساني : يا سيّدي اخبأ لي هذا ، إلى وقت انتفع به فيه .

قال : فلمّا كان بعد مدّة ، انتقل من عندي ، فما مضت الأيّام حتّى ولّيَ الوزارة .

فقال لي أهلي : لو قصدته ، وكانت حالي إذ ذاك صغيرة .

فقلت لهم : لا أفعل ، أنا في سترٍ ، وقصدي له الآن كأنّه اقتضاء

---

١ في ب : ذهل .

٢ في ب : اسم القاضي ، والتصحيح من ط .

٣ أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن مرزوق بن عطية بن أبي عوف المروزي ، إليه ينسب شارع ابن أبي عوف ، المسلوك فيه إلى نهر القلائين ، جاء في المنتظم ٦/ ٩٠ أنه كان عفيفاً ثبتاً ، وكانت له حال من الدنيا واسعة ، وله منزلة من السلطان واختصاص بالوزير عبيد الله بن سليمان ومودة في نفس العوام ، توفي في السنة ٢٩٧ .

٤ عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وزير المعتمد على الله والمعتضد ، وكان أبوه وزير المهتدي وأحد عقلاء العالم وذوي الرأي منهم ، أصلهم نصارى وأسلموا وخدموا في الدواوين ، وكان عبيد الله بن سليمان من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب ، وكان بارعاً في صناعته حاذقاً ماهراً لبيباً جليلا ، توفي في السنة ٢٨٨ . (الفخري ٢٤٧ و ٢٥٤)

لثمن معروف أسديته إليه ، وما أرضى لنفسي بهذا ، ولو كان لي عنده [٢٥ ط] خير لابتدأني به ، فبتّ ليلتي تلك مفكراً ، وكان هذا يوم الخلع .

فلما كان في السَّحَرِ جاءني فُرانِقُهُ[١] برقعة بخطّه ، يُعاتِبُني على تأخّري عنه ، ويستدعيني .

فصرت إليه ، فإذا هو جالس ، والخلق عنده ، فلما صرت مع دسته ، قام إليّ قياماً تاماً ، وعانقني ، وقال لي في أذني : هذا وقت تنتفع فيه بقيامي لك ، وجلس ، وأجلسني معه على طرف الدست ، فقبّلت يده ، وهنّأته ودعوت له .

ومضت ساعة ، فإذا قد استدعاه المعتضد[٢] ، فقام ، وأمرني أن لا أبرح. فجلست ، وامتدّت العيون إليّ ، وخوطبت في الوقت ، بأجلّ خطاب ، وعُظّمتُ .

ثم عاد عبيد الله ضاحكاً ، وأخذ بيدي إلى دار الخلوة ، فقال : ويحك إنّ الخليفة [الساعة][٣] استدعاني بسببك، وذلك انّه كوتب بخبر قيامي لك في مجلس الوزارة ، فلمّا استدعاني الآن بدأ لينكر عليّ وقال : تبتذل مجلِسَ الوزارة بالقيام لتاجرٍ ؟ ولو كان هذا لصاحب طَرَفٍ كان محظوراً[٤] ، أو وَليّ عهد كان كثيراً ، وأخذ يتحاور في ذلك[٥] .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، لم يذهب عنّي حقّ المجلس ، وتوفية الرتبة

---

١ في ط : فرّاشه .

٢ الخليفة المعتضد : أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل : راجع ترجمته في القصة المرقمة ١ / ٧٣ من النشوار .

٣ الزيادة من ط .

٤ صاحب الطرف : العامل الكبير مثل عامل مصر أو الشام أو خراسان .

٥ في ط : يتجاوز ذلك .

حقّها ، ولكنّ لي عذراً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يسمعه، ثم ينفذ حكمه فيّ ، وأخبرته بخبري معك وقت استتاري عندك ، فقال : أمّا الآن ، فقد عذرتك ، فلا تعاود ، فانصرفت .

ثم قال لي عبيد الله : يا أبا عبد الله إنّي قد شهرتك شهرة ، إن لم تكن معك مائة ألف دينار [٢٩ ب] معدّة للنكبة ، هلكت ، فيجب أن نحصّلها لك لهذه الحال فقط ، ثم نحصّل لك نعمة بعدها ، تَسَعُكَ وعَقِبكَ .

فقلت : أنا عبد الوزير ، وخادمه ، ومؤمّله .

فقال : هاتم[1] فلاناً الكاتب ، فجاء .

فقال : أحضر التجّار الساعة ، وتقصّ[2] عليهم في تسعير مائة ألف كرّ[3] من غلاّت السلطان بالسواد بما يساوي ، وعرّفني .

فخرج ، وعاد بعد ساعة ، وقال : قد قرّرت ذلك معهم .

فقال له : بِعْ على أبي عبد الله ، هذه المائة ألف كر ، بنقصان دينار واحد ممّا قرّرت به السعر مع التجّار ، وبِعْهُ لَهُ عليهم بالسعر المقرّر معهم ، وطالبهم بأن يعجّلوا له[4] فَضْلَ ما بين السعرين اليوم ، وأخّرهم بالثمن إلى أن يتسلّموا الغلاّت ، واكتب إلى النواحي بتقبيضهم إيّاها .

قال : ففعل ذلك ، فقمت عن المجلس ، وقد وصل إليّ مائة ألف

---

١ هاتم : لغة بغدادية في (هاتوا) .

٢ في ط : واعرض .

٣ الكرّ : وجمعه أكرار : مكيال قيل إنه أربعون أردباً . والأردب : وجمعه أرادب مكيال يسع أربعة وعشرين صاعاً ، والصاع : وجمعه أصواع : أربعة أمداد ، والمد : يساوي ١٨ لتراً تقريباً (المنجد) ، وجاء في تجارب الأمم (٢ / ٩١) أن الكر سبعة عشر قنطاراً بالدمشقي لأن الكر أربع وثلاثون كارة ، والكارة خمسون رطلا بالدمشقي .

٤ في ب : بأن يحملوا إليه .

دينار في بعض يوم ، وما عملت شيئاً .

ثم قال : اجعل هذه أصلاً لنعمتك ، ومعدّة للنكبة ، ولا يسألنّك أحد من الخلق شيئاً إلاّ أخذت رقعته ، وواقفته على أجرة لك عليها ، وخاطَبتني .

قال : فكنت أعرض عليه في كل يوم ما يصل إليّ فيه ألوف دنانير ، وأتوسّط الأمور الكبار ، وأُداخِل في المكاسب الجليلة ، حتّى بلغت النعمة إلى هذا الحد .

وكنت ربما عرضت عليه رقعة ، فيقول لي : كم ضمن لك على هذه ؟

فأقول : كذا وكذا .

فيقول : هذا غلط ، هذا يساوي كذا وكذا ، ارجع فاستَزِدْ .

فأقول له : إنّي أستحي .

فيقول : عرّفهم أنّي لا أقضي لك ذلك إلاّ بهذا القدر ، وأنّي رسمت لك هذا .

قال : فأرجع ، فأستزيد ما يقوله ، فأزاد .

٣٣

الوزير عبيد الله بن سليمان

ورقاع إسماعيل القاضي

حدّثني أبي رضي الله عنه ، قال : سمعت القاضي أبا عمر ، يقول : عرَضَ إسماعيل القاضي [١] ، وأنا معه ، على [٢٦ ط] عبيد الله بن سليمان ، رقاعاً في حوائج الناس ، فوقّع فيها .

فعرض أخرى ، وخشي أن يكون قد ثقّل عليه ، فقال له : إن جاز أن يتطوّل الوزير أعزّه الله بهذا ، فوقّع له .

فعرض أُخرى ، [وقال : إن أمكن الوزير أن يجيب إلى هذا ، فوقّع ، ثم عرض أُخرى] [٢] ، وقال : إن سَهُلَ على الوزير أن يفعل ذلك ، فوقّع له ، فعرض أُخرى ، وقال شيئاً من هذا الجنس .

فقال له عبيد الله : يا أبا اسحق ، كم تقول إن أمْكَنَ ؟ وإن جازَ ؟ وإن سَهُلَ ؟ من قال لك إنّه يجلس هذا المجلس ، ثم يتعذّر عليه فِعْلُ شيء على وجه الأرض من الأمور ، فقد كذّبك ، هات رقاعك كلّها ، في موضع واحد .

قال : فأخرجها إسماعيل من كمّه ، وطرحها بحضرته ، فوقّع فيها ، وكانت مع ما وقّع فيه قبل الكلام نحو ثمانين [٣] رقعة .

---

١ أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد الأزدي ، القاضي ، من أهل البصرة ، ولد سنة ٢٠٠ وولي القضاء في خلافة المتوكل ، وظل قاضي بغداد ١٧ سنة . توفي في السنة ٢٨٢ (المنتظم ٥ / ١٥١) .

٢ الزيادة من ط .

٣ في ط : ستين .

٣٤

الوزير ابن مقلة

يتبرّم برقاع ذوي الحاجات

حدّثني الحسين [٣٠ ب] بن الحسن الواثقيّ ، قال :

كنت أرى دائماً ، أبا محمد جعفر بن ورقاء[١] ، يعرض على أبي عليّ ابن مقلة[٢] ، في وزارته ، الرقاعَ الكثيرة ، في حوائج الناسِ ، في مجالس حفلهِ وخلوتهِ ، فربّما تجاوز ما يعرضه في يومٍ ، مائة رقعة .

فعَرض عليه يوماً ، في مجلسٍ خالٍ ، شيئاً كثيراً ، فضجر أبو عليّ ، وقال له : إلى كم يا أبا محمد ؟

فغضب جعفر ، وقال : أيّد الله الوزير ، إن كان فيها شيء لي فخَرِّقْهُ ، إنّما أنت الدنيا ونحن طُرُقٌ إليك ، وعلى بابك الأرملة ، والضعيف ، وابن السبيل ، والفقير ، ومن لا يصل إليك ، فإذا سألونا سألناك ، فإن صَعُبَ هذا عليك ، أمَرَنا الوزير — أيّدَهُ الله — أن لا نعرض عليه شيئاً ، ونعرِّف الناس ثِقْلَ حوائجهم عليه ، وضَعْفَ جاهنا عنده ، ليعذرونا .

فقال له أبو عليّ : لم أذهب حيث ذَهَبْتَ يا أبا محمد ، وإنّما أردت أن تكون هذه الرقاع الكثيرة في مجلسين ، أو مجلس يحضر فيه الكتّاب فيخفّفون عنّي بالتوقيعات فيها ، ولو كانت كلّها حوائج تخصّك لقضيتها ، وكان سروري بذلك أعظم ، هاتها .

قال : فأخذها جميعها ، ووقّع له فيها بما التمس أرباب الرقاع .

فشكره جعفر ، وقبّل يده ، وانصرف.

١ أبو محمد جعفر بن ورقاء : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ٨ من النشوار .

٢ أبو علي بن مقلة الوزير : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٧ من النشوار .

٣٥

الوزير علي بن عيسى

ورقاع أبي بكر الشافعيّ

حدّثني الفضل بن أحمد الحيّاني [١] ، قال : قال لي أبو بكر الشافعيّ [٢] صاحب عليّ بن عيسى :

لما أفلتنا من مصادرة المحسّن بن الفرات ، بعد ما جرى عليّ من مكروهه ، ومصادرته ، وإيقاعه بي بسبب صحبتي لعليّ بن عيسى ، وأفضى الأمر إلى أبي الحسن عليّ بن عيسى ، أردت الانتفاع بأمور أتكلّم فيها ، أُخْلِف بما آخذه منها ، بعض ما صودرت عليه ، فأخذت رقاعاً كثيرة للناس ، وكنت أعرضها على أبي الحسن فيوقّع فيها .

فعرضت عليه يوماً شيئاً كثيراً ، فضجر مني ، فقلت : أيها الوزير ، إذا كان حظّنا من أعدائك ، في أيّام نكبتك الصفع ، ومنك ، في أيّام ولايتك ، المنع ، فمتى — ليت شعري — وقت النفع ؟

قال : فضحك ، ووقّع لي في جميعها ، وما تضجّر من شيء أعرضه عليه بعد ذلك .

---

١ في ط : الجباني .

٢ أبو بكر الشافعي : صاحب الوزير عليّ بن عيسى ، كان أثيراً عنده ، راجع القصص ١ / ٥٠ و ٢ / ١٢٧ من النشوار ، وكتاب الوزراء للصابي ص ٣٥٧ و ٣٦١ .

٣٦

الوزير علي بن عيسى

ومحمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشميّ

حدّثني أبو السريّ ، عمر بن محمد القارىء[1] ، قال : حدّثني أبو القاسم عيسى بن عليّ بن عيسى[2] ، قال : قال لي أبي :

عرض عليّ أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشميّ [٢٧ ط] ، في بعض وزاراتي ، رقعة التمس فيها محالاً ، وقبّل يدي ، فعملت على إجابته إليه ، وتركت الرقعة بحضرتي ، أتفكّر كيف أعمل ذلك من غير عتب .

وعرض لي رأيٌ في الركوب ، فنهضت .

فقبض محمد بن الحسن على يدي ، وقال : أنا نفيّ من العبّاس إن تركت الوزير يركب ، إلا بعد أن يوقّع لي في رقعتي ، أو يقبّل يدي كما قبّلتُ يَدَهُ .

قال : فوَقّعتُ له قائماً [٣١ ب] ، وعجبت من سوء أدبه ، وعِظم وقاحته .

---

١ راجع القصة ١ / ١٧٨ من النشوار ، حيث ذكر المؤلف في تلك القصة اسم أبي السريّ محمد بن عمر التازي البغدادي المعروف بابن عتاب السقطي .

٢ أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح : نظر عيسى للطائع ، وكتب له ، وأملى الحديث ، وكان عارفاً بالمنطق ، فرمى بشيء من مذهب الفلاسفة ، ولد سنة ٣٠٢ وتوفي ببغداد سنة ٣٩١ (المنتظم ٧ / ٢١٨) .

٣٧

الوزير أبو محمد المهلبيّ

ومحمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشميّ

ولقد شاهدت [١] أبا بكر محمد بن الحسن ، هذا ، في سنة خمسين وثلثمائة ، وقد تقلّبت الأيّام به ، وبأهل بيته ، بحضرة أبي محمّد المهلّبيّ ، وقد كان العيّارون ثاروا ببغداد ، وأوقعوا فتناً عظيمة ، كان أصلها بنو هاشم ، وغلقوا الجامع بالمدينة [٢] فلم تصلّ فيه تلك الجمعة .

وكان سببُ ذلك ، عَرْبدةٌ وقعت بين رجل عباسيّ وبين رجل علويّ ، على نبيذ ، في خندق طاهر [٣] ، فقُتل العلويّ ، وثار أهله به ، وثارت الفتنة ودخلت العامّة فيها ، وعظُم الأمرُ ، حتى أُجلسَ الديلمُ في الأرباع ، وكان شيئاً هائلاً .

ولم تسكن الفتنة ، فقبض أبو محمد ، على أكثر بني العبّاس ، الوجوه والمستورين ، والعيّارين منهم والذعّار [٤] ، حتى قبض في جملتهم على عدّة قضاة وشهود هاشميّين وصلحاء ، وكان ممّن قبض عليه محمد بن الحسن ابن عبد العزيز .

وجلس لهم الوزير أبو محمد ، يوماً ، ليناظرهم ، وسامهم [٥] أن يسمّوا

---

١ الحديث للمؤلف القاضي التنوخي .

٢ يعني مدينة المنصور .

٣ الخندق المحيط بالحريم الطاهري ، ويقع الحريم الطاهري على الشاطىء الغربي لدجلة ، بين مدينة المنصور ومدينة الكاظمية الحالية .

٤ الذعر والدعر بمعنى واحد : الخبيث ، ويطلق على من يسمون الآن في العراق عند العامة : أشرار ويسمون الواحد منهم (شر) .

٥ سامهم : كلفهم .

له العيّارين منهم ، والأحداث ، وحملة السكاكين ، ليقبض عليهم ، ويفرج عن الباقين ، وأن يكفّل منه أهل الصلاح ، لأهل الطلاح ، ويأخذون على أيديهم ، لتطفأ نائرة[1] الفتنة .

وكان القاضي أبو الحسن ، محمد بن صالح الهاشميّ ، حاضراً ، فأخذ يتكلّم بكلام سديد ، في دفع هذا ، وترقيق المهلّبيّ ، ويرفق به .

فاعترض ابن عبد العزيز الخطاب ، وتكلّم بكلام فيه حراشة[2] وجفاء وخشونة .

فسمعت أبا محمد يقول له : يا ماصّ كذا وكذا ، ما تدع جهلك ، والخيوط[3] التي في رأسك ، كأنّي لا أعرفك قديماً وحديثاً ، وأعرف حمقك ، وحمق أبيك ، وتشنيعك لمجالس الوزراء ، وشهوتك أن تقول : قال الوزير ، فقلت له ، وما تظن إلا أنّ المقتدر على السرير ، وأنا أحد وزرائه ، ولا تعلم أنّ صاحب السرير اليوم ، هو الأمير معزّ الدولة الديلميّ ، يرى أنّ في سفك دمك قربة إلى الله تعالى ، وأنّ وزنك عنده كوزن الكلب ، يا غلمان جرّوا برجله .

فجرّت رجله ونحن حاضرون ، فرأيت قلنسوة كانت على رأسه ، وقد سقطت .

ثم قال : طبّقوا عليه زورقاً ، وانفوه إلى عمان ، فأجلس في الزورق ، وحُدِر .

فقبّلت الجماعة يده ، وراسله الخليفة المطيع لله في أمره ، ولم تزل

---

١ في ب : نار .

٢ الحراشة : الخشونة .

٣ الخيوط : كناية بغدادية عن الجنون والحمق ، ما تزال مستعملة .

المراسلات ، إلى أن عفا عنه ، وألزمه بيته، وأخذ خطّ أهله بجميع ما كانوا امتنعوا منه، ممّا سامهم إيّاه ، وتلقّط خلقاً من أحداث الهاشميّين ، وغيرهم من العامّة ، وأهل الذعارة والعصبيّة، فجعلهم في زواريق ، وطبّقها عليهم ، وسمّرها ، وأنفذها إلى بصنّى[1] وبيروذ[2]، فحبسهم في حبوس ضيّقة هناك ، ودور تجري مجرى القلاع ، فكانوا فيها [٣٢ ب] إلى أن مات أبو محمّد ، ومات منهم خلق في الحبس ، ثم أطلق [٢٨ ط] بقيّتهم ، على قلّتها ، بعد موته بسنين ، وزالت الفتنة إلى الآن .

---

١ بصنّى : مدينة صغيرة من نواحي الأهواز تنسج فيها الأنماط ويكتبون عليها بصنّى (معجم البلدان ١ / ٦٥٦) .

٢ بيروذ : ناحية بين الأهواز ومدينة الطيب ، كبيرة وبها نخل كثير حتى إنها تسمى البصرة الصغرى (معجم البلدان ١ / ٧٨٦) .

٣٨

لو سلم من العشق أحد

لسلم منه أبو خازم القاضي

حدّثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمديّ[١] ، كاتب القضاة من بني عبد الواحد بالبصرة ، وله شعر جيّد حسن ، واتّساع تام في الأدب ، رواية[٢] له وحفظ ، وكتب مصنّفة فيه ، قال : حدّثني أبو إسحاق الزجّاج ، قال :

كنّا ليلة بحضرة القاسم بن عبيد الله[٣] [يشرب][٤] ، وهو وزير ، فغنّت [بدعة][٤] جارية [عريب][٤] .

أدلّ فأكْرِمْ بـه من مدلّ ومن ظالم لـدمي مستحلّ

إذا ما تعزّز قابلْتُــهُ بِذُلّ وذلك جَهْدُ المقلّ

فأدّت فيه صنعة حسنة ، فطرِبَ القاسم عليه طرَباً شديداً ، واستحسن الصنعة والشعر ، وأفرط في وصف الشعر .

فقالت بدعة : يا مولاي ، إنّ لهذا الشعر خبراً أحسن منه .

---

١ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي : صاحب كتاب الموازنة بين الطائيين (أبي تمام والبحتري) في عشرة أجزاء ، كان حسن الفهم ، جيد الدراية ، والرواية ، سريع الإدراك ، وهو من أهل البصرة ، كان يكتب بمدينة السلام لأبي جعفر هارون بن محمد الضبي ، وكتب بالبصرة لأبي الحسين أحمد وأبي أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى ، وبعدهما لقاضي البلد جعفر بن عبد الواحد الهاشمي على الوقوف التي تليها القضاة ، ثم لأخيه أبي الحسن محمد بن عبد الواحد لما ولي قضاء البصرة . وكان كثير الشعر حسن الطبع جيد الصنعة ، توفي سنة ٣٧٠ (معجم الأدباء ٣ / ٥٤) .

٢ في ط : دراية .

٣ سبقت ترجمة الوزير القاسم في حاشية القصة ١ / ٣١ من النشوار .

٤ الزيادة من ط .

قال : ما هو ؟

قالت : هو لأبي خازم القاضي [1] .

قال : فعجبنا من ذلك ، مع شدّة تقشّف أبي خازم ، وبغضه [2] ، وورعه ، وتقبّضه .

فقال لي الوزير : بالله يا أبا إسحاق ، بكّر إلى أبي خازم ، وسله عن هذا الشعر وسببه .

فباكرته ، وجلست حتى خلا وجهه ، ولم يبق إلاّ رجل بزيّ القضاة عليه قلنسوة ، فقلت له : شيء أقوله على خلوة .

فقال : قل ، فليس هذا ممّن أكتم .

فقصصت عليه الخبر ، وسألته عن الشعر والسبب .

فتبسّم ، وقال : هذا شيء كان في الحداثة ، قلته في والدة هذا — وأومأ إلى القاضي الجالس، فإذا هو ابنه — وكنت إليها مائلاً، وكانت لي مملوكة ، ولقلبي مالكة ، أمّا الآن فلا عهد لي بمثله منذ سنين ، وما عملت شعراً منذ دهر طويل ، وأنا أستغفر الله مما مضى .

قام : فوَجَمَ الفتى ، وخَجِلَ ، حتى ارفضّ عرَقاً .

وعدت إلى القاسم فأخبرته ، فضَحكَ من خجلِ الابن ، [وقال : لو سلم من العشق أحدٌ ، لكان أبو خازم مع بغضه] [3] .

وكنّا نتَعاوَد ذلك زمانا .

---

[1] أبو خازم القاضي : عبد الحميد بن عبد العزيز ، أصله من البصرة ، وسكن بغداد ، وولي القضاء بالشام والكوفة وبغداد . توفي أبو خازم في سنة ٢٩٢ (المنتظم ٦/٥٥) .

[2] البغض هنا من البغاضة : وهو اصطلاح بغدادي تطلق بحسبه كلمة : بغيض على المسرف في التقشف والتزمت والوقار . وفي ط : تعصبه .

[3] هذه الفقرة ساقطة من ط .

٣٩

علويّ يفتخر بنفسه

أنشدني أبو إسحاق[١] ، إبراهيم بن عليّ النصيبينيّ المتكلّم ، وأبو الفرج عبد الواحد بن نصر الببغاء[٢] وغيرهما ، قالوا :

أنشدنا أبو عبد الله ابن الأبيض العلويّ بالشام ، لنفسه :

وأنا ابن معتلج البطاح تضمّني ... كالدرّ في أصداف بحر زاخر

ينشقّ عنّي ركنها وحطيمها ... كالجفن يفتح عن سواد الناظر

كجبالها شرفي ومثل سهولها ... خلقي ومثل ظبائهن مجاوري[٣]

[وذكر أبو الحسن السلامي[٤] : إنّ أبا الحسن الرامي مرّ على عليّ بن خلف القطّان البغداديّ ، وأنشده هذه الأبيات لنفسه][٥] .

---

١ في ط : أبو القاسم .

٢ انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ٥٢ من النشوار .

٣ يعني أن مجاوره كظباء مكة آمن من كل تعد .

٤ أبو الحسن السلامي : محمد بن عبد الله ، ولد بالكرخ ببغداد سنة ٣٣٦ ، وقال الشعر وهو صبي ، وورد الموصل وهو مراهق ، فامتحنه الشعراء في قول الشعر ، وأجلوه وعظموه ، ثم استقر لدى الصاحب بن عباد فألحقه بخدمة عضد الدولة . توفي في سنة ٣٩٤ (اليتيمة ٢ / ٣٩٦)

٥ هذه الجملة انفردت بها ط .

٤٠

ابن قناش الجوهري يصف دجلة

أنشدني أبو جعفر طلحة بن عبيد الله الطائيّ البغداديّ ، المعروف بابن قناش الجوهريّ لنفسه :

أنـا ظام فاسقنيهـا   إنّـني حلف اختيال
ما ترى دِجلَةَ كالسـ   ـاحب أذيال الدلال
وهي تزهى بقصور   عن يمـين وشمال [٢٩ ط]
وبمـاء قد حكى المدّ   بـه ظهر غـزال [٣٣ ب]

٤١

في هجاء مغن طنبوري

[ص ٣٤] أنشدني أبو الحسن، محمد بن عبد الواحد ، في ابن طرخان[١] المغنّي الطنبوريّ ، لنفسه ، وله اتّساع في الأدب تام :

قل لابن طرخان[٢] أما تستحي   تقرن تطفيلك بـالبـاس
يـا أخرج الناس من إيقاعه   وأدخل الناس إلى الناس

وقال :

يا من يصيح بحلقٍ ما لـه طبقهْ   ولا يوافق زيراً لانَ أو خرقهْ
فارقت بينك والإيقاع في قَرَنٍ   فأنت أطفل من كلب على مرَقَهْ
فإن دعيت ففي الأحيان عن غلط   وإن حظيت بشيء فهو من صدقه

---

١ في ب: طرفان، والتصحيح من ط. أبو القاسم بن طرخان، راجع القصة ٣/١٧٥ من النشوار.

٢ في ب : قلت لابن فعال ، وفي ط : قل لابن أفعال .

٤٢

للكاتب بشر بن هارون

في هجاء أحد خلفاء القضاة ببغداد

أنشدني أبو نصر بشر بن هارون ، الكاتب النصرانيّ البغداديّ[١] ، لنفسه ، في أبي رفاعة بن كامل ، أحد خلفاء القضاة ببغداد ، على بعض سوادها :

قضى شعري على القاضي بحكمٍ   أجاب إليه مصفوعاً مذالا
ولو لم يستجب لنتفت منه   سِبالاً إن وجدت له سبالا
ونتف سباله شيء محال   لأنّ الحلق صيّره محالا

---

١ أبو نصر بشر بن هارون الكاتب النصراني البغدادي : كان أبو نصر كاتباً في الديوان أيام الوزير ابن الفرات (تجارب الأمم ١ / ١١٢) . وهو من أطيب الناس شعراً ، وأملحهم فكاهة ، ويتضح من هذه القصة والتي تليها في هذا الجزء ، وفي قصص أخرى تليها في أجزاء أخرى من النشوار ، أن هذا الكاتب يمتاز بالذكاء ، والألمعية وسلامة الذوق ولطف التعبير ، وكانت له صحبة مع أبي عبد الله بن الحجاج وقد ذكره في قصيدة له ، قال :

يا سيدي فاستمع لنادرة   غريبة قد مشى بها وقفي
بشر بن هارون حين يسمعها   يعجب منها ويضحك البستي

٤٣

بشر بن هارون الكاتب

يشكو من رئيسين صُرِفَ أحدهما بالآخر

وأنشدني [١] لنفسه في شعبان سنة تسع وخمسين وثلثمائة، في رئيسين صرف أحدهما بالآخر ، [وإنّما كتبتهما إذ ذاك ، لأنهما كانا حينئذ قدّروهما في أبي الفضل الشيرازيّ [٢] لمّا صرف عن الوزارة بأبي الفرج بن فسانجس] [٣] :

مضى من كان يعطينا قليلا ... ووافى من يشحّ على القليل

وأحسب أن سيملكنا مكدّ [٤] ... متى اطّرَدَ القياس على الدليل

فقل للفاطميّ [٥] لقد تمادت ... أناتك في الحلول وفي الرحيل

فحثّ السير علّ الله يهدي ... شفاء منكَ للبلد العليل

---

١ يعني أبا نصر ، بشر بن هارون الكاتب .

٢ الوزير أبو الفضل الشيرازي : العباس بن الحسين . انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٤٨ من النشوار .

٣ الزيادة من ط . الوزير أبو الفرج بن فسانجس : لما توفي الوزير أبو محمد المهلبي أمر معز الدولة ، أن ينظر في الوزارة ، كل من أبي الفرج هذا ، وأبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، من دون تسمية لأحدهما بالوزارة ، ولما توفي، وولي ولده عز الدولة بختيار ، استوزر أبا الفضل العباس بن الحسين، وتقلد أبو الفرج الديوان ، ثم عزل بختيار الوزير أبا الفضل وقبض إقطاعه وضياعه وأملاكه ودوره ، واستوزر أبا الفرج محمد بن العباس ، فلم يلبث في الوزارة إلا يسيراً، ثم انحدر إلى الأهواز ، فاعتقله عاملها بأمر من بختيار وأطلق أبا الفضل الشيرازي واستوزره ثانية . انظر القصة ٢ / ١١٣ من النشوار .

٤ المكدّي هو الشحاذ ، والكلمة مستعملة الآن في بغداد .

٥ يعني الخليفة الفاطمي يحرضه على احتلال العراق .

٤٤

أبو نصر البنص

في مجلس سيف الدولة ، يعلّل سبب تسميته بالبِنْص

أخبرني أبو جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش، إنّه كان بحضرة سيف الدولة [١] ، وقد كان من ندمائه ، قال :

كان يحضر معنا أبو نصر البِنْص ، وكان هذا رجلاً من أهل نيسابور ، أقام ببغداد قطعة من أيّام المقتدر ، وبعدها إلى أيّام الراضي ، وكان من أصحابنا في المذهبين ، يعني في الفقه مذهب أبي حنيفة ، وفي الكلام مذهب أهل العدل والتوحيد [٢] ، وكان مشهوراً بالطيبة ، والخلاعة ، وخفّة الروح ، وحسن المحاضرة ، مع عفّةٍ وسِتْرٍ ، وتقلّد الحكم في عدّة نواح بالشام .

فقيل له يوماً بحضرة سيف الدولة ، لِمَ لُقّبْتَ بالبِنْص ؟

قال : ما هذا لقب ، إنّما هو اشتقاق من كنيتي ، كما انّنا لو أردنا أن نَشْتقّ من أبي عليّ مثل هـذا ، وأومأ إلى ابن البازيار ، لقلنا ألبِعْل ، ولو اشتققنا من أبي الحسن مثل هذا، وأومأ إلى سيف الدولة ، لقلنا ألبِحْس .

فضَحك منه ، ولم يُنْكر عليه .

---

١ الأمير سيف الدولة : أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي الربعي ، صاحب حلب ، ممدوح المتنبي ، وكان جواداً ، كريماً ، شجاعاً ، وأخباره مشهورة في ذلك ، ولد سنة ٣٠٣ وتوفي بحلب سنة ٣٥٦ . (الكامل لابن الأثير ٨ / ٥٨٠) .

٢ يعني المعتزلة : ويتسمون بأصحاب العدل والتوحيد وهم ست فرق : الحسنية أصحاب الحسن البصري ، والهذيلية أصحاب أبي الهذيل العلاف ، والنظامية أصحاب إبراهيم بن سيار النظام ، والمعمرية أصحاب معمر بن عباد السلمي ، والبشرية أصحاب بشر بن المعتمر ، والجاحظية أصحاب الجاحظ (مفاتيح العلوم ١٨) .

٤٥

ابو نصر البنص

في مجلس أبي بكر بن دريد

وخبّرني أبو جعفر ، قال :

حضرت ببغداد مجلس أبي بكر بن دريد[١] ، وأبو نصر هذا يقرأ عليه قصيدته التي أوّلها [٣٠ ط] :

أماطت لثاماً عن أقاحي الدمائث   بمثل أساريع الحقوف العثاعث

إلى أن بلغ إلى قوله :

إذا أنسوا ضبّاً بجانب كدية[٢]   أحاطوا على حافاتها بالربائث[٣]

[٣٤ ب] فقطع القراءة ، وقال : يا أبا بكر ، أعزّك الله ، ما الربائث[٣] ؟

قال ابن دريد : العرب تسمي الحراب العراض الحدائد، ربائث[٣] .

فقال له البِنْص :أخطأت يا أبا بكر أعزّك الله .

فعجبنا من جرأته على تخطئة أبي بكر في العلم ، وتشوّفنا إلى ما يجري .

فقال له أبو بكر، وكان وطيء الخلق : فما هي يا أبا نصر ، أعزّك الله ؟

قال : جَمْعُ ربيثاء[٤] ، هذه [التي تقدّم][٥] في السُكُرُّجات[٦] .

وعاد يُقرئنا في القصيد ، محتدّاً ، فضحكنا منه .

---

١ أبو بكر بن دريد : انظر ترجمته في حاشية القصة ٢ / ١٠٩ من النشوار .

٢ في ط : إذا وطأوا يوماً على ظهر كدأة .   ٣ في ط : الرثائث .

٤ في ط : رثيثاء ، وفي مفاتيح العلوم (ص ١٠٠) إن الربيثاء تعمل من السمك الصغار .

٥ الزيادة من ط .   ٦ جمع سكرجة : الصحفة ، فارسية .

٤٦

أبو نصر البنص

وصاحب الشرطة

حدّثني أبو حامد أحمد بن بشر بن عامر الخراسانيّ ، القاضي الفقيه ، قال : قال لي أبو نصر البِنْص هذا :

كنت في بعض المدن ، وأنا غريب ، فنزلتُ في خانٍ ، فكانِ يختلف إليّ أحداث ورجال ، أقرئهم الفقه في غرفتي ، وإذا انقضى الدرس ، لعبنا ومزحنا .

فظنّ أهل الخان ، أنّ اجتماعهم عندي ، مع ما يسمعونه من المزح ، لفساد ، فاستعدوا عليّ إلى صاحب الشرطة ، وقالوا إنّني قوّاد .

فأحضرت ، فلما وقفت بين يديه ، رأيت على رأسه غلاماً أمرد حسن الوجه قائماً ، فأنعظت من شهوته ،

فقال لي الوالي : أنت قوّاد ؟

قال : وكنت بلا سراويل، فكشفت عن أيري ، وقلت : هذا ، أصلحك الله ، أير قوّاد ؟

فضحك ، وقال : لا ، وفرّق القوم عني ، وأخذني لعشرته ، فكنت أختلف إليه ، مدّة كوني في البلد ، وأعاشره .

٤٧

بين الأمير معزّ الدولة
ووزيره أبي جعفر الصيمريّ

حدّثني أبو حامد القاضي ، قال :

كنت قائماً بين يدي معزّ الدولة [١] ، فقال لأبي جعفر الصيمريّ [٢] وزيره ، بالفارسيّة : يا أبا جعفر ، أُريد الساعة خمسمائة ألف دينار [٣] ، لمهمّ لا يجوز تأخيره .

فقال له الصيمريّ : أيّها الأمير ، رِدْ ذلك ، فإنّي أيضاً أُريد مثله .

فقال له : فإذا كُنْتَ أنْتَ وزيري ، فممّن أُريد هذا إلاّ منك ؟

فقال له الصيمريّ : فإذا لم يكن في الدّخْلِ فضل لذلك عن الخَرْجِ ، فمن أين أجيئك به ؟

قال : فَحَرِد عليه مُعزّ الدولة وقال : الساعة والله أحبسك في الكنيف ، حتى تجيء بذلك .

فقال : إذا حبستني في الكنيف ، خريت لك نُقْرَةً [٤] بهذا المال ؟

فضحك منه ، وأمسك عنه [٥] .

---

١ معز الدولة أحمد بن بويه : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ٧٠ من النشوار .

٢ أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري : كان كاتباً لطاهر الجيلي ، ثم أسره علي بن بويه ، فالتحق بأخيه أحمد بن بويه معز الدولة ، فاستوزره ، وأصبح مدبراً لأمره ، وكان من دهاة الرجال ، توفي في سنة ٣٣٩ ، بأعمال الجامدة في جنوب العراق محاصراً لعمران بن شاهين ، فأخذته حمى حادة مات فيها (تجارب الأمم ١ / ٣٤٠ ، الأعلام ٦ / ٢٠٠) .

٣ في ط : خمسمائة ألف ألف درهم .

٤ النقرة : القطعة المذابة من الذهب والفضة ، والأغلب استعمالها للفضة ، وفي إيران سمعتهم يسمون الفضة : نقرة .

٥ المفوات النادرة ١٤٨ .

٤٨

المدائني يتماجن على شيخ صوفيّ

حدّثني أحمد بن محمد المدائنيّ ، قال :

وقفتُ في جامع المدينة ببغداد على حَلَقة صُوفيّةٍ ، يتحاورون على الخطراتِ والهواجس[١] ، ومسائل تشبه الوسواس ، لم أفهمها .

وخطر لي أن أمجن بهم ، فقلت : أيّها الشيخ المصدّر ، مسألة .

فقال : هات .

فقلت : أخبرني إذا كنت شيخاً في معناك ، حلساً في ذات نفسك ، فأصاب يافوخك تقطيع [بعضب خزري][٢] على سبيل العلم ، وكنت تحت الإرادة ، هل يضرّ أوصافك شيء ، مع تعلّقك بحبل القدرة [٣٥ ب] ، يا بطّال ؟

قال : فوقع لمن حوله إنّها مسألة ، وأخذوا يتعاطون الجواب .

وفطن الشيخ ، فخفت أن يأمرهم بي ، فانسللت .

---

١ في ب وط : الخطرات والوساوس . والخطرات والهواجس من اصطلاحات الصوفية ، فالخاطر : ما يرد على القلب والضمير في الخطاب ، ربانياً كان أوملكياً أو نفسياً أو شيطانياً من غير إقامة ، وقد يكون كل وارد لا تعمل لك فيه . والهاجس : يعبرون به عن الخاطر الأول ، ويسمى نقد الخاطر ، فإذا تحقق في النفس سموه إرادة ، فإذا تردد الثالثة ، سموه همة ، وفي الرابعة سموه عزماً ، وعند التوجه إلى القلب إن كان خاطر فعل سموه قصداً ، ومع الشروع في الفعل سموه نية (اصطلاحات الصوفية) .

٢ في ب : يعرقب خزري وفي ط : بعصب حرري

٤٩

أبو أحمد الحارثيّ

وصوفيّ يترنّم بالرباعيّات

حضرني أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثيّ ، وعندي صوفيّ يترنّم بشيء من [٣١ ط] الرباعيّات ، فلم يستطبه أبو أحمد .

فقال له على البديهة : يا أخي لا أقطع حديثك إلاّ بخير .

٥٠

الشافعي وغلام الهرّاس

حدثني الفضل بن أحمد الحيّاني[١]، قال : قال لي الشافعيّ ، صاحب عليّ ابن عيسى[٢] :

علِقَ مرّة بلجام مركوبي ، غلام هرّاس ، بيده غضارة هريسة[٣] ينادي عليها ، وشالها[٤] إلى أنفي ، وقال : جمع اللوز والغنم ، ثم نادى يمينه[٥] .

فقلت أعزّك الله ، هذا وجهي إلى الوزير ، أخبره بهذا الخبر ، فإن رأيت أن تطلقني ، فعلتَ .

---

١ في ط : الجياني .

٢ الشافعي : راجع ترجمته في حاشية القصة ١/٣٥ من النشوار

٣ الغضارة : الصحفة المتخذة من الطين الحر .

٤ شال : رفع .

٥ كذا في ب وط ولم أفهم معناها ، ولعله يريد بها الحلف على جودة الهريسة .

٥١

أبو محمد الواسطيّ

والمغنّية التي يهواها

حدّثني أبو أحمد الحارثيّ ، قال :

كان عندنا بواسط ، رجلٌ متخلّفٌ موسر ، يقال له : أبو محمد بن أبي أيّوب ، وكان يعاشرنا بمغنّية يهواها ، وكان من غنائها ، صوتٌ أوّله :

إنّ الخليط أجدّ مُنْتَقِلُه   ولِوَشْكِ بَيْنٍ حمّلت إبلُهْ

وكانت تغني فيه لحناً صعباً حسناً ، لا يفهمه أبو محمّد لتخلّفه ، فاقترحه يوماً عليها ، فقال : بالله يا ستّي غنّي لي :

إنّي خَرَيت فجئت أنتقله

فقالت : ويل لي ، أنا أُغنّي شيء من هذا ؟

فَفَطِنْتُ لما يريد ، فقلت لها : إنّه يريد أن تغنّي له :

إنّ الخليط أجدّ منتقله

فقالت له : قطع [الله][1] ظهرك ، أين ذا من هذا ؟ وغنّت الصوت .

وكان من غنائها :

خليليّ هيّا نصطبح بسواد[2]

---

[1] الزيادة من ط .

[2] الشعر والغناء لإسحاق الموصلي ، والبيتان هما :

خليلّي هيا نصطبح بسواد   ونروي قلوباً همهن صواد

وقولا لساقينا زياد يرقها   فقد هزّ بعض القوم سقي زياد

فقال لها يوماً : بالله يا ستّي ، غنّي :

خليليّ هيّا نصطبح بسماد

فقالت له : إذا عزمت على هذا ، فوَحْدكَ[1] .

قال : ودخلت إلينا يوماً على غفلة ، ونحن نصافعه ويصافعنا بالمخادّ ، فاستحيا ، وسألنا أن ندعه ، فتركناه .

فلما ، جلسنا على الشرب ، طلب منها صوتاً له عليها[2] ، وهو :

أبيني[3] سلاحي لا أبا لك إنّني أرى الحرب لا تزداد إلاّ تماديا

فأعطته مخدّة[4] .

---

١ وردت في كتاب الهفوات النادرة ١٥٠ .

٢ كذا في ب وط .

٣ في ط : أريني .

٤ المخدة ، وجمعها مخاد : الوسادة .

٥٢

أبو الفرج الببغاء يمدح سيف الدولة

أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزوميّ النصيبينيّ الكاتب المعروف بالببغاء[١] ، قصيدة له في سيف الدولة ، يذكر وقعة كانت له مع بني كلاب ، وعفوه عنهم :

إذا استلّك الجانون أغمدك الحلم ... وإن كفّك الإبقاء أنهضك العزم

وهي حقيقةٌ بأن تورد كلّها ، ولكنّي اخترت من شعره ، ما يصلح للمكاتبة في الحوادث ، أو الأمثال ، أو معنى لم يسبق إليه ، فتركت أكثر محاسن شعره ، وحسن نظمه ، وبلاغته ، وعذوبة كلامه ، وأكثر إحسانه ، موكولاً إلى من ينظر في ديوانه .

ومن هذه القصيدة ، مَثَلٌ :

ومن لم يؤدّبه لفرط عتوّه ... إذا ما جنى الإنصاف أدّبه الظلم [٣٦ ب]

ومنها :

إذا العُرْبُ لم تجزِ اصطناع ملوكها ... بشكرٍ تَعاوتْ في سياستها العُجمُ

أعِدها إلى عادات عفوك محسناً ... كما عَوَّدَتْها قبلُ آباؤك الشمّ

فإن ضاق عنها العذر عندك في الذي ... جنَتْه فما ضاق التفضّل والحلم [٣٢ط]

---

١ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي : ذكره الثعالبي في اليتيمة (١ / ٢٥٣) وبالغ في الثناء عليه ، وكان قد خدم سيف الدولة بن حمدان أمير حلب مدة ، وبعد وفاته تنقل في البلاد ، وقال عنه الأمير أبو الفضل الميكالي إنه شاهده ببغداد سنة ٣٩٠ شيخاً عالي السن ، متطاول الأمد ، قد أخذت الأيام من جسده وقوته ، ولم تأخذ من ظرفه وأدبه ، ولقب بالببغاء لفصاحته ، وقيل للثغة كانت في لسانه ، توفي سنة ٣٩٨ .

٥٣

القاضي أبو بكر بن سيار

وحساب الأصابع

حدّثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيّار ، قال[1] :

ضربوا مثلاً للإنسان فقالوا :

ابن عشر سنين ، قد دار في أهله ، كما دارت هذه على هذه ، وأومأ إلى ابهامه وسبّابته ، وعقد عشراً .

---

١ سألت عدداً من الأدباء والتجار والمحققين ، في العراق ولبنان ، عن الحساب بعقد الأصابع ، فلم أعثر على أحد يعرف عنه شيئاً ، وحسبت أن هذا الحساب قد ضاع ودرس ، كما ضاعت النوتة الموسيقية المدونة في كتاب الأغاني ، ولكن بصيصاً من الأمل بدا لي في تعليق للمحقق آدم متز أورده بالألمانية في هامش إحدى صفحات المقدمة التي كتبها وصدر بها حكاية أبي القاسم البغدادي ، أشار فيه إلى حساب الأصابع ودل على مقال نشرته مجلة المشرق (٣ / ١١٩ و ١٧١) وإلى خزانة الأدب للبغدادي (٣ / ١٤٧) وإلى كتاب الأغاني (١ / ٥٠) ، وقد اشتمل مقال مجلة المشرق على قصيدة في حساب الأصابع للشيخ شمس الدين الموصلي ، كما دلني على بحث في الموضوع ورد في كتاب الشرح الجلي للشيخ أحمد البربير (٨١ و ٨٥) . وإشارة في كشف الظنون إلى هذا الحساب (١ / ٦٦٤) وبالنظر لأهمية الموضوع ، وخشية درس هذا الحساب ، وجدت فرضاً عليّ أن أدرج في تعليقي هذا ، ما ورد في كتاب الشرح الجلي ، وأن أورد نص القصيدة التي اشتمل عليها مقال الكرملي في المشرق .

قال صاحب الكشف الجلي (ص ٨١) : ومما يلحق بالحساب ، الحساب بعقد الأصابع وهو مشهور في البلاد الحجازية والهندية ، وغالب بيع التجار به ، فإذا وقعت المساومة بين البائع والمشتري ، وضع المشتري يده في يد البائع ، ثم يجعلان فوق أيديهما ساتراً ، كمنديل أو محرمة ، ثم يشير المشتري إلى البائع بعقد الأصابع ، فإذا لم يعجبه الثمن ، قال : لا ، وإذا أعجبه ، قال له : بعتك ، فلا يعلم الحاضرون كم مقدار الثمن ، ولكن غاية العدد بالعقد أن ينتهي إلى تسعة وتسعين وتسعمائة وتسعة آلاف فقط .

وقد تلطف بعض الشعراء في هجو بعض حسان الغلمان ، حيث قال :

وابن عشرين ، قد انتصب بين أمري الكسب والعيال ، كما انتصبت هذه بين هاتين ، وعقد بأصابعه عشرين .

وابن ثلاثين ، قد استوى ، كما استوت هذه على هذه ، وعقد ثلاثين بأصابعه .

وابن أربعين ، قد قام كما قامت هذه ، وعقد بأصابعه .

= مضى خالد والمـــال تسعون درهماً وعاد وباقي المال ثلث الدراهم

وهو معنى بليغ ، وهجو خفي شنيع ، لأنه أشار إلى أن خالداً المذكور ، مضى ضيقاً ، وعاد واسعاً ، لأن عاقد التسعين يضم طرف السبابة إلى أصلها ضماً محكماً ، بحيث تنطوي العقدتان اللتان فيها ، وعاقد الثلاثين يضع طرف إبهامه على طرف سبابته .

وقد ورد في حديث الصحيحين ، استعمال النبي صلى الله عليه وسلم لهذا العدد ، ولفظ الحديث : فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج ، وعقد تسعين ، أي فتح نافذ فيه ، وإن كان ضيقاً جداً .

وقال صاحب الكشف الجلي (ص٨٥) : وقد ذكرت آنفاً الحساب بعقد الأصابع ، غير مفصل ، وأريد أن أذكره مفصلا ، لأني لم أجد من ذكره في كتاب ، وقد علمت مما تقدم ، أن المحدّث يحتاج إليه ، لوروده في الأحاديث ، وكذا الفقيه ، لأن فقهاء الشافعية ، ذكروه في الصلاة عند التشهد ، فقالوا : السنة أن يضع المصلي يده اليمنى فوق فخذه ، عند جلسة التشهد ، كعاقد ثلاثة وخمسين ، وذلك بأن يضم أصابعه الثلاث ، وهي الخنصر ، والبنصر ، والوسطى ، ضماً محكماً ، بحيث يطوي العقدتين اللتين في كل إصبع منها ، وهذا عقد ثلاثة ، كما ستعرفه ، ثم يطوي الإبهام إلى الكف ، وذلك عقد خمسين ، وبيان معرفة ذلك أن عقد الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمين ، هي عقد الآحاد ، وعقد السبابة والإبهام منها عقد العشرات ، وعقد الخنصر والبنصر والوسطى من اليد الشمال ، عقد المئين ، وعقد السبابة والإبهام منها عقد الألوف ، وأنت خبير بأن الأصابع التي للآحاد تضيق عنها ، لأنها ثلاثة ، والآحاد تسعة ، فلا يمكن ذلك إلا بتبديل ، وكذا أصابع العشرات والمئين والألوف ، فطريق ذلك أنهم إذا أرادوا عقد واحد : ضموا الخنصر ضماً محكماً ، كما تقدم ، أو عقد اثنين : ضموا معها البنصر ، أو عقد ثلاثة : ضموا معها الوسطى ، أو أربعة : رفعوا الخنصر وتركوا البنصر والوسطى مضمومتين ، أو خمسة : ضموا الوسطى وحدها ، ورفعوا الخنصر والبنصر ، أو ستة : ضموا البنصر وحدها ، ورفعوا الوسطى والخنصر ،=

وابن خمسين قد انحنى ، كما انحنت هذه ، وعقد خمسين بأصابعه .
وابن ستين ، وعقدها بأصابعه ، قد انحطّ في عمره وقوّته ، كما انحطّت هذه على هذه .
وابن سبعين ، قد اضطجع ، كما اضطجعت هذه على هذه .

= أو سبعة : طووا العقدة السفلى من البنصر وحدها ، ومدوها حتى يصل طرفها إلى اللحمة التي في طرفها الابهام ، أو ثمانية : فعلوا بالخنصر كذلك ، أو تسعة : فعلوا مثل ذلك بالوسطى ، أو عشرة : جعلوا طرف السبابة ، في باطن ظفر العقدة العليا من الابهام ، أو العشرين : أدخلوا الإبهام بين السبابة والوسطى ، بحيث يكون ظفر الابهام : ما بين العقدتين من وسط السبابة ، أو الثلاثين : جعلوا ما بين طرف الابهام ، فوق باطن طرف السبابة ، بحيث يكون بين ظفريهما بعد ، لئلا تشتبه بالعشرة ، أو الأربعين : لووا الابهام حتى يضعوا باطن طرفها على ظهر طرف السبابة ، أو الخمسين : لووا الابهام إلى الكف ، أو الستين : جعلوا الابهام على حالها في الخمسين ، وضموا عليها السبابة ، ضماً محكماً ، مفتوحة ، او السبعين : جعلوا طرف ظفر الابهام ، بين العقدتين من باطن وسط السبابة ، ولووا طرف السبابة عليها ، أو الثمانين : وضعوا طرف السبابة مما يلي الوسطى ، أو التسعين : ضموا طرف السبابة إلى أصلها ضماً محكماً ، حتى تنطوي العقدتان اللتان فيها ، وقد تم في اليد اليمين عقد تسعة وتسعين ، وتقدم أن عقد المئين في اليسار كعقد الآحاد في اليد اليمين ، وذلك في ثلاث أصابع ، وعقد الألوف في اليسار ، كعقد العشرات في اليمين ، وذلك في إصبعين وهما السبابة والابهام ، فغاية ما تجمع اليسار من العدد تسعمائة وتسعة آلاف ، واليمين تسعة وتسعين لا غير . فاحفظ ذلك .

أما قصيدة الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الموصلي الحنبلي ، فهي :

بحمدك يا رباه أبداً أولا	فما زلت أهلا للمحامد مفضلا
وأتبع حمدي بالصلاة على الرضا	أبي القاسم المهديّ خير من أرسلا
ومن بعد هذا أيها السائل استمع	حساب اليد إذ عنه سلت مفصّلا
ففي عدد الآحاد يا صاح أفردن	ليمنى يديك اعلم وإياك تجهلا
(فللواحد) اقبض خنصراً ، ثم بنصراً	(للاثنين) ، والوسطى كذاك التكملا
بعد (ثلاث) ثم للخنصر ارفعاً	(بأربعة) والبنصر (الخمسة) اكملا
وفي (الستة) اقبض بنصراً دون كلها	على طرف للراحة اسمه وانقلا =

وابن ثمانين ، وعقدها ، قد احتاج إلى ما يتوكّأ عليه ، كما توكّأت هذه على هذه .

وابن تسعين ، قد ضاق عمره وأمعاؤه ، كما ضاقت هذه .

وابن مائة ، قد انتقل عن الدنيا إلى الأخرى ، كما انتقل العقد من اليمين إلى الشمال .

= وفي (السبعة) اقبض تحت الابهام خنصراً — وفي طرف للراحة القبض فاجعلا
وللبنصر ارفع ثم في (الثامن) اضممن — إلى خنصر في القبض للبنصر اعقلا
وفي (التسعة) الوسطى اضممن معهما وفي — جميع الآحاد افعلن ذا وإن علا
وفي (عشرة) مع عقد الابهام فاستمع — تحلق رأساً للمسبحة افعلا
وللظفر من ابهامك اجعله بين إصـ — بعيك هي (العشرون) فاعلمه واعملا
وما بين رأس للمسبحة أجمعن — وراس للابهام (الثلاثون) حصّلا
وإن تركب الابهام يا صاح فاحتفظ — لسبابة (للأربعين) مكملا
وابهامك اجعل تحت سبابة إذا — تعمدت للخمسين فاحفظ تكملا
وتركب الابهام المسبحة استمع — كقابض سهم وهي ستون أحملا
وعدّك للسبعين في بطن ثالث — لسبابة ابهامك اعقله تجملا
والابهام من تحت المسبحة اجعلن — بناناً على ظفري (ثمانين) أكملا
وفي عد تسعين المسبحة اقبضن — لما بين ابهام وما بينها اجتلى
وإبهامك اجعل فوقها مثل حية — تروم وثوباً (والمئين) ألا اجعلا
بيسراك كالآحاد يا ذا العلوم من — يمينك فاحفظه وإياك تعدلا
كذا العشرات من يمينك إنها — بيسراك يا هذا (ألوف) على الولا
(وعشرة آلاف) لابهامك اجمعن — وذلك مع سبابة يا أخا العلا
بيسراك وامهده كحلقة استمع — إذا طويت والراس فاجعله أسفلا
وقد نجزت والحمد لله وحده — ميسرة تبغي أخاً متفضلا
يسامحها فيما يرى من عيوبها — فما أحد عن ذاك يا صاح قد خلا
فخذها عروساً قد سمت شمس ضحوة — وبدر دياج قد بدا متهلـلا
فإن تمتنع كالبكر عند امتناعها — على بعلها عند الزفاف تدللا
فصفّ لها ذهناً غزيراً مجوداً — وغص في بحار الفكر ثم تأملا
ترى لمعانيها بزوغاً ككوكب — ويأتيك منها العلم والفضل مقبلا

٥٤

هنديّ يقتل فيلاً بحيلته من غير سلاح

وحدّثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيّار [١] ، قال : حدّثني شيخ من أهل اليمن ، وذكر أنّ اسمه نعمان ، وجدتهم يذكرون ثقته ، ومعرفته بأمر البحر ، وأنّه دخل الهند والصين ، قال :

كنت ببعض بلدان الهند ، وقد خرج على ملكها خارجيّ ، فأنفذ إليه الجيوش، فطلب الأمان ، فأمّنه ، فسار ليدخل ، من موضعه ، إلى بلد الملك ، فلما قرب ، أخرج الملك الجيش ليلتقيه ، والآلات ، وخرجت العامّة ، تنتظر دُخولَه ، فخرجتُ معَهم .

فلما بعُدنا في الصحراء ، وقف الناس ينتظرون طلوع الرجل ، وهو راجل ، في عدّة الرجال ، وعليه ثوب ديباج ، ومئزر في وسطه ، جرياً على زيّ القوم ، فتلقّوه بالإكرام ، ومشوا به ، حتّى انتهى إلى أفيلة عظيمة ، قد أخرجت للزينة ، وعليها الفيّالون، وفيها فيل عظيم يختصّه الملك لنفسه، ويركبه في بعض الأوقات .

فقال له الفيّال ، لمّا قرب منه : تنحّ عن طريق الفيل ، فسكت ، فأعاد عليه ، فسكت .

فقال له : يا هذا ، احذر على نفسك ، وتنحّ عن طريق فيل الملك .

فقال له الخارجي : قل لفيل الملك يتنحّى عن طريقي .

---

١ القاضي أبو بكر أحمد بن سيار : ولي قضاء الجانب الشرقي ببغداد سنة ٣٥٦ ، وفي السنة ٣٥٧ أضيف إليه قضاء دار السلطان، وفي السنة ٣٥٩ صرف عن قضاء دار السلطان واقتصر على الباقي من الجانب الشرقي ببغداد ، ثم صرف عن القضاء في السنة ٣٦٠ (المنتظم ٧/ ٣٨ - ٥٤) .

فغضب الفيّال ، وأغرى الفيلَ به ، بكلام كلّمه ، فغضب الفيل وعدا إلى الخارجيّ ، ولفّ خرطومه ، وشاله الفيل شيلاً عظيماً ، والناس يرونه ، وأنا فيهم ، ثم خبطَ به الأرض ، فإذا هو قد انتصب على قدميه فوق الأرض ، ولم ينحّ يده عن الخُرطوم .

فزاد غضب الفيل ، وشاله أعظم من ذلك ، وعدا ، ثم رمى به الأرض ، فإذا هو قد حصل عليها مستوياً على قدميه ، منتصباً ، قابضاً على الخرطوم .

قال : فشاله الفيل الثالثة ، وفعل به مثل ذلك ، فحصل على الأرض منتصباً ، قابضاً على الخرطوم ، وسقط الفيل ميتاً ، لأنّ قبضه على الخُرطوم تلك المدة ، منعه من النَفَس ، فقتله .

قال : فوكّلَ به ، وحُمِل [٣٣ ط] إلى الملك ، وحُدّث بالصورة ، فأمر بقتله .

فاجتمع القحاب — بهذا اللفظ — وهم النساء الفواجر ، يفعلن ذلك بالهند ظاهراً ، عند البدّ ، تقرباً إليه عندهم ، بلا اجتعال [١] ، وهم العدول هناك ، يشهدون في الحقوق ، ويُقمن الشهادة ، فيقطع بها حاكمهم . ويشاوَرْنَ في الأمور ، وفي الآراء ، وعندهن ، إنهن ببذلهنّ نفوسهنّ عند البدّ ، بغير اجتعال ، قد صرن في حكم الزهّاد ، والعبّاد .

قال : فقالت القحاب للملك ، يجب أن تستبقي مثل هذا ، ولا تقتله ، فإنّ فيه جمالاً للمملكة ، ويقال : إنّ للملك خادماً ، قتل فيلاً بقوّته وحيلته ، من غير سلاح .

فعفا عنه الملك واستبقاه [٢] .

---

١ أي بلا أجر .

٢ انفردت ط بهذه القصة .

٥٥

ملك الهند

يحاور الحكماء من رعيته

[حدّثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيّار ، قال : حدثني شيخ من أهل التيز ومكران[١] ، لقيته بعمان ، ووجدتهم يذكرون ثقته ، ومعرفته بأمر البحر][٢]، وحدّثني القاضي ، قال : حدّثني هذا الشيخ :

إنّ رجلاً بالهند من أهلها حدّثه : أنّ خارجيّاً ، خرج في بعض السنين ، على ملكٍ من ملوكهم ، فأحسن التدبير ، وكان الملك معجباً برأيه ، مستبدّاً به ، فأنفذ إليه جيشاً، فكسره الخارجيّ ، فزحف إليه بنفسه .

فقال له وزراؤه : لا تفعل ، فإن الخوارج تضْعفُ بتكرير الجيوش عليها ، والملك لا يجب أن يغرّر بنفسه ، بل يطاول الخارجيّ ، فإنّه لا مادة له يقاوم بها جيشاً بعد جيش ، إذا توالت عليه جيوش الملكِ .

فلم يقبَل[٣] ، وخرج بنفسه ، فواقعه ، فقتله الخارجيّ ، وملك داره ومملكته ، فأحسن السيرة ، وسلك سبيل الملوك .

فلما طال أمره ، وعزّ ذكره ، وقويَ سُلطانُه ، جمع حكماء الهند ، من سائر أعماله ، وأطراف بلدانه ، وكتب إلى عمّاله أن يختار أهلُ كل بلد ، مائة منهم ، من عقلائهم وحكمائهم ، فينفذونهم إليه ، ففعلوا .

فلما حصلوا ببابه ، أمرهم باختيار عشرة منهم ، فاختاروا ، فأوصل

---

١ مكران : اسم لسيف البحر وهي بين السند وسجستان ومقام سلطانها في مكز (معجم البلدان ٤ / ٦١٢) . والتيز بلدة على ساحل بحر مكران وفي قبالتها من الغرب أرض عمان (معجم البلدان ١ / ٩٠٧) .

٢ انفردت ب بهذه الجملة .

٣ في ط : فلم يفعل .

العشرة ، وأوصل من أهل دار المملكة عشرة ، وقال لهم : يجب على العاقل ، أن ينظر عُيوبَ نفسه فيزيلها ، فهل ترون فيّ عيباً ، أو في سلطاني نقصاً ؟ [٣٧ ب]

فقالوا : لا ، إلاّ شيئاً واحداً ، إن أمنتنا قلناه .

قال : أنتم آمنون .

قالوا : نرى كل شيء لك جديداً ، يعرّضون إنّه لا عِرْقَ له في المُلْكِ .

فقال : فما حال ملككم الذي كان قبلي ؟

قالوا : كان ابن ملك .

قال : فأبوه ؟ قالوا : ابن ملك .

قال : فأبوه ؟ إلى أن عدّد عشرة أو أكثر ، وهم يقولون، ابن ملك ، فانتهى إلى الأخير . فقالوا : كان متغلّباً .

قال : فأنا ذلك المَلك الأخير ، وإن طالت أيامي ، مع إحساني السيرة ، بقي هذا المُلكُ بعدي ، في ولدي [وولد ولدي] [1] ، فصار لأولاد أولادهم من العرق في الملك ، مثل ما كان للملكم الذي كان من قبلي .

فسجدوا له ، وكذا عادتهم إذا استحسنوا شيئاً ، ولزمتهم حجّة ، وانصرفوا ، فازداد بذلك الملك توطّداً له .

قلت أنا للقاضي : هذا شيء قد سبقت العرب إليه في كلمتين، استغني بهما عن هذا المثل الطويل العجميّ .

فقال : ما هما ؟

فقلت [٣٤ ط] : روت العرب أنّ رجلين تفاخرا ، فقال أحدهما لصاحبه : نسبي منّي ابتدأ ، ونسبك إليك انتهى .

---

١ الزيادة من ط .

٥٦

الصيمريّ وزير معزّ الدولة

يرفق بأحد المصادَرين

حدّثني أبو القاسم سعيد بن عبد الرحمن الكاتب الأصبهانيّ ، قال : حضرْتُ الصيمريّ[1] ، في وزارته لمعزّ الدولة ، وقد أحضر رجلاً مُصادراً ، وقد قرّر أمره على مال .

فقال له : أعطني كفيلا ، واخرُجْ فصحّح المال .

فقال : لا كفيل لي أوثق من إحسانك إليّ أيها الأستاذ .

فرقّ له ، وخفّف مصادرته ، وأحسنَ إليه .

---

١ الصيمري : أبو جعفر وزير معز الدولة البويهي : انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ٤٧ من النشوار .

٥٧

مهاترة بين بصريّ وسيرافيّ

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن بكر، قال : حدّثني أبو بكر سعيد بن هارون الطبيب، وكان أبوه سيرافيّاً [١] وجيهاً في بلده وغيرها، موسراً، قال :

خاصم أبي رجلٌ من أهل البصرة، فقال له الرجل : تكلّمني وأنت قطعة سيرافيّ ؟

فقال له سعيد : أنا نجارٌ [٢] في بلدي، وأنت عارٌ في بلدك [٣] .

---

١ سيراف : مدينة على ساحل بحر فارس كانت قديماً فرضة الهند (معجم البلدان ٣ / ٢١١) .

٢ النجار : بكسر النون وضمها : الأصل والحسب .

٣ في حاشية ط : عير شريف النسب، سقراط، بضعة نسبه، فقال له : نسبي عار عليّ، وأنت عار على نسبك، وللمتنبي :

ما بقومي فخرت بل فخروا بي وبجدي شرفت لا بجدودي

٥٨

الوزير أبو محمد المهلبيّ

وحدّ الإقبال والإدبار

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف [١] ، قال : حدّثني قاضي القضاة أبو محمد عبيد الله بن أحمد [٢] ، قال :

تجارينا بحضرة أبي محمد المهلّبيّ ، ذكر الإقبال والإدبار ، فقال : ليس الإقبال أكثر من الحركة والتواضع ، ولا الإدبار أكثر من الكسل والتكبّر .

---

١ انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٤ من النشوار .

٢ أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف : ولد سنة ٣٠٦ وولي قضاء القضاة ببغداد ، وكان من العلماء الثقاة العقلاء الفطناء الألباء ، وكان وسيم المنظر ، مليح الملبس ، مهيباً ، عفيفاً عن الأموال ، وكان الصاحب بن عباد يقول : أشتهي أن أدخل بغداد ، وأشاهد جرأة محمد بن عمر العلويّ وتنسك أبي أحمد الموسويّ ، وظرف أبي محمد بن معروف ، وكان مجرداً في مذهب الاعتزال ، عفيفاً نزهاً لم ير مثله في عفته ونزاهته ، توفي سنة ٣٨١ (المنتظم ٧ / ١٦٦) .

٥٩

من شعر أبي الفرج الببغاء

أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد النصيبينيّ المخزومي الكاتب ، المعروف بالببغاء[١] لنفسه قصيدة منها :

جاورت بالحبّ قلباً لم تذر فكري ... للحبّ مستمتعاً فيه ولم تدع

يصبو ولكن يكفّ الحلم صبوتَه ... وأشرَفُ الحُبّ أدناه من الورع

وبي أمسّ غرام لو أنست إلى الـ ... شكوى ولكن أعدّ الصبر للجزع

ما بال أهل زماني من تجاهلهم ... بموضعي بين مغبون ومختدع

من لم تزد قومَهُ أفعالُهُ شرفاً ... بالفضل فهو لمعنًى غير مخترع[٢] [٣٨ ب]

عِفتُ المواردَ لمّا[٣] لم أجد ظمأً ... في كثرة الماء ما يغني عن الجرَعِ

---

١ أبو الفرج الببغاء : انظر ترجمته في حاشية القصة رقم ١ / ٥٢ من النشوار .

٢ انفردت ب بهذا البيت .

٣ في ط : حتى .

٦٠

لأبي الفرج الببغاء

في الأمير سيف الدولة

وأنشدني لنفسه قصيدة في سيف الدولة [١] رحمه الله أوّلها :

أفادت بك الأيّام فرط تجارب ... كأنّك في فرْق الزمان مشيب
وكلّ بعيد قرّب [٢] الحسّين نحوه ... سلاهبُك الجُرْدُ الجيادُ قريب
تباشر أقطار البـلاد كأنّهـا ... رياح لها في الخافقين هبوب
وتملأ ما بين الفضائين عِثْيَراً ... مُثاراً بوجه الشمس منه شحوب
وما يدرك العلياء إلاّ مهذبٌ ... يصاب على مقداره ويصيب
فلا تصطف الإخوان قبل اختبارهم ... فما كلّ خلّ تصطفيه نجيب

---

١ الأمير سيف الدولة : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ٤٤ من النشوار .
٢ في ب : عرق وفي ط فراغ ، والتصحيح عن اليتيمة .

٦١

من مكارم أخلاق

أبي المنذر النعمان بن عبد الله

حدّثني القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن [١] ، قال : حدّثني وكيل كان لأبي المنذر النعمان بن عبد الله [٢] ، قال :

كان من عادة النعمان ، إذا كان في انسلاخ كلّ شتوة ، أن يعمد إلى جميع ما استعمله من خزّ وصوف وفَرْشٍ وكوانين وآلة الشتاء ، فيبيعه في النداء [٣] .

ثم ينفذ إلى حبس القاضي ، فينظر من حُبِسَ بإقراره ، دون قيام البيّنة عليه ، ولا حال له ، فيؤدّي ما عليه من ثمن تلك الآلات ، أو يُصالح عنه [٣٥ ط] ويخرجه ، إن كان المال ثقيلا .

ثم يعمد إلى من يبيع بيعاً يسيراً ، مثل بقليّ [٤] ورهداريّ [٥] ، ومَنْ رأسُ

---

١ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٩ من النشوار .

٢ أبو المنذر النعمان بن عبد الله : من كبار العمال في الدولة العباسية ، وكان في أيام وزارة علي بن عيسى للمقتدر يتقلد ديوان كور الأهواز مجموعة . ثم إنه تاب من خدمة السلطان . ولبس الخف والطيلسان ، ولكن ابن الفرات في وزارته الثالثة ، أوجس منه أن يزاحمه على الوزارة ، فسلمه إلى ولده المحسن الذي نفاه إلى واسط ، ثم صادره ، ثم دس إليه من قتله ، راجع أخباره في تجارب الأمم (١/٣٢ و ٦٩ و ١٢٣) . وفي صلة الطبري (ص ٥٨). أن النعمان كان رجل صدق وقد اعتزل الأعمال ولزم بيته ، وكان يعيش من غلة ضيعة له ، فغر به المحسن بن الفرات إلى واسط ، ثم وجه خلفه رجلا ، فذبحه بواسط في السنة ٣١١ .

٣ النداء : هو ما نسميه اليوم بالمزاد العلني .

٤ البقلي : بائع البقل .

٥ الرهداري : البائع الذي يطوف بسلعته على الناس في الطرق ، قاله أحمد تيمور .

ماله دينار ، وديناران ، وثلاثة ، فيعطيه من عشرة دنانير إلى مائة درهم ، وأقلّ وأكثر ، ليزيد في رأس ماله .

ويعمد إلى من يبيع في الأسواق مثل طِنجير ، وقدْرٍ ، وقميص خَلَقٍ ، وما يغلب على الظنّ أنّ مثله لا يباع إلاّ من ضرّ شديد ، وإلى امرأة تبيع غزلها عجوز ، فيعطيهم أضعاف ثمنه ، ويدعه عليهم .

ويعمل ألواناً من هذا الجنس كثيرة ، يأمرني بفعلها ، وصرف ثمن تلك الآلات إليها .

فإذا انقضى[1] الصيف عمد إلى ما عنده من دبيقيّ،وقصب ، وحُصر ، ومزمّلات ، وآلة الصيف ، فيفعل به مثل ذلك .

فإذا جاء الشتاء والصيف ثانيةً ، استجدّ جميع ما يحتاج إليه .

فلما كثر ذلك عليّ من فعله ، قلت له : يا سيّدي ، إنّك ، هوذا ، تفقر نفسك، من حيث لا تنفع غيرك، لأنّك تشتري هذه الثياب، والآلات ، والفَرْش ، في وقت الحاجة إليها بضِعْفِ قيمتها ، وتبيعها وقت استغناء كافّة الناس عنها ، فتشترى منك بنصف قيمتها ، فيخرج منك في ذلك ، مال عظيم ، فإن أذنت لي ، ناديت على كلّ ما يباع ، فإذا استقرت العطيّة ، وأخذت الدراهم[2] ، أخذته لك بزيادة ، وعزلته إلى الصيف أو الشتاء ، ودفعت مِثل ثمنِه ، من مالك ، إلى هذه الوجوه .

فقال لي : ما أُحِبّ هذا ، تلك الآلات قد متّعني الله بها طول شتائي أو صيفي ، وبلّغني وقت الغناء[3] [٣٩ ب] عنها ، وما أنا على ثقةٍ من أنّي

---

١ في ب وط : جاء .
٢ في ط : وأحضرت الدراهم .
٣ الغناء : الاكتفاء .

أعيش إلى وقت الحاجة إليها ثانياً ، ولعلّي قد عصيت الله عليها ، وفيها ، فأنا أحبّ بيع أعيانها ؛ وصرف الثمن بعينه ، في هذه الوجوه ، شكراً لله على تبليغي وقت الاستغناء عنها ، وكفّارة لما عصيته فيها ، ثم إن أحياني الله إلى وقت الحاجة إليها ، فليس ذلك بغالٍ ، ولا يتعذّرُ شراء مِثْلِهِ ، واستجداد خلَفِه ، والتمتّع بالجديد .

وفي بيعي إيّاه رخيصاً ، وشراي له غالياً ، فائدة أخرى ، وهي أن ينتفع الضعفاء من التجّار الذين أبتاع ذلك منهم ، وأبيعه عليهم ، بما فيه من الأرباح عليّ ، ولا يؤثّر ذلك في حالي .

٦٢

من مكارم أخلاق

أبي المنذر النعمان بن عبد الله

أخبرني القاضي [١] ، وقال : أخبرني هذا الوكيل [٢] :

إنّ النعمان كان يعجبه ، إذا قدِّم إليه لون من طعام طيّب ، أو حلو عجيب ، أن لا يُمعِن في أكله ، ويأمر بدفعه بعينه إلى السؤّال [٣] .

وكان رَسْمُهُ ، أن يفرِّق في كلّ يوم ، جميع ما يشال من مائدته ، ويفضل في مطبخه ، عن وظائف غلمانه ، فكان يجتمع على بابه ، كلّ يوم ، منهم جمع عظيم .

قال : فأكل يوماً عنده صديق له هاشميّ ، فقدِّم إليه لونٌ طيّبٌ ، فما استتمّ أكله حتى أمر به للسؤّال ، فشيل .

وقُدّم جَدْيٌ سمينٌ ، فما تهنّأوا بأكله حتى أمر به فرفع إلى السؤّال ،

وقُدم جام لوزينج معمول بالفستق ، وكان يعجب النعمان ، ويلزمه على كلّ [٣٦ ط] جام خمسون درهماً، وخمسة دنانير ، وأقلّ ، وأكثر ، على قدر كبر الجام ، فما أكلوا منه إلاّ يسيراً ، حتى قال : ارفعوه إلى السؤّال .

فقبض الهاشميّ على الجام ، وقال : يا هذا ، أحسب أنّنا نحن السؤّال ، ودعنا نتهنّا بأكله ، لِمَ تدفع كل ما تشتهيه للسؤّال ؟ وما للسؤّال وهذا ؟

---

١ يعني أبا بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة .

٢ يعني وكيل أبي المنذر النعمان بن عبد الله .

٣ السؤّال : جمع سائل ، وهو الذي يسأل الناس ويطلب الصدقة .

لهم في لحم البقر ، وعصيدة التمر كفاية ، والله لاشِلتَهُ .

فقال : يا سيّدي ، إنّ عادتي ما تراه .

قال : بئست العادة ، لا نصبر لك عليها ، تقدّم أن يعمل للسؤّال إذا كان لا بدّ لك من ذلك، مثل هذا، ودعنا نحن نتمتّع بأكله ، أوِ ادفع إليهم مثل ثمنه .

فقال : أفعلُ مستأنفاً ، وأتقدّم بأن يصنع لهم مثله ، فأمّا ثمنه ، فإنّ السائل لا تسمو نفسه ، ولا يتّسع صدره لعمل مثل هذا ، ولو دفع إليه أضعاف ثمنه مراراً ، لأنه إذا حصلت عنده الدراهم ، صرفها إلى غير هذا ، في أمره المختلّ الذي هو إلى إصلاحه أحوج ، ولا يُحْسنُ أيضاً ، عمل مثل هذا ، وأنا أُحِبُّ أن يشاركوني في الالتذاذ بما آكل ، يا غلام ، تقدّم الساعة بعَملِ جامةٍ [1] مثل هذه ، وتفريقها على السؤّال ، ففعل ذلك .

وكان بعدها إذا حضر من يحتشمه ، أمر بعمل مثل ما يقدّم إليه ، والصدقة به ، ولم يأمر برفع ذلك من [٤٠ ب] حضرته ، إلاّ إذا بَشِمهُ الحاضرون .

---

١ الجامة مؤنث جام : فارسية الأصل تعني الكأس أو الصحن العميق من الزجاج .

٦٣

أبو القاسم بن الحواريّ
وعظيم برّه بأمّه

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش ، قال :

كان يألف أبا القاسم بن الحواريّ[١] ، رجلٌ من أهل عُكبرا[٢] يخطب بأهلها ، وكان ماجناً ، خفيف الروح ، مليح الحديث والكلام ، طيّب النشوار والأدب ، يكنى بأبي عصمة ، وكان يؤاكله دائماً ، ويختصّ به[٣] ، وينفق عليه .

وكان أبو القاسم ، شديد البرّ بأمّه ، فكان يتنغّص لها بالماء فضلاً عمّا سواه ، ولا يتهنّأ بأكل شيء ، إلاّ إذا أكلت منه ، وكان من عادته إذا استطاب لوناً ، أن ينفذه من مائدته إليها .

فأكل عنده أبو عصمة هذا ، أوّل يوم ، وهو لا يعرف رسمه ، فقدّم

---

١ أبو القاسم علي بن محمد المعروف بابن الحواري : كان عظيم البذل ، واتصل بأم موسى القهرمانة ، فأوصلته إلى المقتدر وأصبح أثيراً لديه ، وهو الذي أشار عليه باستيزار حامد ابن العباس ، ولما وزر حامد قلد ابن الحواري جميع أعمال العطاء في العساكر لسائر نواحي المغرب ، وقلد ابنه ، وسنه عشر سنين ، بيت مال العطاء بالحضرة ، وكان يصل إليه مال عظيم وهو لا يباشر شيئاً من الأعمال ، ولما نكبت أم موسى القهرمانة سنة ٣١٠ ، اتهم ابن الحواري بالتآمر معها ، وقبض عليه ، وصودر على سبعمائة ألف دينار ، ثم تسلمه المحسن بن الفرات فصفعه صفعاً عظيماً ، وضربه بالمقارع ، ثم أخرجه إلى الأهواز مع مستخرج له ، فلما وصل إليها قتله المستخرج (تجارب الأمم ١ / ٤٩ - ١٣٤) .

٢ في ب : عذراء ، والتصحيح من ط ، وعكبرا : بليدة في نواحي دجيل ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (معجم البلدان ٣/٧٠٥) .

٣ في ب : ويختصه .

لوزينج طيّب، فما شبع منه أبو عصمة حتى أمر به أبو القاسم فرفع إلى والدته .

وقدمت مضيرة جيّدة ، بفراخ مسمّنة ، ودجاج هنديّ ، ودهن الجوز والخردل ، فما أكلوا منها حَسَبَاً[1] حتى أمر ابن الحواريّ ، برفعها إلى والدته ، فأخذ أبو عصمة رغيفاً ، وقام يمشي مع الغضارة .

فقال له ابن الحواريّ : إلى أين يا أبا عصمة ؟

قال : إلى الوالدة يا سيّدي ، آكل معها هذه المضيرة ، فإنّ هذه المائدة خراب ، والخصب عندها .

فضحك ابن الحواريّ ، وتقدم بردّ اللون إليه .

---

١ الحسب : القدر .

٦٤

أبو عصمة الخطيب وأهل عكبرا

قال[١] ، وكان أبو عصمة هذا لي صديقاً ، وبي آنساً ، فقال لي يوماً :
إنّ أهل عُكْبرا سُفّلٌ ، وأنا مبتلى بالخطبة[٢] بهم ، فإذا صعدتُ المنبرَ ، أومأت إليهم بيدي ، إيماء السلام ، فيؤذّنُ المؤذّن ، ويحسبون أنّي قد سلّمت عليهم ، وإنّما أقول : لحاكم كلّكم في استي .

---

١ يعني أبا الحسين بن عياش .

٢ يعني أنه يخطبهم في المسجد .

أصل نعمة سليمان الثلاج في بغداد

حدّثنا أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازيّ الكاتب [١] ، قال : حدّثني ابن سليمان الثلاّج [٢] قال : قال لي أبي :

كان أصل نعمتي من ثمن خمسة أرطال ثلجاً ، وذلك أنّه عزّ الثلج في بعض السنين ببغداد ، وقلّ ، وكان عندي منه شيء بعته ، وبقي منه خمسة أرطال .

فاعتلّت شاجي [٣] جارية عبيد الله بن عبد الله [٣٧ ط] بن طاهر [٤] ، وهو إذ ذاك أمير بغداد ، فطلبت منه ثلجاً ، فلم يوجد إلاّ عندي .

فجاؤوني ، فقلت : ما عندي إلاّ رطل واحد ، ولا أبيعه إلاّ بخمسة آلاف درهم ، وكنت قد عرفت الصورة .

فلم يجسر الوكيل على شراء ذلك ، ورجع يستأذن عبيد الله ، وكانت شاجي بمنزلةِ روحهِ ، وهي تتضوّر على الثلج ، وتلحّ في طلبه .

فشتمه عبيد الله ، وقال : امض واشتره بأيّ ثمن كان ولا تراجعني .

فجاءني ، فقال : خذ خمسة آلاف درهم ، وهات الرطل .

---

١ انظر ترجمته في حاشية القصة ١/١٧ من النشوار .

٢ الثلاج : بائع الثلج وفي ط : أبو سليمان .

٣ في ط : ساجي .

٤ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين : أبو أحمد ، أديب شاعر ، انتهت إليه رئاسة أسرته ، ولاه المعتز بالله إمارة بغداد موضع أخيه محمد بن عبد الله لما توفي ، وعبيد الله من رجال بني طاهر ، وله شعر رائق . ومؤلفات في اللغة والأدب والسياسة ، ولد سنة ٢٢٣ وتوفي سنة ٣٠٠ (الأعلام للزركلي ٤/٣٥٠ والكامل لابن الأثير ٧/١٨١ – ٥٠٠ و ٨/٧٥) .

فقلت : لا أبيعك إيّاه إلاّ بعشرة آلاف درهم ، فلم يجسر على الرجوع للاستئذان ، فأعطاني عشرة آلاف درهم ، وأخذ الرطل .

وسُقيت العليلةُ منه ، فقويت نفسها ، وقالت : أُريد رطلاً [٤١ب] آخر .

فجاءني الوكيل بعشرة آلاف درهم ، وقال : هات رطلاً آخر ، إن كان عندك ، فبعت ذلك عليه .

فلما شربته العليلة ، تماثلت ، وجلست ، وطلبت زيادة ، فجاؤوني يلتمسون ذلك .

فقلت : ما بقي عندي إلاّ رطل واحد ، ولا أبيعه إلا بزيادة ، فداراني ، وأعطاني عشرة آلاف درهم ، وأخذ رطلاً .

وداخلتني رغبة في أن أشرب أنا شيئاً من الثلج ، لأقول إنّي شربت ثلجاً سعر الرطل منه عشرة آلاف درهم .

قال : فشربت منه رطلاً .

وجاءني الوكيل قرب السحر ، وقال : ألله َ، ألله َ، قد والله صلحت العليلة ، وإن شربت شربة أُخرى برَأتْ ، فإن كان عندك منه شيء ، فاحتكِمْ في سِعْرِهِ .

فقلت له : والله ، ما عندي إلاّ رطل واحد ، ولا أبيعه إلاّ بثلثين ألفاً .

فقال : خذ .

فاستحييت من الله أن أبيع رطل ثلج بثلثين ألفاً ، فقلت : هات عشرين ألفاً ، واعلم أنّك إن جئتني بعدها بملء الأرض ذهباً ، لم تجد عندي شيئاً ، فقد فنيَ .

فأعطاني العشرين ألف ، وأخذ الرطل .

فلما شربته شاجي ، أفاقت ، واستدعت الطعام ، فأكلت ، وتصدّق عبيد الله بمال .

ودعاني من غدٍ ، فقال : أنت – بعد الله – رددت حياتي بحياة جاريتي ، فاحتكم .

فقلت : أنا خادم الأمير وعبده .

قال : فاستخدمني في ثلجه وشرابه ، وكثيرٍ من أمر داره .

فكانت تلك الدراهم التي جاءتني جملة ، أصل نعمتي ، وقويت بما انضاف إليها من الكسب مع عبيد الله ، طول أيّامي معه[1] .

---

[1] راجع : تبريد الماء بالثلج في العصور السالفة ، لميخائيل عواد ، نشر بمجلة أهل النفط – بيروت – السنة ٤ – العدد ٣٩ في تشرين الأول سنة ١٩٥٤ .

٦٦

بغداد في أيام المقتدر

تجارينا عند القاضي أبي الحسن محمد بن صالح بن عليّ الهاشميّ ابن أمّ شيبان [1] في سنة ستّين وثلثمائة، عِظم بغداد، وكثرة أهلها، في أيّام المقتدر، وما كان فيها من الأبنية، والشوارع، والدروب، وكبرَ البلَد، وكثرةَ أهله، في سائر أنواع الناس.

وذكرت أنا كتاباً رأيته، لرجلٍ يُعْرَفُ بيزدجرد بن مَهْبندان الكسرويّ [2]، كان على عهد المقتدر، بحضرة أبي محمد المهلّبيّ، كان سُلِّمَ إليّ وإلى جماعة ممّن حضر، كراريس منه، لننسخه، ونُنْفِذَهُ إلى الأمير ركن الدولة، لأنّه التمس كتاباً في وصف بغداد، وإحصاء ما فيها من الحمّامات، وإنّها كانت عشرة آلاف [3]، ذكر في الكتاب مبلغها وعدد من يحتوي عليه البلد من الناس، والسُّفُنِ، والملاّحين، وما يحتاج إليه في كلّ يوم من الحنطة [٣٨ ط]، والشعير، والأقوات، وإنّه حصّل [4] ما يصل إلى أصحاب المعابر فيه من الملاّحين [5] فكان في كلّ يوم، أربعين

---

١ أبو الحسن محمد بن صالح بن علي بن يحيى: أبو الحسن الهاشمي، ويعرف بابن أم شيبان، ولد سنة ٢٩٤، وولي القضاء ببغداد، وأم شيبان اسمها كنيتها، وهي بنت يحيى بن محمد، من أولاد طلحة بن عبيد الله، ولد أبو الحسن بالكوفة، وبها نشأ وكتب الحديث، وقدم بغداد وصاهر قاضي القضاة أبا عمر محمد بن يوسف على بنت ابنته، وكان أبو الحسن عظيم القدر، وافر العقل، واسع العلم، توفي فجأة في السنة ٣٦٩ (المنتظم ٧ / ١٠٢).

٢ يزدجرد بن مهمندار الفارسي صاحب كتاب فضائل بغداد، طبع ببغداد الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧ والطبعة الثانية سنة ١٩٦٢، عني بتحقيقه ونشره الاستاذ ميخائيل عواد.

٣ في ط: عشرات ألوف.

٤ في ط: أحصى، والمعنى واحد.

٥ في ب: الثلاجين.

ألفاً ، أو ثلاثين ألفاً .

وذكر غيري كتاباً ألّفه أحمد ابن الطيّب [1] ، في مثل هذا .

فقال لي القاضي أبو الحسن : أمّا ذاك ، فعظيمٌ لا نعلمه ، وقد شاهدنا [٤٢ ب] منه ما لا يستبعد معه أن يكون كما أخبر يزدجرد ، وأحمد بن الطيّب ، إلاّ إنّا لم نُحصه فنقطع العلم به ، ولكن بالأمس ، في سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، لمّا ضمن محمد بن أحمد المعروف بترة ، بادوريا [2] ، عمّرها ، وتناهى في ذلك ، فأحصينا وحصّلنا ما زرع فيها من جربان الخسّ ، في هذه السنة، وقدّرنا بكلواذى وقُطربّل وقرب بغداد ، ما يحمل إليها من الخسّ على تقريب ، فكان الجميع ألفي جريب [3] ، ووجدنا كلّ جريب خسّ يزرع فيه ستّة أبواب [4] ، يقلع من كلّ باب من الأصول ، كذا وكذا ، ولم أحفظه ، يكون للجريب كذا وكذا أصلاً ، وسعر الخسّ إذ ذاك ، على أوسط الأسعار كلّ عشرين خسّة بدرهم واحد [5] ، فحصل لنا أنّ ارتفاع الجريب ، على أوسط الريع والسعر ، ثلثمائة وخمسون درهماً ،

---

١ أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسيّ المتوفى سنة ٢٨٦، له : كتاب فضائل بغداد وأخبارها، راجع كشف الظنون ١٢٧٤/٢، وردت ترجمته في حاشية القصة ١٧٧/١ من النشوار .

٢ بادوريا : طسوج من كورة الأستان ، بالجانب الغربي من بغداد ، قالوا : ما كان في شرقي الصراة فهو بادوريا ، وما كان في غربيها فهو قطربل (معجم البلدان ١ / ٤٦٠) والطسوج الناحية، قال الصابي في تاريخ الوزراء: إن طساسيج السواد أربعة وعشرون ، وكانت قبلا ستين .

٣ الجريب : كالفدان بمصر إلا أنه أقل منه مساحة ، قاله أحمد تيمور .

٤ الباب : أحد الأجزاء التي يقسم إليها الجريب ، قاله أحمد تيمور ، أقول : ربما كان الباب ما يسمى الآن في بغداد (الجوّه) .

٥ ثمن رأس الخس الواحد في بغداد في هذا الوقت أي سنة ١٩٧١ نصف درهم ، يعني أن كل خستين بدرهم واحد ، نورد هذا للمقارنة بين السعرين .

قيمتها خمسة وعشرون ديناراً ، يكون لألفي جريب ، خمسون ألف دينار ، وكلّ ذلك يؤكل ببغداد ، فما ظنّك ببلدٍ يؤكل فيه في فصلٍ من فصول السنة ، صنف واحد من صنوف البقل ، بخمسين ألف دينار .

ثم قال لنا القاضي ، ولقد أخبرني رجل يبيع سَوِيقَ الحمّص [1] ، دون غيره من الأسوقة ، أسماه وأنسيته ، إنّه أحصى ما يتّخذ في سوقه من سويق الحمّص في كلّ سنة ، فكان مبلغه مائة وأربعون كرّاً [2] ، وأنّه يخرج في كلّ سنة منه ، حتّى لا يبقى منه شيء ، فإذا حال الحَوْلُ ، طحنوا مثل ذلك .

هذا وسويق الحمّص ، غير طيّب ، وإنّما يأكله الضعفاء والمتجمّلون ، شهرين أو ثلاثة من السنة ، عند عدم الفواكه ، وأضعافهم مراراً من الناس ، من لا يأكل ذلك أصلاً .

ثم قال : قال لي بعض مشايخ الحضرة : عمارة بغداد ، في سنة خمس وأربعين [3] ، عُشْرُ ما كانت عليه في أيّام المقتدر [4] ، على تحصيلٍ وضبطٍ ، يعني في الأبنية والناس .

---

١ السويق : بفتح السين (وفي بغداد يلفظ بضمها) الناعم من الدقيق ، وكل ما صلح أن يكون دقيقاً ، يمكن أن يتخذ منه السويق ، وأعلى أنواعه سويق اللوز ، ويخلط بالسكر أو العسل ، ويصب عليه الماء ، ويضاف إليه الثلج في وقت الصيف ، ويقال إن المنصور سم وزيره أبا جهم في سويق اللوز ، قال الشاعر :

تجنب سويق اللـــوز لا تشربنه فشرب سويق اللوز أردى أبا جهم

ويتخذ في جنوب الجزيرة العربية سويق النبق ، وسويق الشعير معروف في بغداد إلى الآن ، فإن أهلها عند احتفالهم بالنيروز ، يصنعون أنواع الحلوى والمخلط ، ومن جملة ذلك سويق الشعير ، مخلوطاً بدبس التمر .

٢ الكرّ : انظر حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٣ يعني خمس وأربعين وثلثمائة ، أيام معز الدولة الديلمي .

٤ خلافة المقتدر : ٢٩٥ — ٣٢٠ .

٦٧

أحاديث في احتباس الحمل

جرى بحضرة القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشميّ[١] احتباس[٢] الحمل ، وقول الشافعيّ ومالك فيه ما قالاه .

فحكيت أنا فيه ، ما روي من أنّ محمد بن عجلان، ولدَ لأربع سنين ، وأنّ أسنانه كانت تطحن[٣] .

فقال لي القاضي أبو الحسن : كان لأبي ، زوجة من ولد الأشعث بن قيس ، كوفيّة ، فحملت منه أحد عشر شهراً بحساب صحيح ضبطناه وأعلمناه ، مع شدّة الاستظهار والتحصيل ، فيما يجب تحصيله والاستظهار به في مثل ذلك ، فولدت بعد أحد عشر شهراً بنتاً ، فعاشت البنت سنين ، ولها أولاد .

قال : وحدّثني أبي عن جدّي : إنّه شاهد بالكوفة ، أربعة إخوة [٤٣ ب] ولدوا في بطن واحد ، وعاشوا كلّهم ، وأسنّوا ، ومنهم من أعقب.

قال لنا القاضي : إنّ إسماعيل بن أبي خالد المحدّث ، له ثلاثة إخوة ولدوا في بطن واحد ، وكلهم عاشوا وأسنّوا [٤] .

---

١ أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ٦٦ من النشوار .

٢ في ب (استاس) والتصحيح من ط .

٣ في ب قطعتين والتصحيح من ط .

٤ في ط : وكلهم قد عاش وأسن حتى حدث .

٦٨

قد ينال الإنسان باللين

ما لا ينال بالشدّة

حدّثني أبو العبّاس هبة الله بن محمد بن المنجّم [٣٩ ط] ، عن أسلافه :

إنّ المأمون[١] نكَبَ عاملاً له ، يقال له : عمرو بن نهيوي ، صهر موسى بن أبي الفرج بن الضحّاك ، من أهل السواد ، موسراً ، فأمر محمد ابن يزداد[٢] أن يتسلّمه إليه ، ويعذّبه ، ويعاقبه ، حتّى يأخذ خطّه بعشرة آلاف ألف درهم ، ويستخرجها منه .

فَسُلِّمَ عمروٌ إلى محمد ، فأكرمه ، وألطفه ، وأمر بخدمته وترفيهه ، وأفرده في حجرة سريّة من داره ، وأخدمه فيها من الفَرْشِ والغلمان بما يليق به ، ولم يكلّمه ثلاثة أيّام ، والمأمون يسأل عن الخبرِ ، فيبلغه ترفيهه له ، فيغتاظ ، ويسأله ، فيقول : هو مُطالبٌ .

فلما كان في اليوم الرابع ، استدعى عمروٌ محمداً ، فدخل إليه .

---

١ أبو العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد (١٧٠ – ٢١٨) : من أفاضل خلفاء بني العباس ، وعلمائهم ، وحكمائهم ، وحلمائهم ، وهو أول من فحص عن علوم الحكمة وحصّل كتبها وأمر بنقلها إلى العربية ، وشهرها ، ومن اختراعاته : مقاسمة أهل السواد بالخمسين ، وكانت المقاسمة المعهودة النصف ، توفي عن ٤٨ سنة ، ودفن بطرسوس (الفخري ٢١٦) وقبره معروف إلى الآن وعليه قبة قد تشعثت على ما بلغني .

٢ محمد بن يزداد بن سويد : أبو عبد الله ، من عائلة مجوسية ، أسلمت واتصل أفرادها بالخلفاء ، وسويد جد محمد أولهم إسلاماً ، نشأ بمرو وعمل في ديوانها ، وأنشأ أولاده نشأة حسنة ، وكان حفيده محمد شاعراً فصيحاً ، أديباً بارعاً ، اتصل بالمأمون فاستوزره ، وفوض إليه جميع الأمور ، وتوفي المأمون وهو وزيره (الفخري٢٢٧) .

قال محمد بن يزداد: فقال لي: يا هذا، قدعرفتُ ما تقدّم به إليك الخليفةُ في أمري، ووالله ما رأيت هذا المال، ولا نِصفَهُ، ولا ثُلثَهُ قط، ولا يحتوي عليه ملكي، ولعلّ الخليفة يريد دمي، وقد جعل هذا إليه طريقاً، وقد تفضّلت عليّ بما لا يسعني معه أن أدّخر جهداً في تجميلك عند صاحبك، وقد كتبت تذكرة بجميع ما يحتويه ملكي، ظاهراً وباطناً، وهي هذه، وسلّمها إليّ، وإذا هي تشتمل على ثلاثة آلاف ألف درهم، وعليّ، وعليّ، وحلَف بالطلاق والعتاق، والأيمان المغلّظة، ما تركت لنفسي بعد ذلك، إلاّ ما عليّ من كسوة تستر عورتي، وهذا وُسْعي، وجهدي، فإن رأيت أن تأخذه، وتسأل الخليفة الرضا به منّي، فإن فَعل فقد خلّصني الله بك، ونجّاني من القتل على يدك، وإن أبى، فإنّه يسلمني إلى عدوّي الفضل بن مروان[1]، وهو القَتْلُ، ووالله، لا أعطيت على هذا الوجه، درهماً واحداً، ولا كنت ممن يجيء على الهوان، دون الإكرام، وسأتلف، ولا يصل الخليفة إلى حبّة من مالي، ولكنّ المنّة لك عليّ حاصلة[2]، فإن عشتُ شكرتها، وإن متُّ فالله مجازيك عنّي.

قال: فأخذت التذكرةَ، ورحت إلى المأمون.

فقال: ما عملت في أمر عمرو بن نهيوي؟

فقلت: إنّه قد بذل ألفي ألف درهم، وليس عنده أكثر من ذلك.

---

١ الفضل بن مروان: أول وزراء المعتصم، وكان كاتبه قبل الخلافة، في الفخري (ص ٢٣٢) أنه كان من البردان، وكان عامياً لا علم عنده ولا معرفة، وكان رديء السيرة، جهولا بالأمور، قد تمكن من المعتصم، وحسده الناس على منزلته عنده، ثم نكبه وأخذ جميع أمواله، وعفا عن نفسه، فبقي مدة يتنقل في الخدمات حتى مات في أيام المستعين.

٢ في ب: خالصة

فاستشاط ، وقال : لا ، ولا كرامة له ، ولا أربعة آلاف ألف ، ولا ثمانية آلاف ألف .

وقال لي الفضل : ما دمت ترفّهه ، وتكرمه ، وتجلسه على الدسوت ، وتخدمه بنفسك وغلمانك ، كيف لا يتقاعد ؟

فقلت له : فتسلّمه أنت إن شئت .

فقال الخليفة [٤٤ ب] : خذه إليك .

فأخذه ، وأرهقه ، وطالبه بعشرة آلاف ألف ، ودهقَهُ[1] ، وضربه ، وهو لا ينحلّ بشيء .

فنزل معه إلى خمسة آلاف ألف ، فلم يستجب .

فقنع منه بثلاثة آلاف ألف ، فلم يجب .

فلما زاد عليه المكروه ، وخاف الفضل أن يتلف في العذاب ، فيجب المال عليه في نفسه بإتلافه إيّاه ، رفق به ، وداراه ، وخلع عليه ، ورفّهه أيّاماً .

وقال له : كان محمد بن يزداد بذل عنك ألفي ألف درهم ، وقد قنعت بها منك ، فهاتها .

فقال : ما ملكتها قط ، ولا بذلتها لمحمّد .

فجاء الفضل إلى المأمون ، فاقتصّ عليه خبرَهُ معه ، في معاقبته ، ومطالبته أولاً ، بالكلّ ، واقتصاره ثانياً ، وترفيهه له ، وإكرامه ، وقناعته منه بألفي ألف درهم ، وإقامته على أنّه لا مال له ، وإنكاره [٤٠ ط] أن يكون بذَلَ ذلك ، وكنت حاضراً .

فانقطع الحَبْلُ في يد المأمون ، وكاد يهمّ بالفضل .

---

[1] الدهق : آلة تعذيب تشتمل على خشبتين يضيق بهما على ساقي المعذب .

فقلت : يا أمير المؤمنين الرجال لا يكالون ، وليس كلّ أحد يجيء على الهوان ، وإنّ الفضل استخطأ رأيي فيما عاملت عمْرواً به ، فصار إليه ، وعامله بمثله حيث لم ينفع ذلك ، ولو تركني معه في الأوّل ، لاستخرجت منه ثلاثة آلاف ألف عفواً ، وهذه تذكرةٌ بخطّ عمرو تحتوي على ثلاثة آلاف ألف ، فأخرجتها ، وطرحتها بين يديه .

وقلت : لو كنت علمت أنّ أمير المؤمنين يجيبني في ذلك الوقت ، إلى ثلاثة آلاف ألف ، عنه ، لبذلتها ، فبذلت ألفي ألف ، حتّى إن لم يقنع ، زدت ألف ألف ، والآن فقد فسد هذا ، ووالله ، لا أعطي عمرو ، مع ما جرى عليه ، حبّةً ، فإن استحلّ أمير المؤمنين دمه ، فذاك إليه ، وإلاّ فليس إلى استخراج شيء منه سبيل .

قال : فاستحيا المأمون ، وأطرق مفكّراً مليّاً ، ثم رفع رأسه ، وقال : والله لا كان كاتب من كتّابي ، ولا نبطيّ من عمّالي ، أكرمَ ، وأوفى ، وأصحّ تدبيراً منّي ، قد وهبت لك يا محمد ، عمْرواً وما عليه ، فخذه ، واصنع به ما شئت .

فتسلّمته من الفضل بن مروان ، وأطلقته مكرّماً إلى بيته .

٦٩

الحجاج بن يوسف الثقفي

يأمر بتعذيب آزادمرد

ويشبه هذا الحديث ، حديثاً ، وجدته بخطّ القاضي أبي جعفر بن البهلول [١] ، ذكر أن محمّد بن أحمد الحشميّ [٢] ، أخبره ، قال :

قال الحجّاج بن يوسف [٣] ، لمحمّد بن المنتشر : خذ إليك آزادمرد ابن الفرند ، فدقّ يده على رجله ، حتّى تستخرج منه المال الذي عليه .

قال محمّد : فاستخرجت منه بالرفق ، ثلثمائة ألف درهم ، في جمعة ، فلم يرض ذلك الحجّاج ، فأخذه منّي ، ودفعه إلى مَعَدّ ، صاحب عذابه ، فدقّ يده ، ودهقه ، ودقّ ساقه .

فَمُرّ به عليّ ، وأنا في السوق ، معترضاً على بَغْلٍ ، فقال : يا محمد ادْنُ ، فدنوت منه .

---

١ القاضي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٦ من النشوار .

٢ أبو بكر محمد بن أحمد بن عمران الحشمي : قال التنوخي سمعت من الحشمي في دكانه بباب الشعير في سنة ٣٧٤ ، وقال عنه الخطيب البغدادي: كان ثقة (تاريخ بغداد ١ / ٣٢٨) .

٣ الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠–٩٥) : الذي يضرب بظلمه وعسفه وجوره المثل، حاصر مكة في السنة ٧٣، ورمى الكعبة بالمنجنيق ، وقتل ابن الزبير ومنع الناس من الصلاة عليه عند دفنه ، وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص ، ثم ولي العراق ، قتل صبراً – سوى من قتل في حروبه – مائة وعشرين ألفاً، ومات في حبسه خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد ، ولم يكن لحبسه ستر يستر الناس من الشمس في الصيف ، ولا من المطر والبرد في الشتاء ، قال عنه عمر بن عبد العزيز : لو جاءت كل أمة بخبيثها ، وجئنا بالحجاج لغلبناهم ، (الكامل لابن الأثير ١ / ١٣ – ٤٨١ و ٢ / ١٤–٥١٠ و ٣ / ١٢٠ – ٤٧٨ و ٤ / ١١٣ – ٥٩١) .

فقال : إنّك وَليْتَ مني مثل هذا ، فأحسنت إليّ ، فأدّيتُ ما أدّيتُ عفواً ، ووالله [٤٥ ب] لا يؤخذ مني درهم واحد كرهاً ، ولي عند فلان ثلاثون ألفاً ، فخذها جزاء لما صنعت .

فقلت : والله ، لا أخذت منك ، وأنت على هذه الحال ، شيئاً .

قال : أتدري ما سمعت من أهل دينكم ، يحكون عن نبيّكم ؟

قلت : لا .

قال : سمعتهم يقولون ويحكون عنه ، إنّه قال : إذا أراد الله بقومٍ خيراً ولّى عليهم خيارهم ، وأمطرهم المطر في أوانه ، وإذا أراد بقوم سوءاً[1] ، ولّى عليهم شرارهم ، وأمطرهم المطر في غير أوانه ، ثم أمر قائد البغل ، أن يقوده .

فلم أرُمْ من مكاني[2] ، حتى جاءني رسول الحجّاج ، وقال : أجِبْ ، فمضيت إليه ، فوجدته متنمّراً ، والسيف منتضى في حجره .

فقال : ادْنُ .

فقلت : لا والله ، لا أدنو وهذا في حجرك .

فأضحكه الله ، وأغمد السيف ، وقال : ما خاطبك به المجوسيّ ؟

قلت : والله ، ما غششتك منذ ائتمنتني ، ولا كذبتك منذ صدقتني ، فقصصت عليه القصّة .

فلما أردت أن أذكر الرجل الذي عنده الثلاثون ألف، أعرض ، وقال : لا تذكره ، أما إنّ الكافر عالم[3] بآثار رسول الله [٤١ ط] صلّى الله عليه وسلّم .

---

١ في ط : شراً .

٢ في ط : فلم أزل من مكاني .

٣ في ط : عارف .

٧٠

الأمير معزّ الدولة البويهي
ووزيره أبو محمد المهلّبيّ

كان معزّ الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه[١] ، لمّا ابتنى قصره بباب الشّماسية[٢] ، والإصطبلات المتّصلة بآخره من أحد جوانبه ، التي لم يسبق إلى حسنها ، وعمل الميدان على دجلة متّصلاً بين القصر والبستان الشارع على دجلة ، الذي يلازق[٣] دار صاعِد بن مَخْلد[٤] ، الذي كان منزلاً لأبي جعفر

---

١ الأمير معز الدولة : أبو الحسين أحمد بن بويه ، أحد أولاد بويه الثلاثة ، الأكبر أبو الحسن علي ، ولقبه عماد الدولة . والثاني أبو علي الحسن ، ولقبه ركن الدولة ، والثالث أبو الحسين أحمد ، ولقبه معز الدولة، لقبهم بذلك المستكفي بالله ، وكانوا فقراء ببلد الديلم ، وكان معز الدولة يحتطب ويحمل الحطب على رأسه ، ثم خدموا مرداويج بن زيار الديلمي، وتقلبت بهم الأحوال ، فملكوا الدنيا ، وكانت العراق من حصة معز الدولة ، وقد ورد معز الدولة العراق في السنة ٣٣٤ ، ولقي المستكفي، فمنحه وأخويه ألقابهم ، ثم عزل المستكفي، ونصب المطيع لله خليفة بدله ، ومرض معز الدولة ببغداد في السنة ٣٥٦ ، فعهد إلى ابنه بختيار ، وتوفي وعمره ٥٣ سنة ، وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً (المنتظم ٧ / ٣٨) .

٢ باب الشماسية : باب محلة الشماسية التي تقع في أعلى مدينة بغداد ، وهي أعلى من الرصافة ، ومن محلة أبي حنيفة (يعني أنها تقع شمال مدينة الأعظمية الحالية) وفيها كانت دار معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه ، وبلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، ومسناته باق أثرها ، وباقي المحلة صحراء موحشة ، يتخطف فيها اللصوص ثياب الناس . (معجم البلدان ٣ / ٣١٨) .

٣ لزق : بمعنى لصق ، مستعملة في بغداد إلى الآن .

٤ صاعد بن مخلد وزير الموفق : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ١ من النشوار .

محمّد بن يحيى بن شيرزاد[1] ثم صيّره أبو جعفر الصيمري[2] بستاناً ، والجميع الآن داخل في جملة قصر معزّ الدولة .

أوّل ما بدأ بأن بنى السور المحيط بالقصر والميدان ، والمُسنّاة العظيمة التي من حدّ رقّة[3] الشمّاسية إلى بعض الميدان ، وطول ما بناه منها ألف وخمسمائة ذراع ، وعرضها نيّف وسبعون آجرّة كباراً، سوى الدّستاهيجات[4] التي تخرج منها إلى داخلها لضبطها .

وكان العمل في ذلك متصلاً ، والصنّاع فيه متفرّقين .

وهذا بعد أن كان عمِلَ على بناء مدينة لنفسه ، وخرج إلى كلواذى[5] ليتّخذها هناك ، ثم أراد اتخاذها حيال كلواذى، ثم رحل إلى قطربّل[6] ، فأراد أن يبنيها عندها، ثم تقرّر رأيه على بناء دار بباب الشمّاسية، حصينة ، يستغني بها عن المدينة ، وتخفّ عليه نفقتها .

وقدّر لذلك ألوف ألوف دراهم ، وزادت النفقة على التقدير أضعافاً .

وكان يطالب وزيره أبا محمّد المهلّبي بتوجيه وجوه الأموال لذلك ،

---

١ أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد : راجع ترجمته في حاشية القصة ٢ / ١٧٧ من النشوار .

٢ أبو جعفر الصيمري : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ٤٧ من النشوار .

٣ الرقة وجمعها رقاق : الأرض التي يغطيها ماء النهر ثم ينحسر عنها ، وإليها ينسب البطيخ الذي يسمى في العراق : الرقي .

٤ الدستاهيجات : الدعائم التي تبنى بجوار الأسوار لتقويتها (قاله أحمد تيمور) .

٥ كلواذى : هي المنطقة التي تعرف اليوم بـ (كراره) وتشتمل على المنطقة المسماة بالمسبح وما جاورها ، قال عنها ياقوت في معجم البلدان (٣٠١/٤) : إنها طسوج قرب مدينة السلام من ناحية الجنوب الشرقي ، بينها وبين بغداد فرسخ واحد للمنحدر .

٦ قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا، هي منتزه البطالين، وحانة الخمارين ، ما كان شرقي الصراة فهو بادوريا ، وما كان غربيها فهو قطربل (معجم البلدان ١٣٣/٤) .

مع قصور الدَّخْلِ[1] عن الخَرْجِ ، فيلقى منه عَنَتاً[2] .

ثم كلّفه تولّي [٤٦ ب] البناء بنفسه وكُتّابه، فكان ، وهم ، يتولّون ذلك .

فسعى بعض أصحاب معزّ الدولة إليه ، أنّهم يسفون[3] البناء في السور ، ليتعجّل بنفقة خفيفة ، ويسرقون الباقي .

وأوقفه على موضع منه ، كان فيه ساف لِبْنٍ لم يحكمه الصنّاع ، ومشى عليه بحضرة معزّ الدولة — لأنّه ركب إليه — فانقلعت منه لِبْنَةٌ .

فحمي طَبْعُهُ ، وكان حديداً جدّاً ، سليم الباطن مع ذلك ، وإذا أخرج حدّته، وانقضت سورة غضبه، يندم على فعله ، ولكن من يقوم على تلك الحدّة .

فأحضر المهلّبيّ ، وواقفه على ما رآه ، فأخذ يحتجّ عليه .

فحميَ ، وأمر به ، فَبُطحَ ، وضُرِبَ مقارع كثيرة .

ثم قال : اخنقوه ، فجُعلَ في عنقه حَبْلٌ ، وأمسكه ركابيّون فوق السور ، ليشيلوه، فيختنق .

وبلغ خبره القوّاد ، والأتراك ، وخواصّه ، فبادروا إلى تقبيل الأرض بين يديه ، ومسألته الصفح عنه ، فأنزله ، وأطلقه .

فمضى إلى داره كالميت ، وأظهر قلّة حَفْلٍ بذلك ، لئلاّ يشمت أعداؤه ، ويطمعوا في صَرْفِهِ ، ويتقوّلون[4] عليه بانكسار إن بان منه ، ولئلاّ يبلغ صاحبه أنّه مستوحش من ذلك ، فيستوحش منه .

---

١ في ط : ضيق الدخل .

٢ في ب : عتبا ، وفي ط : غبنا .

٣ في ب : يشفقون ، والتصحيح من ط ، و السنيف : حاشية البساط ، يعني أنهم يعنون بحاشية البناء وظاهره ، ويهملون باطنه .

٤ في ب : تقولوا .

وكانت عادته أن يشرب في تلك الليلة النبيذ ، ويدعو الغناء ، فجمع النُّدماء ، ليُرِي قلّة الاكتراث بما جرى عليه .

وعاد إلى داره وقد قرُبَ المساء ، فدعا بما يأكله ، فأكل ، وندماؤه معه ، وليس فيه فضل لشدّة الألم ، وهو يتجلّد ، ويتحدّث .

ثم دعا بنبيذ ، فقالوا له : أيّها الوزير ، لو استرحت ، وطرحت نفسك ، كان أولى من النبيذ ، فليس هذا وقته ، وذنّبوا له في هذا .

فأخذ هو يعزّيهم عمّا جرى [٤٢ ط] عليه ، ويسلّيهم ، وتمثّل في كلامه بهذا البيت :

فإنّ أمير المؤمنين وفعلـه لكالدهر لا عارٌ بما صَنَعَ الدهرُ

ثم شرِبَ أقداحاً ، وقام .

أخبرني بذلك ، من حدّثه به[1] ، من ندماء أبي محمد ، عن مشاهدة .

---

[1] في ب : إياه .

٧١

الأمير معز الدولة وحدّة طبعه

وكانت عادة الأمير معزّ الدولة ، إذا حَمِيَ جداً ، أن يأمر بالقتل ، ويكره أن يتمّ ذلك ، ويعجبه أن يُسأل العفو .

وقد فعل هذا ، كثيراً جدّاً ، بخلقٍ من جملة أصحابه .

وأوّل ما عُرِفَ ذلك منه ، وأُقدِمَ لأجله على مساءلته العفو ، إذا أمر بقتل صاحبٍ له ، أنّه أنكر على رجل بالأهواز ، وهو إذ ذاك مقيم بها ، وكان الرجل ضرّاباً[1] يُعْرَفُ[2] بابن كردم ، أهوازيّ ، ضَمِنَ منه عمالةَ دار الضَرْبِ بسوق الأهواز ، فضرب دنانير رديئة ، ولم يعلم الأمير بها ، فأنفذها إلى البصرة ليشتري بها الدوابّ ، والبريديّون إذ ذاك بها ، فلم تؤخذ لشدّة فسادها ، فرُدَّتْ ، وعاد الراضة الذين كان أنفذهم لذلك ، فعرّفوه الخبر ، فحَمِيَ [٤٧ ب] ، وأحضر ابن كردم هذا ، وخاطبه ، وازداد طبعه حَمْياً ، إلى أن أمر بأن يُخْنَق على قنطرة الهندُوان[3] ، بالأهواز .

فأخرج من بين يديه ، وخنق ، ومات ، وعاد من كان أمره بذلك ، فوقف بحضرته .

فقال له : ما فعل الرجل ؟ قال : خنقناه ومات .

فكاد أن يطير غضباً ، وشتمه ، وشتم الحاضرين ، وقال : ما كان فيكم من يسألني أن لا أقتله ؟ وأخذ يبكي ، وكان فيه تحرّج من القتل .

فقالوا : ما علمنا ، وخفناك .

فكان بعد ذلك إذا أمر بقتل إنسان ، سُئلَ ، وروجع ، فيعفو .

---

١ الضرّاب : الذي يسك النقود .   ٢ في ب : يضرب ، والتصحيح من ط .

٣ الهندوان : نهر بين خوزستان وارّجان ، عليه ولاية (معجم البلدان ٤ / ٩٩٣) .

٧٢

من مكارم أخلاق الأمير سيف الدولة

أخبرني طلحة بن عبيد الله بن قناش ، قال :

كنت يوماً في مجلس حديثٍ وأنسٍ ، بحضرة سيف الدولة، أنا وجماعة من ندمائه ، فأدخل إليه رجل ، وخاطبه، ثم أمر بقتله ، فقتِلَ في الحال .

فالتفت إلينا ، وقال : ما هذا الأدب السيّء ، وما هذه المعاشرة القبيحة التي نعاشر ونجالس بها ؟ كأنكم ما رأيتم الناس ، ولا سمعتم أخبار الملوك ، ولا عشتم في الدنيا ، ولا تأدّبتم بأدب دين ولا مروءة .

قال : فتوهّمنا أنّه قد شاهد من بعضنا حالاً يوجب هذا ، فقلنا : كلّ الأدب إنّما يستفاد من مولانا أطال الله بقاءه — وهكذا كان يخاطب في وجهه — وما علمنا أنّا عملنا ما يوجب هذا ، فإن رأى أن ينعم بتنبيهنا ، فعل .

فقال : أما رأيتموني ،وقد أمرتُ بقتل رجلٍ مسلم لا يجب عليه القتل، وإنّما حملتني السطوة والسياسة لهذه الدنيا النكِدَةِ ، على الأمر به ، طمعاً في أن يكون فيكم [رجل][1] رشيد فيسألني العفو عنه ، فأعفو، وتقوم الهيبة عنده وعند غيره ، فأمسكتم حتى أُريق دمُ الرجل ، وذهب هدراً .

قال : فأخذنا نعتذر إليه ، وقلنا : لم نتجاسر على ذلك .

فقال : ولا في الدماء ؟ ليس هذا بعذر .

فقلنا : لا نعاود .

واعتذرنا حتى أمسك .

---

١ الزيادة من ط .

٧٣

الخليفة المعتضد يعذب شخصاً

حاول الخروج عليه

حدّثني أبو الحسن ، أحمد بن يوسف الأزرق ، قال : حدّثني أبي قال :

كنت أكتب لبدر اللاني[1] [٤٣ ط] في أيام الموفّق[2] ، والمعتضد[3] ، وأدخل الدار معه ، وأليه ، فرأيت محمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيلمة[4] ، وقد جعله كردناكاً[5] .

---

١ في ب : اللطيفي ، والتصحيح عن ط ، وعن معجم الأدباء (٦ / ٤٩٤) .

٢ الموفق : أبو أحمد طلحة بن المتوكل ، ويلقب بالناصر أيضاً ، كان الغالب على أمر المعتمد أخيه ، وكانا كالشريكين في الخلافة ، للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بأمرة المؤمنين ، وللموفق الأمر والنهي ، ولد سنة ٢٢٩ ، وتوفي سنة ٢٧٨ . وله تسع وأربعون سنة ، (المنتظم ٥ / ١٢١) .

٣ المعتضد : أبو العباس ، أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل ، ولد سنة ٢٤٢ . وكان قوي السياسة ، شديداً على أهل الفساد ، حاسماً لمواد أطماع عساكره عن أذى الرعية ، محسناً إلى بني عمه من آل أبي طالب ، توفي في السنة ٢٨٩ . ومدة خلافته سبع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً (الفخري ٢٥٦) .

٤ محمد بن الحسن بن سهل ، المعروف بـ (شيلمة) ، وهو لقب له ، وأبوه الحسن بن سهل ، الوزير المعروف ، أخ الفضل بن سهل وزير المأمون ، وكان شيلمة أولا مع صاحب الزنج ، ثم صار إلى بغداد وأمن ، ثم خلط وسعى لبعض الخوارج ، فأحرقه المعتضد حياً ، وله من الكتب المصنفة : كتاب أخبار صاحب الزنج ، وكتاب رسائله (معجم الأدباء ٦ / ٤٩٤) .

٥ الكردناك ، والكردناج ، ويسمى الآن في بغداد : لحم القص ، وينطق القاف كافاً فارسية ، ويسمى أيضاً : شاورما ، والكلمة تركية ، قال أحمد تيمور : يصنع بأن يشك اللحم المقطع ، أو الحيوان بكامله ، في سفود من الحديد ، ثم يقلب على النار حتى ينضج ، وفي القصة تفصيل لكيفية صنع الكردناك ، يغني عن الإسهاب في الشرح .

قال : فقلت له : كيف فعل ذلك ؟ وما كان سببه ؟

فقال : إنّ رجلاً من أولاد الواثق ، كان يسكن مدينة المنصور ، سعى في طلب الخلافة ، واستوزر شيلمة ، فأخذ له البيعة على أكثر أهل الحضرة ، من الهاشميّين ، والقضاة ، والقوّاد ، والجيش ، وأهل بغداد الأحداث ، وأهل العصبيّة ، وقوي أمره ، وانتشر خبره ، وهمّ بالظهور في المدينة ، والاعتصام بها ، والتحصّن ، حتى إذا أخذ المعتضد ، صار إلى دار الخلافة .

فبلغ المعتضد الخبر على شرحه ، إلاّ اسم المستخلَف .

فكبس شيلمة [٤٨ ب] وأخذه ، فوجد في داره جرائد[1] بأسماء من بايع ، وبَلَغَ الهاشميَّ الخبرُ ، فهرب .

وأمر المعتضد بالجرائد ، فأحرقت ظاهراً ، لئلاّ يعلم الجيش بوقوفه عليها فتفسد نيّاتهم له ، بما يعتقدون من فساد نيّته عليهم .

وأخذ يسائل شيلمة عن الخبر ، فصَدَقَهُ عن جميع ما جرى ، إلاّ اسم الرجل الذي يستخلَف ، فرفق به ليصدقه عنه ، فلم يفعل .

وطال الكلام بينهما [فتوعّده][2]، فقال له : والله ، لو جعلتني كردناكاً، ما أخبرتك باسمه .

فقال المعتضد للفرّاشين : هاتُم أعمدة الخِيَم الكبارِ الثقالِ ، [فجاءوه بها][2] وأمر أن يشدّ عليها شدّاً وثيقاً [فشدّ][2]، وأحضروا فحماً عظيماً ، وفُرِشَ على الطوابيق[3] بحضرته ، وأجّجوا ناراً ، وجعل الفرّاشون يقلّبون

---

١ الجريدة : نسميها الآن القائمة .

٢ الزيادة من ط .

٣ الطابوقة وجمعها طوابيق ، وطابوق : هي الآجرة العريضة المسطحة التي تفرش بها الأرض ، والكلمة مستعملة إلى الآن في بغداد .

شيلمة على تلك النار ، وهو مشدود على الأعمدة [1] ، إلى أن مات وانشوى [2] .
[وأخرج من بين يديه ليدفن ، فرأيته على هذه الصورة] [3] .

قال : وأمر المعتضد بهدم السور المحيط بالمدينة ، فهدم منه شيء يسير ، فاجتمع إليه الهاشميّون ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، فخرنا ، وذكرنا ، ومأثرتنا [4] فأمر بقطع الهدم ، وصرف حفظة كانوا عليه متوكّلين برعيه ، ورخّص فيه ، وتركهُ وأهمله ، وخلّى بينه وبين الناس .

فما مضت إلاّ سنيّات ، حتّى هدم الناس أكثره ، أوّلاً فأوّلاً ، ووسّعوا به ما يجاوره من دورهم ، واستضافوا مكانه إليها ، حتّى إنّ ذلك اتّسع ، فجعل وزير [5] المقتدر ، على كل دار هذا حكمها ، أجرة العرضة بحسب ذلك ، وكان لها ارتفاع [6] كثير .

ثمّ تبع ذلك بسنين ، خراب المدينة ، أوّلاً فأوّلاً ، حتّى بلغت إلى ما هي عليه .

---

١ راجع بشأن بعض ألوان التعذيب القصص ١ / ٦٩ و ٧٤ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٢ / ٣٣ و٨ / ٤١ ، ٤٧ و ٤٨ من النشوار ، والفرج بعد الشدة ٢ / ١٩ ومروج الذهب ٢ / ٤٦٢و ٤٦٤ والوزراء ٤٧ و ١١٨ و ١٣٨ و ٢٦٤ والكامل في التاريخ ٤ / ٤٨٨ و ٧ / ٥٣١ .

٢ في ط : اشتوى ، وكلاهما صحيح .

٣ الزيادة من ط .

٤ في ب : آثارنا .

٥ في ط : وزراء .

٦ الارتفاع : بمعنى الوارد .

٧٤

بابك الخرّمي

وجَلَدُهُ وصَبرُه على العذاب

ومن عجيب أخبار قوّة النفس :

إنّ أخا بابك الخرّمي[١] ، المازيار[٢] ، قال له لما أدخلا على المعتصم : يا بابك إنّك قد عملت ما لم يعمله أحد ، فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد .

فقال له : سترى صبري .

فلما صار بحضرة المعتصم ، أمر بقطع أيديهما وأرجلهما بحضرته .

فبدىء ببابك ، فقطعت يمناه ، فلما جرى دمها، مسح به وجهه كلّه، حتى لم يبق من حلية وجهه ، وصورة سحنته ، شيء .

فقال المعتصم : سلُوه لِمَ فَعل هذا ؟

فسئل ، فقال : قولوا للخليفة ، إنّك أمرت بقطع أربعتي ، وفي نفسك قتلي ، فلا شك أنّك لا تكويها، [٤٤ ط] وتدع دمي ينزف إلى أن تضرب عنقي، فخشيت أن يخرج الدم منّي، فتبين[٣] في وجهي صفرة يُقدّرُ لأجلها

---

١ بابك الخرمي : خرج في السنة ٢٠١ يريد إرجاع دولة الفرس ، وإعادة الدين المجوسي ، وهزم من جيوش السلطان عدة، وقتل من قواده جماعة، ولما أسر ، أدخل إلى سامراء على فيل، ثم أدخل دار المعتصم حيث قتل هو وأخوه، ودامت حركة بابك عشرين سنة، قتل فيها مائتا ألف وخمسة وخمسون ألف وخمسمائة إنسان، واستنقذ من أسره من المسلمين ، لما اندحر ، سبعة آلاف وستمائة إنسان . (الكامل لابن الأثير ٦ / ٣٢٨ - ٥١٥) .

٢ في كتب التاريخ: إن أخا بابك اسمه عبد الله، وإن المازيار ، كان أميراً على طبرستان ، وخالف في السنة ٢٢٤ على الخليفة المعتصم ، وحارب ، فأسر ، وحمل إلى المعتصم ، فضربه حتى مات ، وصلبه إلى جانب بابك (الكامل لابن الأثير ٦ / ٥١١ ، ٥١٥) .

٣ في ب : فتبقى .

مَن حضرَ ، أنّي قد فزِعتُ من الموت ، وانّها لذلك ، لا من خروج الدم ، فغطّيت وجهي بما مسحته عليه من الدم حتّى لا تبين الصفرة .

فقال المعتصم : لولا أنّ أفعاله لا توجب العفو عنه ، لكان حقيقاً بالاستبقاء لهذا الفضل ، وأمر بإمضاء أمره فيه .

فقطعت أربعته ، ثم ضرب عنقه ، وجعل الجميع على بطنه [1] ، وصبّ عليه النفط ، وضرب [٤٩ ب] بالنار .

وفُعِلَ مثلُ ذلك بأخيه [2] ، فما كان فيهما من صاح وتأوّه .

---

١ في ط : القطن .

٢ جاء في الكامل لابن الأثير : أن عبد الله أخا بابك ، قتل ببغداد بعد قتل أخيه بسامراء (٦ / ٤٧٨) .

٧٥

عافية الباقلاّني وخالد الحذّاء

يسيران حافيين على باب حديد محميّ

وقد حكي : أنّ عافية الباقلاّني ، وخالد الحذّاء[١] ، رئيسي أصحاب العصبيّة في زمانهما ، بايعا[٢] على أن يحمى لهما باب حديد ، ويمشيان عليه ، ففعلا ذلك . فلما حصلا فوقه ، حلّ أحدهما مئزره ، ثم ضرب يده إلى الآخر ، وضبطه ، وقال : انطرني أتوزّرهما عطفيّين[٣] ، أي انتظر حتى أتّزر .

قال : فما فارقه ، حتى شدّ مئزره ، وهما فوق الباب المحميّ ، ثم تمّم مشيه ، حتى خرج منه ، وقد غلب بتلك الساعة[٤] ، وإن لم يكن في الباب الحديد حيلة ، أو عادة ، مثلما يكون أسفل القدر ، كالنار إذا دام الوقود عليها ، فيأخذها الإنسان [لساعته][٥] على راحته ، لأنّ البخار يتصاعد ، ثم يدعها قبل أن ينعكس البخار إلى أسفلها .

وقد شاهدت أنا ، أبا الأغرّ بن [أبي][٦] شهاب التيميّ[٧] بالبصرة ، فعل ذلك ، وإلاّ ، فلا أدري ما هو .

---

١ في ط : الحداد .

٢ بايع : عاهد .

٣ انطرني ، بالطاء : لغة فصيحة في انتظرني ، وهي مستعملة ببغداد إلى الآن ، وأتوزّر : بغدادية أيضاً بمعنى أتزر ، والعطاف : الرداء المشدود إلى العنق ، وقوله : انطرني أتوزرهما عطفيين ، يعني أنه يحل إزاره من وسطه ليعيد ربطه إلى عنقه .

٤ كذا وردت في ب و ط ، ولعلها : المبايعة .

٥ الزيادة من ب .

٦ الزيادة من ط.

٧ في ط : التميمي .

وقد أخبرني غير واحد ، أنّ القطعة الحديد ، إذا أدخلت الكور ، وأحميت حتّى تبيضّ بياضاً شديداً ، فأخذها الإنسان ، فلطعها مرتين ، أو ثلاثة ، قبل أن يرجع فيها الحمي ، لم تضرّ لسانه .

وقد شاهدت أنا ، أبا الحسن عليّ بن محمد بن أحمد التنوخيّ ، وقد أدخل إلى فيه ، غير مرّة ، شمعة [مشعلة] [1] فيها رطل ، وعضّ عليها ، وكشّر شفتيه لي ، حتّى تبيّنت اتّقاد الشمعة في فيه ، ساعة ، ثم أخرجها غير منطفئة .

وسألته عن علّة ذلك، فقال : يحتاج إلى حذق في سرعة الإدخال، حتّى لا تحرق الشفتين ، فإذا حصلت في داخل الفم ، لم تضرّ ، لأنّ ما يتصاعد من حَمْي الجوف ، يغلب على حماها [2] ، فلا تضرّ .

---

١ الزيادة من ط .

٢ يقصد : حميها ، وقوله : حماها ، لغة بغدادية تعني حرارتها .

٧٦

كيف قتل الخليفة المعتضد
وزيره إسماعيل بن بُلبُل

ومن طريف عقوبات المعتضد ، قَتْلته إسماعيل بن بلبل[١] ، حدّثني أبي ، قال : أخبرني جماعة من أهل الحضرة ، يعرفون ويحصّلون :

إنّ المعتضد أمر بإسماعيل بن بلبل ، فاتّخذ له تغار[٢] كبير ، وملىء إسفيداجاً حيّاً[٣] ، وبلّه ، ثم جُعِلَ بالعجل رأس إسماعيل فيه ، إلى آخر عنقه ، وشيء من صدره ، وأمسك حتى جمد الإسفيداج ، فلم تزل روحه تخرج بالضراط ، إلى أن مات[٤] .

---

١ الوزير إسماعيل بن بلبل : استوزره الموفق طلحة لأخيه المعتمد ، وبلغ من الوزارة مبلغاً عظيماً ، وجمع له السيف والقلم ، ومدحه الشعراء كالبحتري وابن الرومي وهجوه ، فلما ولي المعتضد الخلافة حبسه ، ثم قتله واستصفى أمواله (الفخري ٢٥٢) .

٢ التغار : فارسية بمعنى الإجانة (الألفاظ الفارسية المعربة ٣٦) ، والتغار أيضاً مكيال للحبوب ، وربما سميت الإجانة بالتغار إذا كانت تسع من الحبوب ما يزن تغاراً ، والتغار ما زال مستعملا في بغداد في وزن الحبوب ويعادل طنين اثنين ، أو عشرين وزنة ، والطن الواحد يعادل ألف كيلو ، فيكون التغار معادلا ألفي كيلو ، والوزنة الواحدة مائة كيلو .

٣ الاسفيداج : فارسية ، ويعرف الآن في بغداد باسم (سبداج) نوع من الكلس الناعم ، كان النساء في بغداد يستعملنه في الزينة بذره على وجوههن قبل أن يعرفن البودرة .

٤ في مروج الذهب (٢ / ٤٩٦) : أشار إلى هذا العقاب ولم يذكر اسم من عوقب به ، ووصف العذاب التي أوقع بإسماعيل بن بلبل (٢/٤٩٣) فقال : عذب بأنواع العذاب ، وجعل في عنقه غلّ فيه رمانة حديد ، والغل والرمانة مائة وعشرون رطلا ، وألبس جبة صوف قد صبرت في ودك الأكارع ، وعلق معه رأس ميت ، فلم يزل على ذلك حتى مات .

٧٧

الخليفة المعتضد يقتل آخر بسدّ جميع منافذه

وأخبرني أيضاً[١] رحمه الله :

إنّ المعتضد ، أمر برجل[٢] فسدّ بالقطن أنفه ، سدّاً شديداً ، وفمه ، وعيناه ، وأذناه ، [ومنخراه][٣] ، وذكره ، وسوءته[٤] ثم كُتّفَ وتُرِكَ ، فلم يزل ينتفخ ، ويزيد ، إلى أن طار قحف رأسه ومات[٥] .

---

١ يعني أبا المؤلف ، القاضي أبا القاسم التنوخي .

٢ ذكر المسعودي في مروج الذهب (٢ / ٥٠٧) : أن الرجل الذي عوقب بهذا العقاب كان لصاً سرق من بيت المال عشر بدر . وقرر فلم يقر ، حتى احتيل عليه فأرشد إلى مكان البدر المسروقة .

٣ الزيادة من ب .

٤ في ط : وسفله .

٥ في ط : وتلف .

٧٨

قرطاس الرومي وكيف عاقبه المعتضد

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب التنوخيّ ، قال : قال أبي :

كنت مع[٤٥ ط] صاحبي الذي كنت أكتب له، بدر اللاّني، في عسكر الموفّق ، وهو يقاتل صاحب الزنج[١] .

فرمى زنجيّ[٢] من أصحاب الخائن[٣]، يقال له : قرطاس ، الموفّقَ ، بسهم ، فأصاب ثُنْدوته[٤]، وصاح [٥٠ ب] : خذها مني وأنا قرطاس ، فصارت مثلاً للرماة إلى الآن[٥] .

فحمل الموفّق صريعاً في حد التلف ، ونُزِعَ السهم وكان مقطّناً[٦] ، فبقي الزجّ[٧] مكانه ، وجمّع[٨] ، وانتفخ ، وأمدّ[٩] ، وأشرف على الموت .

---

١ صاحب الزنج : علي بن محمد الورزنيني العلوي ، صاحب الفتنة المشهورة في العهد العباسي ، وسمي صاحب الزنج لأن أكثر أتباعه منهم،ظهر أيام المهتدي سنة ٢٥٥ ، والتف حوله سودان البصرة ورعاعها ، فملك البصرة والأبلة والأهواز ، وبنى مدينة المختارة ، وأعجز الدولة العباسية ، حتى ظهر عليه الموفق طلحة بن المتوكل فقتله سنة ٢٧٠ (الأعلام ٥/١٤٠) .

٢ الصحيح انه رومي من أتباع صاحب الزنج .

٣ الخائن : يعني صاحب الزنج .

٤ الثندوءة للرجل بمثابة الثدي للمرأة .

٥ يقال للرامي إذا أصاب : رمى فقرطس .

٦ قطن : تعفن وصار على وجهه قشرة من العفن مثل القطن ، والكلمة لم تزل مستعملة في بغداد .

٧ الزج : الحديدة التي في أسفل الرمح ، والمقصد منها هنا : نصل السهم .

٨ جمع : يعني قاح واجتمع القيح في داخله ، وهذه الكلمة لم تزل مستعملة في بغداد .

٩ المدة : ما تجمع في الجرح من القيح . وهذه الكلمة لم تزل مستعملة ببغداد .

واستخبر بذلك أهل عسكر الخائن ، وكانوا يصيحون بنا في كلّ يوم : ملّحوه ، أي : قد مات الموفّق ، فاجعلوه مكسوداً[1] .

فأجمع رأي الطبّ على بطّه ، فلم يمكّنهم الموفّق من ذلك .

فقالوا للمعتضد : إنّه إن لم يبطّ ، عَمِل إلى داخل ، فأتلفه .

فقال : احتالوا عليه وبُطّوه ، وأنا أمنعكم منه[2] .

فطوّل أحد الطب ، ظُفْرَ إبهامه اليمين ، وجعَل تحته حديدةَ مبضعٍ ، وجاء إلى الموفّق ، فقال : أيّها الأمير ، دعني أجسّه ، وأنظر كيف هو .

فقال : لعلّك تبطّه ؟

فأراه يده ، وقال : كيف أبطّه ، وليس في يدي حديد ، فمكّنه منه ، فجسّه وخرقه بالمبضع من أوّله إلى آخره مستعجلاً ، فنَدرَ الزجّ وخرَجَ ، وتبعته مِدّةٌ عظيمةٌ وقيحٌ .

ففزع الموفّق في حال البطّ ، لمجيئه على غفلة ، فلَكَم[3] الطبيبَ ، فقلبه عن مكانه ، فلمّا استراح بما خرج من الموضع ، ووجد خفّة ، خلَعَ على الطبيب ، وأجازه ، وعولج إلى أن برئ .

وجعل أبو العباس وكده[4] طلب قرطاس ، وكان إذا رآه في الحرب ، طرَحَ نفسه لأخذه ، فيحاربه قرطاس أشدّ حرب ، ويقول له بعجمته : « يا بلثباس ، يريد يا أبا العبّاس ، إن وقعت في يدك ، قدّ مني أوتاراً » .

قال : فلم يزل المعتضد يجهد نفسه في أمره ، حتى أخذه أسيراً ، وقد

---

١ المكسود : اللحم يطبق بالملح ويحفظ لاستعماله في الشتاء ، وهذه الكلمة لم تزل مستعملة في الموصل وفي شمال العراق . إذ إن الناس في وسط العراق وجنوبه لا يحفظون اللحم .

٢ في ب وط : امنعه منكم .

٣ في ط : فلطم .

٤ الوكد : السعي والجهد .

وقعت به جراحات ، فجاء به إلى الموفّق ، فأمر بضرب عنقه .

فقال له المعتضد : تهَبْ لي قتْلَهُ ، حتى أعمل به ما أريد .

فقال : أنت أحقّ به ، فخذه ، فأخذه ، فقدّ من أصابعه الخمس[1] أوتاراً .

قال : فقلت لأبي : كيف فعل ذلك ؟

فقال : قَلَعَ أظفاره ، وسَلَخ جلد أصابع كفّه من رؤوسها ، إلى أكتافه ، وعَبرَ بها صُلْبهُ وكتفيه إلى آخر أصابعه الأخرى ، وجلد بني آدم غليظ ، فخرج له ذلك ، فأمر أن تفتل له أوتار ، ففعل، وصلب بها قرطاس[2] .

---

١ الاصبع مؤنث ، وقد يذكر .

٢ أورد ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٨ / ٢١١ : إن قرطاس الرومي الذي رمى أبا أحمد بالسهم ، جعله المعتضد كردناجاً ، ونسب الخبر بذلك إلى التنوخي ، وقال إنه ورد في نشوار المحاضرة : إن الزنج كانوا يصيحون لما رمي أبو أحمد بالسهم ، وتأخر لعلاج جراحته : ملحوه ، أي إنه مات وأنتم تكتمون موته ، فاجعلوه كاللحم المكسود ، وإن قرطاس الرامي لأبي أحمد ، كان يصيح بأبي العباس في الحرب : إذا أخذتني فاجعلني كردناجاً ، يهزأ به ، فلما ظفر به أدخل في دبره سيخاً من حديد ، فأخرجه من فيه ، وجعله على النار كردناجاً . وهذا سهو من شارح النهج فإن قرطاس قدّ جلده أوتاراً وصلب بها ، أما الذي شوي بسيخ الحديد وصير كردناجاً فهو محمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيلمة ، انظر القصة رقم ١ / ٧٣ من نشوار المحاضرة .

٧٩

من طريف حيل اللصوص – ١

ومن طريف حيل اللصوص ، الواقعة في عهدنا[١] ، انّ أبا القاسم ، عبيد الله بن محمد الخفّاف ، حدّثني :

إنّه شاهد لصّاً قد أُخذ ، وتشاهدوا عليه ، إنّه يفشّ[٢] الأقفال في الدور اللطاف التي يخمّن على أنّها لعزَب .

فإذا دخل ، حفر في الدار حفرة لطيفة ، كأنّها بئر النرد ، وطرح فيها جوزات ، كأنّ إنساناً كان يلاعبه ، وأخرج منديلاً فيه مقدار مائتي جوزة ، فتركه إلى جانبها ، ثم دار فكوّر كلّ ما في الدار ، ممّا يطيق حمله .

فإن لم يفطن به أحد ، خرج من الدار ، وحمل ذلك كلّه .

وإن جاء [٥١ ب] صاحب الدار ، ترك عليه قماشه ، وطلب المفالتة والخروج .

فإن كان صاحب الدار جَلْداً ، فواثبه ومنعه ، وهمّ [٤٦ ط] بأخذه وصاح : اللصوص ، واجتمع الجيران ، أقبل عليه ، وقال : ما أبردك ، أنا أقامرك بالجوز منذ شهور وقد أفقرتني ، وأخذت منّي كلّ ما أملكه ، [وأهلكتني][٣] ما صحت ، ولا فضحتك بين جيرانك ، أنت لمّا قمرتك الآن قماشك ، أخذت تدّعي عليّ اللصوصية ؟ يا غث ، يا بارد ، بيني وبينك دار القمار ، الموضع الذي تعارفنا فيه ، قُلْ بحذائهم ، وبحذاء هؤلاء الحاضرين ،

---

١ في ط : في عصرنا .

٢ فش الباب أو القفل : فتحه بغير مفتاحه حيلة ومكراً ، والكلمة مستعملة إلى الآن في بغداد .

٣ الزيادة من ط .

قد ضَغَيتُ[1] حتى أدع عليك قماشك .

فكلمّا قال الرجل : هذا لصّ ، فيقول الجيران : إنّما يريد أن لا يَفضح [نفسه][2] بالقمار ، فقد ادّعى عليه اللصوصيّة ، ولا يشكّون أنّه مقامر ، وأن الرجل صادق ، ويخلّصون بينهما ، ثم يأخذ الجوز وينصرف ، [ويفتضح الرجل بين جيرانه][2] .

٨٠

من طريف حيل اللصوص – ٢

وأخبرني أيضاً[3] :

إنّه شاهد آخر ، كان يدخل الدار الآهلة [نهاراً][2] ، ويعتمد التي فيها النساء ، ورجالهم خارجون .

فإن تمّت له الحيلة ، وأخذ منها شيئاً ، انصرَف .

وإن فُطِنَ له ، وجاء صاحب الدار ، أوهمه أنّه صديق زوجته ، وأنّه من بعض غلمان القوّاد ، ويقول له : استر عليّ هذا عند صاحبي ، وعلى نفسك ، ويتزيّا بالأقبية[4] ، يوهم الرجل أنّه لا يمكنه رفعه إلى السلطان

---

١ الصحيح : ضغوت ، من الضغو ، يقال ضغا المقامر : إذا امتنع عن أداء ما خسره ، والعامة في بغداد الآن يقولون عن المقامر إذا ضغا : زاغل ، يزاغل ، وهي محرفة عن ضغا ، يضغو .

٢ الزيادة من ط .

٣ يعني أبا القاسم الخفاف .

٤ القباء : لباس الجند .

في الزنا ، إن اختار فضيحة نفسه .

وكلّما ادّعى عليه اللصوصيّة، صاح بهذا الحديث ، فيجتمع الجيران ، فيشيرون على الرجل بالستّر على نفسه .

وكلّما أنكر ذلك ، قالوا : هذا محبة بزوجته ، ويخلّصون اللصّ من يده ، حتى ربما أجبروه على صرْفِهِ .

وكلّما جحدت المرأة ، وحَلَفَتْ ، وبكَتْ ، وأقسمت[1] إنّه لصّ ، كان ذلك أدعى لهم إلى تخليته .

فيتخلّص ، ويعود الرجل ، ويطلّق زوجته ، ويفارق أمّ ولده ، فأخرب غير منزل ، وأفقر آخرين ، بهذا .

إلى أن دخل داراً فيها عجوز ، لها أكثر من تسعين سنة ، ولم يعلم ، وأدركه ربّ البيت ، فأخذ يوهمه ذلك ، فقال : ياكشخان[2] ليس في الدار إلاّ أمّي ، ولها تسعون سنة ، وهي منذ أكثر من خمسين سنة ، قائمة الليل ، صائمة النهار ، طول الدهر ، أفتراها هي عَشِقَتْك ، أم أنت عشقتها ؟ وضرب فكيّه .

واجتمع الجيران ، فقال اللصّ ذلك ، فكذّبوه ، لما يعرفون به المرأة من الدين[3] والصلاح ، فضُرِبَ ، وأقرّ بالصورة[4] فحملَ إلى السلطان .

---

١ في ب : وأقرت .
٢ الكشخان : فارسية : الديوث .
٣ في ط : الستر .
٤ في ط : اللصوصية .

٨١

القصريّ غلام الحلاج

كان يصبر على الجوع خمسة عشر يوماً

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق ، قال :

بلغني أنّ الحسين بن منصور الحلاّج [1] [كان] [2] لا يأكل شيئاً [٥٢ ط] شهراً أو نحو ذلك ، على تحصيل ورَصْدٍ ،

قال : فهالني هذا ، وكانت بيني وبين أبي الفرج بن روحان الصوفيّ مودّة ، وكان صالحاً من أصحاب الحديث ، ديّناً ، وكان القصريّ ، غلام الحلاّج ، زوج أخته ، فسألته عن ذلك .

فقال : أمّا ما كان الحلاّج يفعله ، فلا أعلم كيف كان يتمّ له ، ولكنّ صهري القصريّ غلامه ، قد أخذ نفسه سنين ، بقلّة الزاد ، ودرّجها على ذلك ، حتى تمكّن بعد مدّة ، أن يصبر عن الأكل خمسة عشر يوماً ، ونحو ذلك [٤٧ ط] ، أقلّ أو أكثر .

وكان يتمّ له ذلك بحيلة كانت تخفى عليّ ، فلما حُبس في جملة الحلاّجية ، كشفها لي ، وقال : إنّ الرصد ، إذا وقع بالإنسان شديداً ، وطال فلم

---

١ الحسين بن منصور الحلاج : أبو المغيث ، من أهل فارس ، نشأ بتستر ، ثم قدم بغداد ، وكثر شغف الناس به ، وميلهم إليه ، حتى كانت العامة تستشفي ببوله ، فأمر المقتدر وزيره حامد بن العباس بإحضاره ومناظرته ، فأحضره الوزير ، وجمع له القضاة والأئمة ، وناظروه ، فأفتى أحد القضاة بإحلال دمه ، فضرب ألف سوط ، ثم قطعت يداه ، ورجلاه ، وحزّ رأسه ، وأحرقت جثته ، وكان ذلك في السنة ٣٠٩ ، ودفن بالجانب الغربي ببغداد قرب معروف الكرخي (الفخري ٢٦٠) .

٢ الزيادة من ط :

تنكشف معه حيلةٌ ، ضَعُفَ عنه الرصد [ثم لا يزال يضعف ، كلّما لم تنكشف حيلتُهُ ، حتى يبطل أصلاً ، فيتمكّن حينئذ ، من فعل ما يريد][1] .

وقد رصدني هؤلاء منذ خمسة عشر يوماً ، فما رأوني آكل شيئاً [بتّة][2] ، وهذا نهاية صبري عن فقد الغذاء ، وإن لم آكل بعده بيوم ، تلَفْتُ ،

فخذ رطلاً من الزبيب الخراسانيّ ، ورطلاً من اللوز [السمين][2] . ودقّهما ، واجعلهما مثل الكسب[3] وأصلحهما صفيحة رقيقة ، فإذا جئتني غداً ، فاجعلها بين ورقتين من دفتر ، وخذ الدفتر في يدك مكشوفاً ، مطويّاً في كفّك طيّاً مدوّراً من غير انتشار ، ليخفى ما فيه ، فإذا خلوت بي ، ولم تر من يلاحظني ، فاجعل ذلك تحت ذيلي ، وانصرف ، فإنّني آكله سرّاً ، وأشرب الماء إذا تمَضْمَضْتُ للطهور[4] ، فيكفيني خمسة عشر يوماً أخرى ، إلى أن تجيئني[5] ثانياً ، على هذا السبيل .

ومتى رصدني هؤلاء في هذه الخمسة عشر يوماً الثانية ، لم يجدوني آكل شيئاً على الحقيقة ، إلى أن تعود أنت بعد هذه المدّة بالقوت ، فأغتفلهم في أكله أيضاً ، فيقوم بي .

قال : فكنت أعمل ذلك معه ، طول حبسه .

---

١ لم ترد في ط .
٢ الزيادة من ط .
٣ الكسب : عصارة المواد التي يستخرج منها الدهن : فارسية : كسبه (الألفاظ الفارسية المعربة ١٣٥) .
٤ في ب : للظهر .
٥ في ب : تأتيني به .

٨٢

ما اشترطه أبو سهل بن نوبخت
لكي يؤمن بدعوة الحلاّج

حدّثني أبو الحسن بن الأزرق ، قال :

لما قدم الحلاّج بغداد يدعو ، استغوى كثيراً من الناس ، والرؤساء ، وكان طمعه في الرافضة أقوى ، لدخوله من طريقهم .

فراسل أبا سهل بن نَوْبَخْت[١] ، ليستغويه ، وكان أبو سهل من بينهم مثقّفاً ، فهِماً ، فطِناً .

فقال أبو سهل لرسوله : هذه المعجزات التي يظهرها ، قد تأتي فيها الحيَلُ ، ولكن أنا رجل غزِل ، ولا لذّة لي أكثر من النساء وخلوتي بهنّ ، وأنا مبتلى بالصلع ، حتى إنّي أطوّل شعر قِحْفي ، وأجذبه إلى جبيني ، وأشدّه بالعمامة ، وأحتال فيه بحِيَلٍ ، ومبتلى بالخضاب ، لستر المشيب . فإن جعل لي شعراً ، وردّ لحيتي سوداء بلا خضاب ، آمنت بما [٥٣ ب] يدعوني إليه ، كائناً ما كان ، إن شاء قلت إنّه باب[٢] الإمام ، وإن شاء الإمام ، وإن شاء قلت إنّه النبيّ ، وإن شاء قلت إنّه الله تعالى .

قال : فلما سمع الحلاّج جوابه أيسَ منه ، وكفّ عنه[٣] .

وقال لي أبو الحسن : وكان الحلاّج ، يدعو كلّ قوم إلى شيء من هذه الأشياء التي ذكرها أبو سهل ، على حسب ما يستبليه طائفة طائفة .

---

١ أبو سهل ، إسماعيل بن علي النوبختي : من الكتاب المعروفين في الدولة العباسية . من كبار الشيعة ، وكان فاضلا ، عالماً ، متكلماً ، وله مجلس يحضره جماعة من المتكلمين ، وله رأي في القائم من آل محمد لم يسبق إليه ، فصّله ابن النديم في الفهرست (ص ١٧٦) .

٢ في ب : نائب ، والتصحيح من ط .

٣ أورد ابن النديم جواب أبي سهل النوبختي باختصار في الفهرست (ص ١٩١) .

٨٣

الحلاج في مجلس الوزير حامد بن العباس

أخبرني أبو الحسين بن عيّاش القاضي ، عمّن أخبره :

إنّه كان بحضرة حامد بن العبّاس ، لما قبض على الحلاّج ، وقد جيء بكتب وجدت في داره ، من قوم تدلّ مخاطبتهم ، إنّهم دعاته في الأطراف ، يقولون فيها :

وقد بذرنا لك في كلّ أرض ما يزكو فيها ، وأجاب قوم إلى أنّك الباب — يعنون الإمام — وآخرون أنّك صاحبُ الزمان — يعنون الإمام الذي تنتظره الأماميّة — وقوم إلى أنّك [٤٨ ط] صاحب الناموس الأكبر — يعنون النبيّ صلى الله عليه وسلم — وقوم إلى أنّك أنت هو هو — يعنون الله عزّ وجل — [تَعالى اللهُ عمّا يَقولُ الظّالمُونَ علوّاً كبيراً] [١] .

قال : فسئل الحلاج عن تفسير هذا الرمز ، فأخذ يدفعه ، ويقول : لا أعرف هذه الكتب ، هذه مدسوسةٌ عليّ ، لا أعلم ما فيها ، ولا معنى لهذا الكلام .

وحدّثني أبو الحسين بن عيّاش ، عمن حضر مجلس حامد ابن العبّاس الوزير [٢] ، وقد جاءوا بدفاتر وجدت للحلاّج ، فيها :

إنّ الإنسان إذا أراد الحجّ فإنّه يستغني عنه ، بأن يعمد إلى بيت من داره ، فيعمل فيه محراباً ذكره ، ويغتسل ، ويُحْرِم ، ويقول كذا ، ويفعل كذا ، ويصلّي كذا ، ويقرأ كذا ، ويطوف بهذا البيت كذا ، ويسبّح كذا ، ويصنع كذا ، أشياء قد رتّبها وذكرها من كلام نفسه ، قال : فإذا فرَغَ

١ انفردت بها ب .

٢ الوزير حامد بن العباس : انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ٥ من النشوار .

من ذلك ، فقد سقط عنه الحجّ إلى بيت الله الحرام .

وهذا شيء معروف عند الحلاّجيّة ، وقد اعترف لي رجل منهم ، يقال إنّه عالم لهم ، ولكن ذكرَ أنّ هذا رواه الحلاّج عن أهل البيت صلوات الله عليهم ، وقال ليس عندنا إنّه يستغني به عن الحجّ ، ولكنّه يقوم مقامه ، إنْ لم يقدر على الخروج ، بإضاقة ،أو منع ، أو علّة ، فأعطاني المعنى ، وخالف في العبارة .

قال لي أبو الحسين : فسئل الحلاّج عن هذا ، وكان عنده إنّه لا يوجب عليه شيئاً ، فأقرّ به ، وقال : هذا شيء رويته كما سمِعْتُهُ ، فتعلّق بذلك عليه .

واستفتى حامد، القاضيين أبا جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخيّ الأنباري [1] ، وأبا عمر محمد بن يوسف [2] ، وهما إذ ذاك ، قاضيا بغداد .

فقال أبو عمر : هذه زندقة ، يجب عليه القتل بها ، لأنّ الزنديق لا يستتاب .

وقال أبو جعفر : لا يجب عليه القتل ، إلاّ أن يقرّ بأنّه يعتقد هذا ، لأنّ الناس قد يروون الكفر ولا يعتقدونه ، فإن أخبر أنّ هذا شيء رواه وهو [٥٤ ب] يكذّب به، فلا شيء عليه ، وإن أخبر إنّه يعتقده ، استتيب منه ، فإن تاب ، فلا شيء عليه ، وإن لم يتب ، وجب عليه القتل .

قال : فعُمِلَ في أمره على فتوى أبي عمر ، وعلى ما شاع وذاع من أمره ، وظهر من إلحاده وكفره ، واستغوائه الناس ، وإفساده أديانهم ،

---

١ القاضي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري : انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٦ من النشوار .

٢ القاضي أبو عمر محمد بن يوسف : انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٠ من النشوار .

فاستؤذن المقتدر في قتله ، وكان قد استغوى نصراً القشوري [1] ، من طريق الصلاح والدين ، لا ممّا كان يدعو إليه ، فخوّف نصر السيّدة أمّ المقتدر [2] . من قتله ، وقال : لا آمن أن يلحق ابنك – يعني المقتدر – عقوبة هذا الشيخ الصالح ، فمنعت المقتدر من قتله ، فلم يقبل ، وأمر حامداً بأن يقتله ، فحمّ المقتدر يومه ذاك ، فازداد نصر والسيّدة افتتاناً ، وتشكّك المقتدر فيه ، فأنفذ إلى حامد من بادره بمنعه من قتله ، فتأخّر ذلك أياماً ، إلى أن زال عن المقتدر ما كان يجد من العلّة ، فاستأذنه حامد في قتله ، فضعّف الكلام فيه [3] ، فقال له حامد : يا أمير المؤمنين ، إن بقي ، قلبَ الشريعة ، وارتدّ خلْقٌ على يده ، وأدّى ذلك إلى زوال سلطانك ، فدعني أقتله ، وإن أصابك شيء ، فاقتلني ، فأذن [٤٩ ط] له في قتله ، فعاد ، فقتله من يومه ، لئلاّ يتلوّن المقتدر .

فلما قُتل ، قال أصحابه : ما قتل هو ، وإنّما قتل بِرْذَوْنٌ كان لفلان الكاتب ، اتّفق إنّه نفق [4] ذلك اليوم . وهو يعود إلينا بعد مدّة ، فصارت هذه الجهالة ، مقالاً لطائفةٍ منهم .

---

[1] نصر القشوري : حاجب المقتدر ، وكان عظيم التأثير عليه ، واشتهر بأنه دافع دفاعاً عنيفاً عن الحلاج لما أريد قتله ، وكانت خصومته لابن الفرات السبب الأقوى في قتل ابن الفرات وقتل ولده ، كما أنه هو الذي توسط لابن مقلة في الوزارة ، ولما اشتدت وطأة القرامطة على الدولة خرج للقائهم ، وأنفق على الحملة من ماله مائة ألف دينار ، إضافة إلى ما أعطاه السلطان ، فاعتل في الطريق ، وتوفي في السنة ٣١٦ وحمل تابوته إلى بغداد (المنتظم ٦ / ٢٢٠) .

[2] السيدة ام المقتدر : أسمها شغب ، انظر ترجمتها في حاشية القصة ١ / ١٢٨ من النشوار

[3] يريد أنه تردد في الأذن له بقتله .

[4] نفقت الدابة : خرجت روحها .

٨٤
طرائف من مخاريق الحلاج

وكانت أكثر مخاريق الحسين بن منصور الحلاّج ، هذا ، التي يظهرها كالمعجزات ، ويستغوي بها جهلة[١] الناس ، إظهار المآكل في غير أوانها ، بحيل يقيمها ، فمن لا تنكشف له ، يتهوّس بها ، ومن كان فَطِناً ، لم تخفَ عليه .

فمن طريف ذلك ، ما أخبرني بها أبو بكر محمد بن إسحاق بن إبراهيم الشاهد الأهوازيّ ، قال : أخبرني فلان المنجّم ، وأسماه ، ووصفه بالحذق والفراهة ، قال :

بلغني خبر الحلاّج ، وما كان يفعله من إظهار تلك العجائب [والمخرقات][٢] التي يدّعي أنّها معجزات ، فقلت أمضي وانظر من أيّ جنس هي من المخاريق.

فجئته ، كأنّي مسترشد في الدين ، فخاطبني وخاطبته ، ثم قال : تَشَهَّ[٣] الساعة ما شئت ، حتى أجيئك به .

وكنّا في بعض بلدان الجبل التي لا تكون فيها الأنهار ، فقلت له : أُريد سمكاً طرياً [في الحياة][٢] الساعة .

فقال : أفعَلُ ، اجلس مكانك .

فجلست ، وقام ، وقال : أدْخُل البيت ، وأدعو الله تعالى أن يبعث لك [به][٢] .

---

١ في ب : ضعفة .

٢ الزيادة من ط .

٣ في ط : إشته .

قال : فدخـــل بيتاً حيالي وأغلق بابه ، وأبطأ ساعةً طويلةً ، ثم جاءني وقد خاض وحلاً إلى ركبته ، وماء ، ومعه سمكةٌ تضطرب كبيرةٌ .

فقلت له : ما هذا ؟

فقال : دعوت الله تعالى ، فأمرني أن [٥٥ ب] أقصد البطائح [1] فأجيئك بهذه ، فمضيت إلى البطائح فخضت الأهوار [2] ، وهذا الطين منها ، حتى أخذت هذه .

فعلمت أنّ هذه حيلة ، فقلت له : تدعني أدخل البيت ، فإن لم تنكشف لي حيلة فيه آمنت بك .

فقال : شأنك .

ودخلت البيت ، وأغلقته على نفسي ، فلم أجد فيه طريقاً ولا حيلة . فندمت ، وقلت : إن أنا وجدت فيه حيلة وكشفتها له ، لم آمن أن يقتلني في الدار ، وإن لم أجد ، طالبني بتصديقه ، فكيف أعمل ؟

قال : وفكّرت في البيت ، فدققت [3] تأزيرة [4] ، وكان مؤزّراً بإزار ساج ،

---

١ البطائح : مفردها البطيحة ، يقال : تبطح السيل ، إذا اتسع في الأرض ، وبذلك سميت بطائح واسط ، لأن المياه تبطحت فيها ، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة ، وكانت قديماً قرى متصلة ، وأرضاً عامرة ، فاتفق في أيام كسرى ابرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة ، وزاد الفرات أيضاً بخلاف العادة، فعجزوا عن سدها ، وتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع ، فطرد أهلها عنها (انظر معجم البلدان ١/٦٦٨)

٢ الأهوار : مفردها هور بفتح أوله ، والهور بحيرة يفيض إليها ماء غياض وآجام فتتسع ويكثر ماؤها ، والبطائح لها نفس المعنى . (معجم البلدان ٤/٩٩٥) .

٣ في ب : فدفعت .

٤ تأزيرة : وتسمى في بغداد في الوقت الحاضر : توزيره، ما يلصق بالحائط من أسفله لتقويته فيكون له كالإزار .

فإذا بعض التأزير فارغ ، فحرّكت منه جسريّة[1] خمّنت[2] عليها ، فإذا هي قد انقلعت ، فدخلت فيها ، فإذا ثمّ بابٌ مُسمّرٌ ، فوبلجت منه إلى دار كبيرة ، فيها بستان عظيم ، فيه صنوف الأشجار ، والثمار ، والنوّار ، والريحان ، التي هي في وقتها ، وما ليس هو في وقته ، مما قد عتّق ، وغطّي ، واحتيل في بقائه ، وإذا بخزائن مليحة ، فيها أنواع الأطعمة المفروغ منها ، والحوائج لما يعمل في الحال ، إذا طُلبَ ،

وإذا بركةٌ كبيرةٌ في الدار ، فخضتها ، فإذا هي مملوءة سمكاً ، كباراً وصغاراً ، فاصطدت واحدةً كبيرةً ، وخرجت ، فإذا رجلي قد صارت بالوحل والماء إلى حدّ ما رأيت رجله .

فقلت : الآن إن خرجت ، ورأى هذا معي ، قتلني ، فقلت : أحتال عليه في الخروج .

فلمّا رجعت إلى البيت ، أقبلت أقول : آمنت ، وصدّقت .

فقال لي : ما لك ؟

قلت : ما هاهنا حيلة ، وليس إلا [٥٠ ط] التصديق بك .

قال : فاخرج .

فخرجت ، وقد بعد عن الباب ، وتموّه عليه قولي ، فحين خرجت ، أقبلت أعدو إلى بابِ الدارِ ، ورأى السمكة معي ، فقصدني ، وعلِمَ أنّي قد عرفت حيلته ، فأقبل يعدو خلفي ، فلحقني ، فضربت بالسمكة صدره ووجهه ، وقلت له : أتعبتني ، حتى مضيت إلى اليمّ[3] ، فاستخرجت لك هذه منه .

---

١ كذا في ط .

٢ في ط : حميت .

٣ في ط : البحر .

قال : فاشتغل [عني][1] بصدره وبعينيه ، وما أصابه[2] من السمكة ، وخرجتُ .

فلمّا صرت خارج الدار ، طرحت نفسي مستلقياً ، لما لحقني من الجزع والفزع .

فخرج إليّ ، وصاح بي ، وقال : ادخل .

فقلت : هيهات ، والله لئن دخلت ، لا تركتني أخرج أبداً .

فقال : اسمَعْ ، والله لئن شئت قتلك على فراشك ، لأفعلنّ ، ولئن سمعت بهذه الحكاية لأقتلنّك ، ولو كنت في تخوم الأرض ، وما دام خبرها مستوراً ، فأنت آمن على نفسك ، امض الآن حيث شئت ، وتركني ، ودخل .

فعلمت أنّه يقدر على ذلك ، بأن يدسّ أحد من يطيعه[3] ويعتقد فيه ما يعتقد ، فيقتلني .

فما حكيت الحكاية [٥٦ ب] ، إلى أن قتل .

---

١ الزيادة من ط .

٢ في ط : وماالحقه .

٣ في ب : قطيعه .

٨٥

من أقوال الحلاج وتواقيعه

وكان الحلاّج ، له الكتب المصنّفة في مذاهبه ، يسلك في كلامه فيها ، مذاهب الصوفيّة ، في الهوس ، ويكثر من ذكر النور الشعشعانيّ ، وإذا أفصح بكلام مفهوم ، كان ترسّله حَسَناً ، وتلفّظه به مليحاً .

أخبرني بعض أصحابه من الكتّاب ، قال : خرج له توقيع إلى بعض دعاته ، تلاه عليّ ، فحفظت منه قوله فيه :

وقد آن الآن أوانك ، للدولة الغرّاء ، الفاطميّة الزهراء ، المحفوفة بأهل الأرض والسماء ، وأذن للفئة الظاهرة ، مع قوة ضعفها في الخروج إلى خراسان، ليكشف الحقُّ قِناعَهُ ، ويبسط العَدْلُ باعَهُ[1] .

وأخبرني هذا الرجل ، عمّن حدّثه من أصحابه ، قال : كنّا معه في بعض طرقات بغداد ، فسمعنا زمراً طيّباً شجيّاً .

فقال بعضنا : ما هذا ؟

فقال لنا هو[2] : هذا نوح إبليس على الدنيا .

---

١ في ط : ذراعه .

٢ يعني الحلاج .

٨٦

ضرب العود

يماثل صوت الهيب في أصول النخل

حدّثني أبو محمد، الحسن بن محمد البومنيّ[١] البصريّ ، وكان علاّمة لهم حسنَ النِّشْوار ، راويةً للأخبار ، ثقةً ، قال :

اجتاز بعض البصريّين ، ومعه ابن له حدثٌ ، في طريقٍ ، فسمعا صوت ضرْبِ عودٍ ، فاستطابه الفتى .

فقال لأبيه : يا أبت ما هذا ؟

قال : يا بنيّ ، هذا صوت الهيب في أصول النخل .

والهيب : حديدة عظيمة كالبيرم[٢] يقلع بها أصول النخل ، لا تنقلع إلاّ بها . [وهي تسمى ببغداد العتلة[٣] فمنها منبسط كالأسطام[٤] محدّد ، وتكون ثقيلة ، لعل فيها نحو العشرة أمناء][٥] .

---

١ في ط : التومى .

٢ البيرم وجمعها بيارم : هي العتلة : فارسية معرّبة (لسان العرب) ، قال عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المعروف بابن أبي الحديد المدائني (٥٨٦ – ٦٥٥) في كتابه شرح نهج البلاغة (١٧٨/٩) ما يلي : وقد رأيت في مسناة سور بغداد ، في حجر صلد ، نبعة نبات ، قد شقت وخرجت من موضع لو حاول جماعة أن يضربوه بالبيارم الشديدة ، مدة طويلة ، لم يؤثر فيه أثراً .

٣ العتلة : العصا الضخمة من الحديد يهدم بها الحائط .

٤ الاسطام : الحديدة التي تحرك بها النار .

٥ الزيادة من ط .

٨٧

أبو جعفر الصيمريّ

وزير معزّ الدولة يسخف في مجلس العمل

وكان هذا البومنيّ[١] حسن البلاغة ، طويل اللسان ، يتكلّم في أمور الكافّة بالبصرة ، إذا عرضت المهمّات العظام[٢] ، ويناظر السلطان .

فلما جاء أبو جعفر الصيمريّ[٣] إلى هناك ، وطالب الناس بالمعطّل[٤] – ولهذه المطالبة شرْحٌ طويل – ناظره البومنيّ في أنّها غير واجبة ، فلم ينزل تحت الحجّة ، وأخلد إلى القدرة .

فوعظه البومنيّ ، وقال : أيّها الأستاذ ، إنّ بلدنا ، بلد كثير الصالحين ، ضعيف الأهل ، ما خيرَ قط[٥] لمن ظلمهم ، وإنّ أهله يكلونك إلى الله تعالى ، [٥١ ط] ويرمونك بسهام الأسحار ، يعني الدعاء .

فقلب الصيمريّ الكلام إلى السُّخْفِ ، وكان شديد[٦] الاستعمال له ظاهراً في مجلس الحفل والعمل ، فقال : يا شيخ ، سهام الأسحار في لحيتك ، يعني الضراط[٧] .

---

١ يعني أبا محمد الحسن بن محمد البصري .

٢ في ط : الكبار .

٣ أبو جعفر الصيمري وزير معز الدولة :راجع ترجمته في حاشية القصة ١/٤٧ من النشوار

٤ في ط : المتعطل .

٥ في ط : ما أفلح .

٦ في ط : كثير .

٧ المفوات النادرة ٢٩٦ .

٨٨

أبو علي الجبائي والحلاج

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخيّ، قال : أخبرني جماعة من أصحابنا :

إنّه لمّا افتتن الناس بالأهواز وكورها بالحلاّج ، وما يخرجه لهم من الأطعمة والأشربة ، في غير حينه ، والدراهم التي سمّاها دراهم القدرة ، حُدّثَ أبو عليّ الجبائي[١] بذلك ، فقال : إنّ هذه الأشياء محفوظة في منازل يمكن الحيَل فيها ، ولكن أدخلوه بيتاً من بيوتكم، لا منزله هو[٢] ، وكلّفوه أن يخرج منه خرزتين سوداء وحمراء[٣] ، فإن فعل فصدّقوه .

فبلغ الحلاّج [٥٧ ب] قوله ، وإنّ قوماً قد عملوا على ذلك ، فخرج عن الأهواز .

١ أبو علي الجبائي : محمد بن عبد الوهاب بن سلام ، المتكلم أمام المعتزلة ، ولد سنة ٢٣٥ ، وتوفي سنة ٣٠٣ . كان إماماً في علم الكلام ، وجبى مدينة في خوزستان (وفيات الأعيان ٥/٥٧٩) .

٢ في ط : غير منزله .

٣ في ب : خرزتين شوكا ، والتصحيح من ط .

٨٩
بعض اعتقادات أصحاب الحلاج

وأهل مقالته[١] الآن ، يعتقدون أنّ اللاهوت الذي كان حالاً فيه ، حلّ في ابن له بِتُسْتَر[٢] .

وأنّ رجلاً بها هاشميّاً رَبعياً ، يقال له : محمد بن عبد الله ، ويكنى بأبي عمارة ، قد حلّت فيه روح محمّد بن عبد الله [النبي][٣] صلوات الله عليه ، وهو يُخاطبُ فيهم بسيّدنا ، وهي من أعلى المنازل عندهم .

وأخبرني ، من استدعاه بعض الحلاجيّة ، إلى أبي عمارة هذا ، بالبصرة ، وله مجلسٌ يتكلّم فيه على مذاهب الحلاّج ، ويدعو إليه .

قال : فدخلته ، وظنّوا أنّي مسترشد ، فتكلّم بحضرتي ، والرجل أحول ، فكان يقلّب عينيه[٤] في سقف البيت ، فيجيش خاطرهُ بذلك الهوَس .

فلما خرجنا ، قال لي الرجل : آمنت ؟

فقلت : أشدّ ما كنت تكذيباً بقولكم الآن ، هذا عندكم الآن بمنزلة النبيّ ، لِمَ لا يجعل نفسه غير أحول ؟

فقال : يا أبله ، كأنّه أحول ؟ إنّما هو يقلّب عينيه في الملكوت[٥] .

---

١ يعني الحلاج .

٢ تستر : بلد بخوزستان واسمها بالفارسية شوشتر (معجم البلدان ١/٨٤٧) .

٣ الزيادة من ط .

٤ في ط : ناظره .

٥ الملكوت ، عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس (التعريفات) .

٩٠

خال المؤمنين عند الحلاجية ـ ١

وأبو عمارة هذا ، متزوّج بامرأة من الأهوازيّين ، يقال لها بنت ابن جان بخش[١] ، ولها أخ فاجر يغنّي[٢] بالطنبور ، وكان أبوه شاهداً[٣] جليلاً تانئاً موسراً ، والحلاجيّة تعتقد أنّه بمنزلة محمد بن أبي بكر ، خال المؤمنين .

فحدّثني عبيد الله بن محمد ، قال :

كنا نسير بالأهواز يوماً ، ومعنا كاتب ظريف من أهل سيراف[٤] يقال له المبارك بن أحمد ، فاجتزنا بالرجل ، فقام ، وسلّم علينا .

فقال لي الكاتب : من هذا ؟

فقصصت عليه قصّته بأشرح من هذا ، فقلب رأس بغله ورجع .

فقلت له : إلى أين يا أبا سعيد ؟

قال : ألحقه ، فأسأله عمّا سارّته به أخته عائشة أمّ المؤمنين ، يوم الجمل ، لمّا أفضى إليها بيده ليخرجها من الهودج .

فضحكت من ذلك ، ورددته .

---

١ في ط : خانجير .

٢ في ط : يضرب .

٣ يعني عدلا مقبولا الشهادة .

٤ في ط : شيراز .

٩١

خال المؤمنين عند الحلاجية ـ ٢

وكان هذا الفتى ، ابن جان بخش[١] ، قد ورث مالاً جليلاً ، ودخل الديلم الأهواز عقيب ذلك ، فتقاين[٢] بالمال ، وعاشر الديلم ، فأنفق أكثره عليهم ، فتعلّم الكلام بالديلميّة ، حتى صار إذا تكلّم بها ، كأنّه من بلد الديلم[٣] ، وعرف أسماء قراهم ، وعلامات بلدانهم .

فلما خفّ ماله ، اشترى بغلين ، ودابتين ، وزوبينات[٤] ، وسلاحاً [٥٢ ط] وآلة الجند ، وجعل لرأسه شعراً مثل شعور الجيل[٥] والديلم ، وسمّى نفسه حلوز بن با علي، وكان أبوه في الأصل يكنى بأبي عليّ ، وهذا الاسم من أسماء الجيل .

وجاء إلى أبي القاسم البريديّ ، وهو بالبصرة يحارب الأمير أحمد ابن بويه ، فاستأمن إليه ومن الديلم والجيل خمسمائة ، وقصّته مشهورة .

قال : فأخبرني هو، قال : كنت، أداخل وأدعوهم، ولا يشكّون أنّي ديلميّ ، وأعطيهم علامات بلدانهم ، فإذا وقع من يفطن بي ، أعطيته شطر الرزق .

---

١ في ط : خانجير .

٢ في ط : فقامر .

٣ الديلم : قوم من العجم مقامهم بناحية جرجان .

٤ الزوبين : الرمح القصير (الألفاظ الفارسية المعربة ٨١) .

٥ الجيل: قوم من الفرس من أهالي جيلان، وهي منطقة كبيرة تشتمل على بلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان (معجم البلدان ٢/١٧٩) .

قال : وكنت [٥٨ ب] آكل الثوم ، ولا أتعالج للصنان ، وأصير جيفة [1] على مذاهب الديلم ، وأجيء ، فأرتفع في القيام ، حتّى ألزق بأبي القاسم، ممّا يلي رأسه ، فيموت من بغض رائحتي .

قال : وعلَتْ حالي عنده ، فكان يطرح لي كرسيّاً برسم الخاصة ، فإذا جلست، اصطدت الذبابَ ، وقتلته بحضرته ، كأنّي ديلميّ فجّ ، فكان يضجّ منّي ، ويقول : يا قوم ، أعفوني من هذا الديلميّ الفجّ ، البغيض ، المنتن ، وخذوا منّي أضعاف رزقه .

فأقمت عنده سنين [2] ، إلى أن انكشف خبري ، فهربت من يده .

وهذا من طيّب أخبار المورثين [3] المتخلّفين ، فأفردته .

---

١ في ب و ط : اصير خيفة .

٢ في ط : خمسة أشهر .

٣ يعني الذين يرثون مالاً ، ويسمى أحدهم الآن : وارثاً .

٩٢

من أخبار متخلفي المورثين – ١

ومن طيّب أخبار متخلّفي المورثين ، ما أخبرت به :

من أنّ أحدهم ورِث مالاً جليلاً جسيماً ، فتقاين[١] ، وعمل كلّ ما اشتهى ، فبلغني إنّه قال : أُريد أن تفتحوا لي صناعةً لا تعود عليّ بشيء ، أتلف بها هذا المال .

فقال له أحد جلسائه : اشتر التمر من الموصِل واحمله إلى البصرة ، فإنّك تُهلِك المال .

فقال : هذا إذا فُعِلَ ،عاد منه، ولو اثنان في العَشرَةِ ، تبقى من أصل المال .

فقال له آخر : اشتر هذه الإبر الخياطيّة ، التي تكون ثلاثاً بدرهم ، وأربعاً ، وتتبّعها ، فإذا اجتمع لك عشرة آلاف إبرة بجملة الدراهم ، فاسبكها نُقْرَةً ، وبعها بدرهمين .

فقال : أليس يرجع من ثمنها درهمان ؟

فقال له أحدهم : كأنّك تريد ما لا يرجع شيء منه البتّة ؟

فقال : نعم .

فقال : تشتري ما شئت من الأمتعة ، وتخرج به إلى الأعراب ، فتبيعه عليهم ، وتأخذ سفاتجهم إلى الأكراد ، وتبيع على الأكراد ، وتأخذ سفاتجهم إلى الأعراب .

قال : وكان يعمل هذا ، حتى فني ماله[٢] .

---

١ تقاين : عاشر القيان ، وهن المسميات في وقتنا هذا بالأرتستات .

٢ كتاب الهفوات النادرة ١٦٢ .

٩٣

من أخبار متخلفي المورثين ـ ٢

وبلغني أنّ آخر ، أسرع في ماله ، فبقيت منه نحو خمسة آلاف دينار [١] ، فقال : أُريد [٢] أن تفنى بسرعة ، حتى أنظر أيّ شيء أعمل بعدها .

فعرضت عليه أشياء من هذا الجنس ، فلم يُرِدْها .

فقال له بعض أصحابه : تبتاع زجاجاً مخروطاً بالمال كلّه ، إلاّ خمسمائة دينار ، وتعبّيه بحذائك ، ويكون في نهاية الحسن ، وتُنْفق الخمسمائة دينار في يوم واحد، في جُذورِ [٣] المغنيّات ، والفاكهة ، والطيب ، والشراب ، والثلج، والطعام، فإذا قارب الشراب أن يفنى ، أطلقت فارتين في الزجاج ، وأطلقت خلفهما سنّوراً ، فيتعادى الفار والسنّور في الزجاج ، فيتكسّر جميعه ، وتُنْهب الباقي .

فقال : هذا طيّب .

فعمل ذلك ، وجلس يشرب ، فحين سكِرَ ، قال : هَي ، وأطلق الرجل الفارتين والسنّور ، وتكسّر [٥٣ ط] الزجاج ، وهو يضحك ، ونام .

وقام الرجل ورفقاؤه ، فجمعوا ذلك [٥٩ ب] الزجاج ، وعملوا من قنّينة قد تشعّثت قدحاً، ومن قدح قد تكسّر برنيّة غالية [٤] ، ولزقوا ما تصدّع ،

---

١ في ط : خمسين ألف درهم .

٢ في ط : أشتهي .

٣ جذر المغني : ما يعطاه من أجر ونقوط .

٤ الغالية : نوع من الطيب .

وباعوه بينهم ، فرجع عليهم منه دراهم صالحة اقتسموها ، وانصرفوا عن الرجل ، فلم يعرفوا خبره .

فلما كان بعد سنة ، قال صاحب المشورة ، بالزجاج والفار والسنّور ، لو مضيت إلى ذلك المُدبر ، فعرفت خبره .

فجاء ، فإذا هو قد باع قماش بيته ، وأنفقه ، ونقَض داره ، وباعها ، وسقوفها ، حتى لم يبق إلاّ الدهليز ، وهو نائم فيه ، على قُطْنٍ ، مُتغَطّ بقطن قد فُتِقَ من لحفٍ وفرش ، بيعت وبقي القطن ، فهو يتوطّاه ، ويتغطّى به من البرد .

قال : فرأيته ، وكأنّه سفرجل بين القطنين .

فقلت : يا ميشوم ، ما هذا ؟

قال : ما تراه .

فقلت : في نفسك حسرة ؟

قال : نعم .

قلت : ما هي ؟

قال : أشتهي أن أرى فلانة ، مغنيّة كان يعشقها ، وأتلف أكثر المال عليها .

قال : وبكى ، فرققت له ، وأعطيته من منزلي ثياباً ، فلبسها ، وجئنا إلى بيت المغنّية ، فقدّرَت أنّ حاله قد ثابت[1] ، فدخلنا إليها[2] ، فحين رأته ، أكرمته ، وبشّت به ، وسألته عن خبره ، فصَدَقها عن الصورة .

فقالت له في الحال : قُمْ ، قُمْ .

قال : لِمَ ؟

قالت : لئلا تجيء ستّي وتراك وليس معك شيء فتحرد عليّ لِمَ

---

١ ثاب : عاد .

٢ في ط : فأدخلتنا إليها .

أدخلتك ، فاخرج إلى برّا[1] حتى أصعد أكلّمك من فوق .

فخرج ، وجلس ينتظر أن تخاطبه من روزنة[2] في الدار إلى الشارع ، وهو جالس .

فقلبت عليه مرقةً من قِدرِ سكباج[3] ، وصيّرته آية ونكالاً ، وضحكتْ .

فبكى ، وقال : يا أبا فلان ، بلغ أمري إلى هذا[4] ؟ أشهد الله ، وأشهدك أنّي تائب .

قال : فأخذت أطنز به[5] ، وقلت : أيش تنفعك التوبة الآن ؟

قال : ورددته إلى بيته ، ونزعت ثيابي عنه ، وتركته بين القطن ، كما كان أوّلاً ، وحملت ثيابي ، فغسلتها ، وأيست منه ، فما عرفت له خبراً ، نحو ثلاث سنين .

فأنا ذات يوم ، في باب الطاق[6] فإذا بغُلام يطرّق[7] لرجلٍ راكبٍ ، فرفعت رأسي إليه ، فإذا به على برذون فارِه، بمركب خفيف مليح فضّة،

---

١ برّا : يعني خارج الدار ، لم تزل مستعملة ببغداد .

٢ الروزنة ، فارسية : الكوة ، وتعرف في بغداد اليوم باسم (رازونة) .

٣ السكباج ، فارسية : مرق يصنع من اللحم والخل ومواد أخرى، راجع كتاب الطبيخ للبغدادي ص ١٣ . أقول : وهو شديد الحموضة ، والعامة في بغداد إذا شكوا من حموضة طعام قالوا : حامض كأنه سكباج .

٤ في ب : بلغ أمري إلى ها هنا ؟

٥ الطنز : السخرية .

٦ باب الطاق : بالجانب الشرقي من بغداد ، بين الرصافة ونهر المعلى ، منسوب إلى أسماء بنت المنصور ، وكان طاقاً عظيماً ، وعند هذا الطاق كان مجلس الشعراء أيام الرشيد . (معجم البلدان ١ / ٤٤٥) أقول هذا الوصف ينطبق على محلة الصرّافية التي يصلها جسر السكة الحديد بجانب الكرخ .

٧ يطرّق : يعني يركض أمام الدابة ويصيح : الطريق .

وثياب حسنة ، ودراريع فاخرة ، وطيب طيّب ، وكان من أولاد الكتّاب ، وكان قديماً [أيام يساره] [1] يركب من الدواب أفرهها ، ومن المراكب أفخرها ، وآلته وثيابه ، [وقماشه] [1] أفخر شيء ممّا كان يقدر عليه ، أو ورثه عن والديه .

فحين رآني ، قال : فلان ، فعلمت أنّ حاله قد صَلُحَتْ ، فقبّلت فخذه ، وقلت : سيّدي أبو فلان .

فقال : نعم .

قلت ، إيش هذا ؟

قال : صنع الله ، والحمد له ، البيتَ ، البيتَ ، فتبعته ، حتّى انتهى إلى بابه ، فإذا بالدار [٦٠ ب] الأوّلة ، قد رمّها [2]، وجعلها صحناً واحداً ، فيه بستانٌ ، وجصّصها من غير بياض ، وطبّقها [3] ، وترك فيها مجلساً واحداً ، حسناً ، عامراً ، وجعل باقي المجالس صحناً، وقد صارت طيّبة ، إلاّ أنّها ليست بذلك السرو الأول .

وأدخلني إلى حجرة كانت له قديماً ، يخلو فيها ، وقد أعادها إلى أحسن ما كانت عليه ، وفيها فَرْشٌ حسنٌ [٥٤ ط] ليس من ذلك الجنس ، وفي داره أربعة غلمان ، قد جعل كلّ خدمتين إلى واحد منهم ، وخادم شيخ ، كنت أعرفه له ، قد ردّه ، وجعله بوّاباً ، وشاكريّ [4] ، وهو سائسه .

وجلس ، فجاؤوه بآلة مقتصدة نظيفة ، فخُدم بها ، وبفاكهة مختصرة

---

١ الزيادة من ط .

٢ في ط : زينها .

٣ طبق الدار : فرش أرضها بالطابوق . لغة بغدادية ، وقد سبق شرح معنى الطابوق في حاشية القصة ١ / ٧٣ من النشوار .

٤ الشاكري ، فارسية : الأجير اوالمستخدم .

متوسّطة ، وطعام نظيف كافٍ ، إلاّ أنّه قليل ، فأكلنا ، وبنبيذ تمر جيّد ، فجعلوه بين يديّ ، وبمطبوخ جيّد بين يديه .

ومدّت ستارة ، فإذا بغناء طيّب ، وبُخّرَ بعود طريّ[1] وندّ جميعاً ، وأنا متشوّف إلى علم السبب .

فلما طابت نفسه ، قال : يا فلان ، تذكرُ أيّامنا الأوّلة ؟

قلت : نعم .

قال : أنا الآن في نعمة متوسّطة، وما قد أفدته[2] من العقل، والعلم بالزمان ، أحبّ إليّ من تلك النعمة ، هوذا ترى فَرْشي ؟

قلت : نعم .

قال : إن لم يكن بذلك العظم ، فهو مما يتجمّل به أوساط الناس .

قلت : نعم .

قال : وكذلك آلتي ، وثيابي، ومركوبي ، وطعامي ، وفاكهتي ، وشرابي ، فأخذ يعدّد ويقول في كل فصل : إن لم يكن ذلك المفرط ، ففيه جمال ، وبلاغ ، وكفاية .

إلى أن ذكر كلّ ما عنده[3] ، ويضيف ذلك إلى أمره الأوّل ، ويقول : هذا يغني عن ذلك ، وقد تخلّصتُ من تلك الشدّة الشديدة ، تذكر يوم عاملتني المغنّية لعنها الله بما عاملتني به ؟ وما عاملتني به أنت ذلك اليوم ، وقلته في كلّ يوم ، وفي يوم الزجاج ؟

فقلت : هذا قد مضى ، والحمد لله الذي أخلف عليك ، وخلّصك مما كنت فيه، فمن أين لك هذه النعمة ، والجارية التي تغنّينا الآن ؟

---

١ في ط : مطري .

٢ في ط : رزقته .

٣ في ب : غلمانه .

فقال : اشتريتها بألف دينار [1] ، وربحت جذور القيان [2] ، وأمري الآن على غاية الانتظام والاستقامة .

فقلت : من أين هذا ؟

قال : مات خادم لأبي ، وابن عمّ لنا بمصر ، في يوم واحدٍ ، فخلّفا ثلاثين ألف دينار ، فحُملت إليّ بأسرها ، فوصلت في وقت واحد ، وأنا بين القطن ، كما رأيت ، فحمدت الله ، واعتقدت أن لا أبذّر ، وأن أدبّر ، وأعيش بها إلى أن أموت ، وأنفقها على اقتصاد .

فعمّرت هذه الدار ، واشتريت جميع ما فيها من فَرْشٍ وآلة وثياب ومركوب وجواري وغلمان ، بخمسة آلاف دينار ، وجعلت تحت الأرض خمسة آلاف دينار [٦١ ب] ، عدّة للحوادث ، وابتعت ضياعاً ومستغلات بعشرة آلاف دينار ، تغلّ لي في كلّ سنة ، مقدار نفقتي ، على هذا المقدار الذي تراه من النفقة ، ويفضل لي في كلّ سنة إلى وقت ورود الغلاّت ، شيء آخر ، حتى لا أحتاج أن أقترض ولا أن أستدين ، وأمري يمشي على هذا .

وأنا في طلبك منذ سنة ، ما عرفت لك خبراً ، فإنّني أحببت أن ترى رجوع حالي ، ومن دوام صلاحها ، واستقامتها ، أن لا أعاشرك ، يا عاضّ بظر أمّه ، أبداً ، خذوا يا غلمان برجله .

فجرّوا والله برجلي ، وأخرجوني ، ولم يدعوني أتمّم شربي عنده ذلك اليوم .

وكنت ألقاه بعد ذلك على الطريق راكباً . فيضحك إذا رآني ، ولا يعاشرني ، ولا أحداً من تلك الطبقة [3] .

ويبعد في نفسي ، ما حكي من أمر سفاتج الأعراب والأكراد ، والزجاج ، [٥٥ ط] فإن هذا عندي ، لا تسمح به نفس مجنون .

---

١ في ط : بألف درهم .

٢ في ط : وربحت تخريق الثياب .

٣ الهفوات النادرة ١٦٢ .

٩٤

ابن الدكيني يرث عن والده

خمسمائة ألف دينار

ولكن قد حُكِيَ : أنّ رجلاً من أولاد التجّار ببغداد ، يقال له : ابن الدكينيّ ، وخبرُهُ مشهورٌ ببغداد ، مات أبوه ، فخلّف عليه[١] خمسمائة ألف دينار ، فلعب بها لعباً لم يسمع قط بأعظم منه .

وكان يضاهي المقتدر ، وإذا بلغه أنّه عمل شيئاً من ألوان اللذة والطيب واللعب ، عَمِلَ ما يقاربه من جنسه .

وإنّه كان يجذر دائماً بمائتي دينار في يوم ، وينثر على المغنّيات خمسة آلاف درهم[٢] ، وعشرة آلاف درهم[٢] ، غير دفعة ، ويهب لهم الخلعَ ، كلّ خلعة بثلاثة آلاف درهم ، وألفي درهم ، ومائة دينار .

ويهب منها في مجلس ، عشر خلع ، وخمس عشرة خلعة[٣] ، يخرجها من دكّان أبيه من التخوت ، فيهبها .

وإنّه كان إذا أصبح مخموراً ، أحضر الثياب الدبيقيّ ، فتخرّق بحضرته باليد ، عصائبَ للفصد ، ويقول[٤] : لا يزيل خُماري غير سماع أصواتها .

وإنّه أنفق في فِصاد[٥] فصدَتْهُ عشيقته ، ثلاثة آلاف دينار . وأشياء من هذا السَّرفِ .

---

١ في ط : فخلّف له .

٢ في ط : دينار .

٣ في ب وط : خمسة عشر خلعة .

٤ في ب : وقال .

٥ الفصاد :- بكسر الفاء ، لغة في الفصد وهو شق العرق واستخراج الدم .

وإنّه لما لم يبق له إلاّ نحو خمسين ألف دينار من ماله ، تاب من هذا كلّه ، ولزم يده[1]، وتجهز للحجّ . فأنفق فيه ، وفي أبواب الثواب[2] عشرة آلاف دينار .

فلما قضى حجّه ، وعاد يريد بغداد ، مات في طريقه وهو شاب ، فورث ورثته باقي ذلك المال .

٩٥

وآخر بالبصرة ورث عن والده
مائة ألف دينار

وسمعت بعض الطُيّاب[3] ، يقول ، وقد جرى ذكر رجل عندنا بالبصرة ، ورث مقدار مائة ألف دينار[4] ، فتقاين بها في سنين قريبة ، وعاد فقيراً .

فقال له ذلك الرجل : يا أخي فرسخ قراضة في هذا العمل بضاعة[5] .

---

١ لزم يده ، لغة بغدادية : يعني أمسك عن الصرف .

٢ في ط : أبواب البر والقرب .

٣ الطياب : بضم الطاء وتشديد الباء ، الطيب جداً .

٤ في الحاشية كلمة : درهم ، وكذلك في ط .

٥ لم أفهم النكتة .

٩٦

تاجر من العسكر يحاسب ولده

على ما أتلف من المال

حدّثني أبو الحسن ، أحمد بن يوسف الأزرق ، قال :

كان بالعسكر [١] رجل تاجر ، موسر من التجّار ، يقال له أحمد بن عمر بن حفص ، فخرج إلى أصفهان ، فأنفق ابن له من ماله في القيان ، ثلاثة آلاف دينار ، وكوتب بذلك ، فعاد .

فلما اجتمعا ، طالبَهُ بالحساب ، فدافع .

فقال له أبوه يوماً : إلى كم تدافع بالحساب ، وقد بلغني خبر ما أتلفت فيه المال ؟ فإن كنت استفدت بذلك عقلاً ، وعلماً بالزمان ، وحنّكتَك الشدائد والأمور ، وأدّبتك ، فليس هذا بغالٍ ، بهذا القدر من مالي ، فإنّه مالك ، وإن لم تكن أفدت ذلك ، فإن المصيبة فيك عندي ، أعظم من المصيبة بذهاب المال .

---

١ العسكر : توجد عشرة مواضع بهذا الاسم أشهرها : عسكر المعتصم ، يعني سامراء ، وعسكر مكرم في خوزستان (المشترك وضعا ٣٠٩) .

٩٧

أحمد الخراساني صاحب ابن ياقوت

وحدّثني أبو الحسن بن الأزرق ، قال :

كان أحمد بن محمّد الخراسانيّ ، الذي صار بعد ذلك ، صاحباً لابن ياقوت[١] ، جاءني وقد ورِثَ خمسين ألف درهم ، في أوّل عمره ، فدخل دار الزكوريّة المغنّية ، وتعشّق جارية لها ، كانت [٦٢ ب] مشهورة ببغداد ، بالحسن والظرف ، وطيب الغناء ، يقال لها زهرة[٢] ، كان الأحداث ببغداد قد استهتروا بها .

فقالت الزكوريّة : أراك قد عشقت جاريتي هذه ، فكم معك ؟

قال : خمسين ألف درهم ،

قالت : هذه دور بلا نحبة[٣] .

فما مضت إلاّ أيّام ، حتى أتلفها ، فرأيته بجبّة لا قميص تحتها ولا فوقها ، يمشي حافياً ، ثم صنع الله له بعد ذلك ، [وخدم ابن ياقوت ، فأثرى وعقل][٤] .

---

١ في ط : ياقوت .

٢ الشيء بالشيء يذكر ، ففي السنة ١٩٣٠ وما بعدها ، اشتهرت في بغداد فتاة اسمها زهرة ، وكانت تعرف باسم « زهرة العجمية » ، امتازت بالحسن والجمال ، وكثر عشاقها من الأحداث ، واستهتروا بها ، مثل حال أسلافهم في بغداد قبل أكثر من ألف سنة .

٣ كذا في الأصل في ب وط ، ولم أفهمها ، ولم أستطع ردها إلى أصلها .

٤ هذه الجملة انفردت بها ب .

٩٨

ابن وسنا الخزاعيّ
والكلام الذي يطيّر الآجرّ

وحدّثني [١] قال :

كان رجل من الرجّالة ، يقال له ابن وسنا الخزاعيّ ، يتعشّق حدثاً ببغداد ، يقال له الحسين بن غريب البقّال [٢]، حسن الوجه ، رائعاً ، خفيف الروح [٥٦ ط] حسن الالتقاء ، فأنفق عليه مالاً ، وباع عقاراً كان له ، ثم خفّ ماله ، فأمسك يده عنه ، وقطعه .

[فقيل له بعد ذلك : لم تركت ابن غريب ، وحلفت أن لا تكلّمه ؟ فقال : كلام حسين بن غريب يطيّر الآجرّ] [٣] .

---

١ يعني أبا الحسن بن الأزرق .
٢ في ط : البزار .
٣ الزيادة من ب .

٩٩

درة الرقاص الصوفيّ وأبوغالب بن الآجري

سمعت درّة ، الرقّاص الصوفيّ ، يقول :

استُترتُ مع أبي غالب بن الآجريّ ، كاتب صافي ، أحد الساجيّة[١] ، شهراً ، فضاق صدري ، فتركته وهربت منه ، وغبت أيّاماً عند إخواني ، ثم جئته ، فعاتبني . فقلت : يا هذا ضاق صدري .

فقال لي : استتر معي أيام استتاري ، فإذا خلّصني الله ، دعوتك أيّاماً متتابعة ، بعدد أيّام استتارك عندي ، أجذر لك في كلّ يوم غناءً بمائة دينار .

فاستترت معه بعد هذا نحو شهر ، ثم فرّج الله عنه ، وظهر ، وعادت حاله .

فلما التقينا ، قلت : النذر .

قال : نعم ، إجلس ، لنجعل اليوم أوّله ، فجذر ذلك اليوم ، وتلك الليلة ، قياناً بمائة دينار ، وأنفق قريباً منها ، ثم لم يدع القيان يخرجن ، إلاّ أن يملهنّ ، فيحضر بدلهنّ .

وجلسنا على تلك الحال ، يجذر في كل يوم وليلة بمائة دينار قياناً ، وينفقُ في طعام وشراب وفاكهة وطيب ، مثلها .

وكان ربّما احتاج إلى لقاء صاحبه ، والتصرّف في شغله ، فيخرج ، ويركب ، ويتصرّف [٦٣ ب] ، ويعود ليلاً ، أو عشيّاً ، وكما يستوي له ، والغناء جالس ، والمطبخ قائم ، ونحن نأكل ونسمع ، وهو غائب عن داره ، حتى وفّى لي أيّاماً بعدد أيّام استتاري معه ، وكانت أكثر من ثلاثين يوماً .

---

١ الساجية والحجرية صنفان من غلمان الخلافة : فالساجية نسبة إلى ابن أبي الساج ، والحجرية إلى حجر كانت لهم ملحقة ببلاط الخليفة (تجارب الأمم ١ / ١١٦ – ٤٠٨) .

١٠٠

آخرة أبي غالب بن الآجريّ

ولقد رأيت أنا ، أبا غالب الآجريّ هذا ، وقد ورد البصرة في أيّام أبي القاسم البريديّ[١] ، فاستشفع على أبي بغلامه مبشّر ، لأنّه كان قد ملكه في أيّام نعمته .

وكنت أرى مبشّراً غلامنا ، يبرّه في الأوقات ، من ماله ، بعشرين درهماً ، وثلاثين درهماً ، ويأخذ له من أبي سبعين درهماً ، ومائة درهم ، في أوقات ، وهو يجيء إلى مبشّر ، فيواكله ، ويشاربه ، ويعاشره ، وكأنّه نديم له ، بدالّة ملكه إيّاه ، وأرى عليه قميصاً مخرّقاً ، ودرّاعة[٢] مرقوعة ، ونعلين كنباتي[٣] في رجله يمشي بهما في الطرق ، وغلامه خلفه ، ومعه خفّ منعّل ، فإذا حصل في دهليزنا لبِسهُ ، ودخل إلى أبي .

ولزمنّا مدّة ، إلى أن خاطب أبي بعض العمّال في تصريفه[٤] بعشرة دنانير في الشهر ، فصرّفَ فيما هذا مقداره .

---

١ أبو القاسم عبد الله بن أبي عبد الله أحمد ابن يعقوب البريدي : تسلط على البصرة بعد موت أبيه ، ونازعه عمه أبو الحسين السلطة وحاربه ، فانكسر أبو الحسين والتجأ إلى القرامطة ، ثم إلى بغداد حيث قتل صبراً . فاستقل أبو القاسم بالبصرة ، وفي السنة ٣٣٦ طرده منها معز الدولة فالتجأ إلى هجر ، ثم دخل إلى بغداد سنة ٣٣٧ بأمان من معز الدولة فأعاد عليه ضياعه ببادوريا ، وأقطعه ضياعاً جديدة ، وأنزله بدار الموزة بمشرعة الساج ، محتاطاً عليه ، وأقام ببغداد حتى توفي سنة ٣٤٩ . (تجارب الأمم ٢ / ٥٨ – ١٨١) .

٢ الدرّاعة : وجمعها دراريع : جبة مشقوقة المقدم .

٣ وردت في ب : كنت أرى وفي ط : كنبار ، والتصحيح من القصة ١ / ١٢٤ من النشوار ، والنعال الكنباتية : من النعال الهندية .

٤ التصريف : أن ينيط عملا لقاء أجر وهو ما يسمى الآن بالتعيين في إحدى الوظائف .

١٠١

درة الصوفي يتحدث عن المورثين

وقال لي درّة الصوفيّ :

كان المورَثُ ، إذا اجتذبنا إلى اللعب معه ، ومعه عشرة آلاف دينار ، أو مائتا ألف درهم ، سمّيناه : المعجَّل .

فقلت له : ما معنى هذا ؟

فقال : النساء ، إذا مات لهن ابن له شهور دون السنة ، أو سنة إلى حدّ الفِطام، سمّينه المعجّل .

وكنّا نحن نسمي هذا بالمعجّل ، بمعنى أنّ ماله ، لا يبلغ به في هذا العمل، إلاّ إلى حدّ الطفل الذي يموت في شهور ، أو سنة [وأشهر للنساء] [1] ، فيسمّونه المعجّل .

ونعوذ بالله من الإدبار ، وتغيّر النعم ، وإيحاشها بقلّة الشكر .

---

١ الزيادة من ب .

١٠٢

فصل من كتاب كتبه القاضي التنوخيّ

إلى رئيس

ولقد كتبت ، في محنة لحقتني ، إلى رئيس ، كتاباً فيه فصل يتعلق بما ذكرته ، من منادمة أبي غالب الكاتب ، لمبشّر مولانا ، بدالّة ملكه له ، وقبوله برّه بتلك الحجّة ، استحسنته ، فأوردته هاهنا وهو :

« لا أحوجك الله إلى اقتضاء ثمن معروف أسدَيْته ،[ولا ألجأك إلى قبض عوض عن جميل أوليته][١] ، ولا جعل يدك السفلى لمن كانت عليه هي العليا ، وأعاذك من عزّ مفقود ، وعيش مجهود [٥٧ ط] ، وأحياك ما كانت الحياة أجمل بك ، وتوفّاك إذا كانت الوفاة أصلح لك ، بعد عمرٍ مديد ، وسموّ بعيد ، وختم بالحسنى عملك ، وبلّغك في الأولى أملك ، وسدّد فيها مضطربك ، وأحسن في الأخرى منقلبك ، إنّه سميع مجيب ، جواد قريب » .

١ الزيادة من ط .

١٠٣

أبو الحسن الموصلي كاتب أبي تغلب

والسيّدة جميلة ابنة ناصر الدولة

حدّثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد ، قال :

رأيت أبا الحسن عليّ بن عمرو الموصليّ[١] يكتب إلى أبي تغلب بن ناصر الدولة[٢] ، وكتب في موضع من الكتاب « أمور حميدة » .

فقلت له : هذا الموضع يصلح أن يكون فيه « أمور [٦٤ ب] جميلة » فأمّا حميدة ، فهي لفظة مستكرهة[٣] .

فقال : صدقتَ ، ولكنّي كتبت ، وأنا بالموصل ، رقعة إلى أبي تغلب ، فيها « أمور جميلة » فوصلت إليه ، وهو عند أخته جميلة[٤] ، وهي غالبة

---

١ أبو الحسن علي بن عمرو بن ميمون الموصلي : كاتب عدّة الدولة أبي تغلب الحمداني ووزيره ، ومدبر أمره ، انظر أخباره في تجارب الأمم (٢ / ٢٠٦ – ٤٠١) .

٢ أبو تغلب بن ناصر الدولة الحمداني : فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان . كانت إليه الموصل وديار بكر وديار مضر ، وكان متحالفاً مع عضد الدولة البويهي، ثم نقض عهده وتحالف مع بختيار ، وأعانه في معركته مع عضد الدولة ، فانكسرا وقتل بختيار، وتقلبت الحال بأبي تغلب حتى قتل في السنة ٣٦٩ (الكامل لابن الأثير ٨/٥٥٣ – ٧٠٧) .

٣ في ط : مستنكرة .

٤ جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني : هي أخت أبي تغلب ، وشريكته في الأمر والنهي ، ذكر أنها حجت في السنة ٣٦٦ ، فضرب بحجها المثل ، فإنها استصحبت أربعمائة جمل ، وكان معها عدة محامل ، لم يعلم في أيها كانت ، ونثرت على الكعبة لما رأتها عشرة آلاف دينار ، وسقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر والثلج ، وأعتقت ثلثمائة عبد وجارية ، وأغنت المجاورين بالأموال ، وخلعت على طبقات الناس خمسين ألف ثوب . ثم ضرب الدهر ضرباته ، واستولى عضد الدولة على أموالها ، وحصونها، ومالك أهل بيتها، فأفضت بها الحال إلى =

عليه ، محتوية على أمره ، لا يقطع شيئاً دونها ، ولا يفصل رأياً إلاّ عن مشورتها ، وكانت الرقعة مما احتاج إلى مطالعتها بما فيها [فقرأها عليها][1] فأنكرت عليّ قولي « جميلة » ، لأنّه اسمها ، إنكاراً شديداً ، احتجتُ معه إلى الاعتذار مما كتبت ، فما كتبت بعدها إلى الآن ، « جميلة » في شيء من مكاتباتي إلى أحد ، وصار تركها لي طبعاً[2] .

= كل قلة وذلة ، وتكشفت عن فقر مدقع ، وقد كان عضد الدولة خطبها فامتنعت ترفعاً عليه ، فحقد عليها ، وما زال يعنف بها ، حتى عراها وهتكها ، ثم ألزمها أن تختلف إلى دار القحاب فتكسب ما تؤديه في المصادرة ، فانتهزت غفلة من الموكلين بها ، وأغرقت نفسها في دجلة ، رحمها الله (لطائف المعارف للثعالبي ٨٢) .

١ الزيادة من ط .

٢ الهفوات النادرة ١٥٠ .

١٠٤

علية بنت المهدي تتحامى اسم طلّ

ويشبه هذا ، قول عُليّة بنت المهدي[١] ، لمّا قرأت القرآن فبلغت إلى قوله عزّ وجل: ﴿فإن لم يصبها وابلٌ فطلّ﴾[٢]، فقالت : « فإن لم يصبها وابلٌ فما نهى أمير المؤمنين عن ذكره » ، ولم تقل طلّ ، لأنّه كان اسم خادمٍ تعشّقته ، فبلغ الرشيدَ أخاها خبرُها معه ، فجرى عليها منه مكروه غليظ ، وأحلفها على أشياء منها أنّها لا تذكره .

١٠٥

امرأة بغدادية تتظرّف فتحرّف القرآن

وقد حكي: أنّ بعض النساء الظراف ، قرأت : « تَعْلَمُ ما في روحي ، ولا أعلَم ما في روحك »[٣] ، ولم تقل « نفسي » لأنّ الظراف ، لا يقولون ذلك[٤] .

فقال لها بعض من سمعها : ويحك ، فأنت أظرف من الله ؟ قولي كما قال .

---

١ علية بنت الخليفة المهدي : أمها جارية مغنية اسمها مكنونة ، اشتراها المهدي بمائة ألف درهم ، فولدت له علية ، وكانت علية من أحسن الناس وأظرفهم ، تقول الشعر الجيد ، وتصوغ فيه الألحان الحسنة ، وكانت ناتئة الجبين ، فاتخذت العصائب المكللة بالجوهر لتستر به جبينها ، فصار صنعها تقليداً ، قلدها فيه النساء (الأعلام ٥/١٨٩) .

٢ ٢٦٥ م البقرة ٢ .

٣ الآية : « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » ١١٦ م المائدة ٥ .

٤ ربما كان ذلك لأن حروف (نفس) تطابق حروف النفاس .

١٠٦

بجكم أمير الأمراء

وفتوّة جارية الهاشميّة

أخبرني غير واحد :

إنّ بِجْكَم الماكاني[1] أمير الأمراء ببغداد ، عشق جارية من القيان بها ، يقال لها فتوّة جارية الهاشمية ، وكان يتكبّر عن شرائها ، ويرفع نفسه أن يبوح بمحبّتها ، ويُحْضِرُها ، فيعطيها كلّ شيء .

وكان قد استعمل لها عوداً ، من عودٍ هندي ، قام عليه بمال ، وكانت تغنّي به .

فسكر يوماً ، فخسف وجه العود ، وقلعه ، وملأه لها دراهم ، فوسع نيّفاً وعشرين ألف درهم .

---

١ بجكم : بكسر الباء وفتح الكاف ، كان من غلمان مرداويج ، واشترك في قتله ، ثم غامر فأصبح أمير الأمراء ، واستولى على الدولة العباسية في زمن الراضي ، وقتل في السنة ٣٢٩ ، وقد قال فيه الشاعر :

إنما العز فاعلم   للأمير المعظم   سيد الناس بجكم

وجاء في المنتظم (٦/٣٢٠) : أنه كان أمير الجيش ولقب بأمير الأمراء، فكان عاقلا يفهم العربية ولا يتكلم بها ، ويقول : أخاف أن أخطىء والخطأ من الرئيس قبيح ، وكان استوطن واسط ، وأظهر العدل ، وبنى دار ضيافة للفقراء ، وبدأ بعمل المارستان ببغداد ، وهو الذي أتمه عضد الدولة، وطالت إمارته سنتين وثمانية أشهر .

وجاء في تجارب الأمم (٢ / ٧) عن سبب تلقيبه بالماكاني : إنه كان ينتسب إلى ما كان الديلمي أحد قواد الديلم، وقد قتل ماكان سنة ٣٢٩ فأظهر بجكم لقتله حزناً وغماً شديداً، وجلس للعزاء .

١٠٧

أبو العباس البغداديّ

وإنفاقه ماله في الفساد

وكان عندنا بالبصرة ، دلاّل من أهلها يعرف بأبي العبّاس البغداديّ[١] ورِثَ في حداثته مالاً جليلاً ، فتقاين[٢] بجميعه ، فلمّا افتقر ، صار دلاّلاً ، فكسب أيضاً كسباً ثانياً كبيراً ، فما كان يُبقي منه شيئاً ، بل ينفقه كله في الفساد .

فأخبرني بعض شيوخ البصرة ، قال :

رأيته ، وهو حدث ، في ليلة من شهر رمضان ، مملوء الكمّ ، يريد دار بدعة الدرونيّة ، وكانت إذ ذاك مغنّية البلد ، المشهورة فيه ، بالنبل ، والحذاقة ، والطيب ، والحسن ، ولها أخبار كثيرة طريفة .

فقلت : أيش في كمّك يا أبا العبّاس .

فقال : مخلّط خراسان[٣] أتصدّق به على بدعة ، صدقة شهر رمضان .

---

١ في ط : الشعراني .

٢ في ط : فقامر .

٣ مخلط خراسان : المخلط مجموعة من الفواكه المجففة والنقل ، كالتين والفستق واللوز والبندق والحمص والزبيب ، وما شاكل ذلك ، تخلط وتؤكل ، وتسمى لذلك « المخلط » ، ويباع المخلط الآن في بغداد في سوق الشورجة ، وبائعوا المخلط يعرفون كيف يجمعون أصنافه ، بحيث إذا طلب منهم ، جمعوه ووزنوا المقدار المطلوب دون حاجة إلى أن يعين لهم المشتري أنواعه ، ويروج سوق المخلط في بغداد وغيرها من المدن التي يحتفل فيها بعيد النيروز ، قبل حلول العيد بأيام ، ولم تزل العادة جارية لدى البغداديين وغيرهم من العراقيين ، ولدى جميع من يحتفل بالنيروز ، ويسمونه في بغداد « دورة السنة » ، أن يستعدوا لاستقبال هذا العيد بإعداد صواني تشتمل على الخضر والبقول الطرية وعلى الفواكه المجففة ، وعلى =

فلم أشكّ في أنّه كذلك .

فقلت : فأطعمني منه ، فطرح في كمّي منه شيئاً ثقّل به كمّي ، وافترقنا .

فلما بَلَغْتُ بيتي أردت أن أطعم عيالي منه ، فنظرت فإذا هو لوز ذهب ، وسكّر فضّة ، وفستق وبندق عنبر ، وزبيب ندّ ، فخبّيته[1] .

فلما كان من غد ، نظرت فإذا قيمته [٥٨ ط] مال ، فجئت إليه ، ورددته عليه .

فقال [٦٥ ب] : يا بارد ، أيش هذا حتّى تردّه ؟ جميع ما كان في كمّي البارحة ، كذا ، فرّقته على بدعة وجواريها .

فقلت : لو علمت هذا ما طلبته منك .

قال : فظننت أنّي على الحقيقة أحمل إليها لوزاً وسكراً وزبيباً وفستقاً ؟

= النقل ، والحلويات المتنوعة ، وعلى المخلط ، والسويق المتخذ من جريش الشعير مخلوطاً بدبس التمر ، ويحرص المحتفلون بهذا العيد على أن تكون الصينية وقت « دورة السنة » حاوية لجميع أنواع المخلط والحلويات والبقول احتفالا بالربيع ، ولهم في كل سنة خبر عما دارت عليه السنة ، ويتناقلون أن السنة دارت على قرد ، أو على أرنب ، أو على حية ، ويتفاءلون أو يتشاءمون ، تبعاً للشيء الذي دارت عليه . أما مخلط خراسان على التخصيص فلا أعرف عنه شيئاً ، والظاهر أنه لا يخرج عما شرحت .

١ في ب : فختمته .

١٠٨

كل نفس آتيناها هداها

حدّثني أحمد بن عبد الله بن بكر البصريّ، قال: حدّثني عروة الزبيريّ[١]: إنّه حجّ في سنة الهبير[٢]، فاشترى من مكّة قرداً، وكان مع عديله[٣] كلب، فألف القردُ الكلبَ، فكانا يأكلان في موضع واحد.

قال: فقطع علينا القرمطيّ، وأخذنا السيف، وتفرّق الناس، وحيل بينهم، وبين أمتعتهم ورحالاتهم، ومشيت أنا، فأفلتُّ فيمن أفلت، وجئت إلى الكوفة، وما أملك درهماً واحداً.

فبينا أنا جالس يوماً أفكّر، لمن أسأل، وكيف أعمل، إذ سمعت جَلَبَةً وضوضاء.

فخرجت أبصر ما هي؟ فإذا القرد قد ركب الكلب، وجاءا كذلك، فدخلا الكوفة، والناس يضحكون منهما.

---

١ في ب: اليزيدي.

٢ سنة الهبير هي السنة ٣١٢، التي قطع فيها القرمطي الطريق على الحاج، واستباح أموالهم ودماءهم، وكان رئيس القرامطة أبو طاهر الجنابي، وسنه إذ ذاك سبع عشرة سنة، خرج إلى الهبير في ثمانمائة فارس وثمانمائة راجل، ليستقبل الحاج عند عودتهم من مكة، وقاتلهم فقتل منهم قتلا مسرفاً، وأخذ جمالهم، وسبى من اختار من النساء والصبيان، وسار بهم إلى هجر، وترك باقي الحاج في مواطنهم بلا جمال ولا زاد، فمات أكثر الحاج بالعطش والحفاء، وحصل لأبي طاهر ما حرز من الأموال ألف ألف دينار، ومن الأمتعة والطيب نحو ألف ألف دينار أيضاً، فانقلبت بغداد، وخرجت النساء منشورات الشعور، مسودات الوجوه، يلطمن ويصرخن في الشوارع، ووثب العامة على الوزير ابن الفرات ورجموا طياره بالآجر، ورجموا داره أيضاً (المنتظم ٦ / ١٨٨).

٣ العديل هنا: المعادل في المحمل على البعير.

وإذا القرد كان يطعم الكلب ، ويريد منه الركوب ، واحتال لنفسه بذلك ، طول الطريق .

فلما رأيت القرد والكلب استدعيتهما فجاءا إليّ .

فقال الناس : ما هذا ؟

فقلت : هما لي ، فأخذتهما .

وبلغ أمير الكوفة الخبر ، فراسلني في بيعهما عليه .

فبعتهما عليه بثلثمائة درهم ، فكانت سبب صلاح حالي في الوقت ، وخرجت عن البلد .

١٠٩

ما للماء للماء وما للخمر للخمر

وروي عن وهب بن منبّه[١] :

أنّه كان في عهد بني إسرائيل ، خمّار ، فسافر بخمر له ومعه قرد ، وكان يمزج الخمر بالماء نصفين ، ويبيعه بسعر الخمر ، والقرد يشير إليه أن لا تفعل ، فيضربه .

فلما فرغ من بيع الخمر ، وأراد الرجوع إلى بلده ، ركب البحر ، وقرده معه ، وخُرْجٌ فيه ثيابه ، والكيس الذي جمعه من ثمن الخمر .

فلما سار في البحر ، استخرج القرد الكيس من موضعه ، ورقى الدقل وهو معه ، حتّى صار في أعلاه ، ورمى إلى المركب بدرهم ، وإلى البحر بدرهم .

فلم يزل ذلك دأبه ، حتّى قسم الدراهم نصفين ، فما كان بحصّة الخمر ، رمى به إلى المركب ، فجمعه صاحبه ، وما كان بحصّة الماء رمى به إلى البحر فهلك ، ثم نزل عن الدقَل [حتّى حصل في المركب][٢] .

---

١ أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني : صاحب الأخبار والقصص ، كان على معرفة تامة بأخبار الأوائل ، وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء ، وهو معدود من جملة الأبناء ، أي من الأولاد الذين نشأوا عن اختلاط الجند الفرس الذين أحضرهم سيف بن ذي يزن من فارس فاستوطنوا اليمن ، وتأهلوا ، ورزقوا الأولاد ، فصار أولادهم يدعون بالأبناء ، توفي وهب في السنة ١١٠ عن تسعين سنة . (وفيات الأعيان ٥ / ٧٤٣) .

٢ الزيادة من ط .

١١٠

قرود اليمن ترجم الزاني والزانية

حدّثني أبو عمر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن بكر البصريّ ، قال : حدّثني النعمان الواسطيّ المحدّث[١] إنّه كان باليمن ، فحدّثه بعض من يثق به من الرعاة هناك ، قال :

كنت أرعى غنماً لي في بعض الأودية ، فرأيت قردين ، ذكراً وأنثى ، وهما نائمان في مكان من الجبل .

فجاء قرد ذكر ، يخفي مشيه ، حتّى حرّك الأنثى ، وهي إلى جنب الذكر ، فانتبهت ، ومضت معه ، وافترشها ، وأنا أراهما .

فانتبه ذكرها ، فرآها ، فزعق زعقة عظيمة ، فاجتمع إليه من القرود عدد كثير ، هالني .

فصاح بين أيديهم ، فأقبلوا يتشمّمون الأنثى ، حتّى فرغوا كلهم من تشمّمها .

ثم نزلوا بها ، وبالذكر الذي وطئها ، تخفيّاً من ذكرِها ، إلى وهدة بعيدة ، فدحرجوهما فيها قهراً ، ثم رجموهما بالحجارة ، حتّى ماتا[٢] .

---

١ النعمان بن نعيم بن أبان : أبو الطيب القاضي الواسطي ، قدم بغداد وحدث بها ، وتوفي بالبصرة في شهر رمضان سنة ٣١٥ (تاريخ بغداد ١٣/٤٢٤) .

٢ انفردت بها ط .

١١١

دب في شيراز ينفخ في زق حداد

قال : حدّثني أبو الحسن الزجّاج ، صديق – كان لي – ثقة : إنّه شاهد بشيراز ، دبّاً ، ينفخ في زقّ حدّادٍ ، كأنّه أقامه مقام [٥٩ ط] الأجير [١] .

١١٢

دبّ يضرب بمطرقة حدّاد

قال : وشاهدت [٢] أيضاً دبّاً يضرب بالمطرقة ، على حدّاد ، فغلط يوماً ، فضرب دماغَ الحدّاد ، فقتله [٣] .

---

١ انفردت بها ط .

٢ المتحدث أبو الحسن الزجاج .

٣ انفردت بها ط .

١١٣

خاقان المفلحي يستطيب لحم الدبّ والضبع

حدّثني أبو محمد الصّلْحيّ[١] الكاتب ، قال : حدّثني أبي ، وكان يكتب لخاقان المفلحيّ[٢] ، قال :

شربت معه يوماً ، فنقّلني[٣] بقديد[٤] ، فلمّا حصل في فمي ، لم أستطبه .

فقلت : أيّها الأمير ، ما هذا ؟

فقال : هذا قديد الدبّ .

فرميت به ، وقذفت ، وثارت بي أخلاط ، وصارت علّة ، فأقمت أربعة أشهر عليلاً في بيتي .

قال : وكان خاقان ، يأكل لحم السباع ، والضباع ، ويستطيبها ، ولحم كلّ شيء له لحم[٥] .

---

١ الصلحي : نسبة إلى فم الصلح ، بلدة على دجلة بأعلى واسط ، بينهما خمسة فراسخ (معجم البلدان ٣/٩١٧) كان أبو محمد الصلحي في السنة ٣٣٥ من رجال ناصر الدولة ، قال في وصف خروجه من بغداد في أول المحرم سنة ٣٣٥ : انهزمنا يومئذ مع ناصر الدولة نريد الموصل من بين يدي معز الدولة ، فرأيت ما لا يحصى من أهل بغداد وقد تلفوا بالحر والعطش ، ونحن نركض هاربين ، فما شبهته إلا بيوم القيامة (المنتظم ٦/٣٤٩) .

٢ خاقان المفلحي : كان من قواد الدولة الطولونية ، وفارق جيش خمارويه وانحاز إلى المعتضد فولاه الري ، ثم أنفذه لمحاربة ابن أبي الساج ، فانكسر وصرف عما كان له من عمل (تجارب الأمم ١/٤٦ والكامل لابن الأثير ٧/٤٧٨ – ٥٢٢ و ٨/١٠١) .

٣ نقل الضيف : اطعمه النقل ، وهو ما يؤكل مع الشراب من فستق وتفاح ونحوه .

٤ القديد : اللحم المقدد ، يقطع قطعاً ، ثم يجفف .

٥ انفردت بها ط .

١١٤

وصف له الطبيب فرّوجاً ، فأكل مهراً

وأخبرني وهب بن يوسف ، اليهودي ، الطبيب ، عن داود اليهوديّ ، الشاميّ ، قال :

كنت أخدم خاقان ، فاعتلّ ، فحمَيْتُهُ ، فاحتمى ، وصلُحَ ، وأقبلت العافية .

فقال لي : لا أقدر أحتمي أكثر من هذا .

فقلت له : كل فرّوجاً .

فلما كان من غد ، جئته ، فوجدت الحمّى ، قد عادت أعظم ممّا كانت ، وهي في طريق البرسام[1] .

فقلت له : ما عمل الأمير أمس ؟

فقال : أكلت فرّوجاً .

فقلت : ليس هذا من فعل الفرّوج ، أي فرّوج هذا ، حتّى فعل هذا ؟

فقال لي بعض غلمانه : إنّه ذبح مُهْراً ، وأكل منه أطايبه .

فقلت : أيّها الأمير ، أصف لك فرّوجاً ، فتأكل لحم دابة ؟

فقال : بابا ، إنّما أكلت فرّوج الدابّة .

فقلت في نفسي : خذ الآن فرّوج الموت .

وما زلت أعالجه شهوراً كثيرة ، حتى برئ[2] .

---

١ البرسام : فارسية ، بر : الصدر ، وسام : الالتهاب (الألفاظ الفارسية المعربة ١٩) .

٢ انفردت بها ط .

١١٥

وظيفة خاقان المفلحي في كل يوم

من اللحم ألف ومائتا رطل

قال أبو محمد الصلحيّ ، عن أبيه :

كانت وظيفة خاقان المفلحيّ ، في كلّ يوم ، ألف رطل ومائتي رطل لحماً ، له ، ولغلمانه ، وخدمه، وكلّ ما يتّخذ في داره ، إذا كان في أعماله .

فإذا كان ببغداد ، اقتصر على النصف من ذلك ، وهو ستمائة رطل لحماً ، سوى الحيوان الذي يذبح في المطبخ[١] .

---

١ انفردت بها ط .

١١٦
وظيفة الوزير أبي الفرج بن فسانجس
من اللّحم في كلّ يوم

وأخبرني بعض وكلاء وزراء هذا الزمان ، وهو أبو الفرج بن فسانجس [١] :
إنّ وظيفته كانت ، في أيّام وزارته ، في كلّ يوم ، نَيّفٌ وستّين رطلاً لحماً ، له ، ولنسائه ، وغلمانه ، وجميع ما يتّخذ في دوره ، وثلاثة جُدي ، وعَشْرُ دجاجات ، وأربعة أو خمسة أفرخ ، وثلاث جامات حلوى من السوق ، وليست من فاخره ، وإنّما هي زلابية دقيقة ، أو فالوذج ، أو ما يجري مجرى ذلك [٢] .

---

١ سبقت ترجمته في حاشية القصة ١/٤٣ من النشوار .
٢ انفردت بها ط . راجع كتاب الوزراء ٢١٥ للاطلاع على وظيفة الوزير أبي الحسن بن الفرات في المطبخين الموجودين في داره ، مطبخ الخاصة ومطبخ العامة .

١١٧

كفى بالأجل حارساً

سمعت قاضي القضاة ، أبا السائب [١] ، يحكي :

إنّ رجلاً كان له على رجلٍ دينٌ ، فهرب منه ، فلقيه صاحب الدين في صحراء ، فقبض عليه ، وأخرج قيداً كان معه ، فقيّده ونفسه به ، وجعل إحدى الحلقتين في رجل غريمه ، والأخرى في رجل نفسه ، ومشيا إلى قرية تقرب من الموضع ، فجاءاها ، وقد أدركهما المساء ، وأغلق أهل القرية باب سورها ، فاجتهدا في فتحها لهما ، فأبى أهل القرية ، فباتا في مسجد خراب على باب القرية ، فجاء السبع وهما نائمان ، فقبض على صاحب [٦٦ ب] الدين فافترسه، وجرّه ، فانجرّ الغريم معه . فلم تزل تلك حاله إلى أن فرغ السبع من أكل صاحب الدين ، وشبع ، وانصرف ، وترك المديون وقد تجرّح من جرّه وسحبه عليه ، وبقيت ركبة الغريم في القيد ، فحملها الرجل مع قيده ، وجاء إلى القرية ، فأخبرهم الخبر ، حتى حلّوا قيده ، وسار لوجهه ذلك [٢] .

---

١ القاضي أبو السائب الهمذاني (٢٦٤ — ٣٥٠) : عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله ، كان أبوه تاجراً مستوراً ديناً ، ونشأ أبو السائب فطلب العلم ، وغلب عليه التصوف أول أمره ، ثم خرج من بلده ، ولقي العلماء ، وتفقه على مذهب الشافعي ، واتصل بالأمير أبي القاسم بن أبي الساج ، فقلده قضاء مراغة، ثم أضاف إليه قضاء أذربيجان جميعها ، وعظمت حاله ، ثم تقلد قضاء همذان ، وصار إلى بغداد وتقلد أعمالا جليلة بالكوفة وديار مضر والأهواز وعامة الجبل وقطعة من السواد ، وتقدم عند قاضي القضاة أبي الحسين بن أبي عمر ، وسمع شهادته ، واستشاره في جميع أموره ، وقلده المستكفي قضاء مدينة أبي جعفر ، ثم تقلد قضاء القضاة في السنة ٣٣٨ ، (المنتظم ٧/٥) .

٢ انفردت بها ب .

١١٨

عريان أعزل يصيد الأسد

حدّثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيّار :

إنّ رجلاً أجنّه الليل في بعض أسفاره ، فبات في خان خراب ، بقرب أجَمةٍ ، وماء مستنقع ، وكانت ليلة قمراء ، وكان الموضع مُسبعاً ، والرجل عارف بذلك ، فرقي سطح الخان ، وطلب لِبْناً[١] فشرّجه على باب الدرجة ، وجلس يترقّب ، فإذا رَجُلٌ عريان ، قد جاء حتّى جلس على الماء .

قال : فقلت له : ما تصنع ؟

قال : جئت لأصطاد السباع .

فقلت : يا هذا اتّق الله في نفسك[٢] .

فقال : الساعة ترى .

فلم يلبث هنيهة ، أن طلع سبع ، فتراءى له الرجل ، فصاح به ، فقصده .

فلما قرب منه ، طرح الرجل نفسه في الماء ، فرمى السبع بنفسه خلفه في الماء ، فغاصا ، فإذا بالرجل قد خرج من وراء [٦٠ ط] السبع ، وعلّق خصييه بيده ، ثم أخرج من منديل على رأسه ، قصبة مقدار ذراع ، مجوّفة ، فارسيّة ، وثيقة ، نافذة ، فدسّها[٣] في جاعرة[٤] السبع ، وأقبل يدخل فيها

---

١ اللبن ، واحدته لبنة : الآجر المتخذ من الطين للبناء ، ويكون مربعاً أو مستطيلا ، فإن شوي بالنار فهو آجر .

٢ في ب : على نفسك ، والتصحيح من ط .

٣ في ط : فشكها .

٤ جاعرة السبع : دبره .

الماء بإحدى يديه ، وكلّما دخل جوفَ الأسد الماء ثَقُلَ ، وضَعُفَ بَطْشُهُ ، وهو يمرس مع ذلك خُصاه ، إلى أن غرّقه ، وقتله .

ثم جرّه في الماء فأخرجه إلى الشطّ ، وسَلَخ جلده ، وأخذ جبهته ، وكفّه ، وشحمه ، ومواضع يعرفها منه لها ثمن .

ثم صاح بي : يا شيخ ، كذا أصطاد السباع .

وتركني ومضى .

١١٩

لئيم يفخر بلؤمه

حدّثني أبو القاسم عبد الله بن محمد بن مهرويه ، بن أبي علاّن الأهوازيّ الكاتب ، خال والدي ، قال :

كانت بيني وبين أبي جعفر بن قُدَيدة ، عداوة ، وكنت قد تُبتُ من التصرّف مع السلطان .

فتقلّد ضياع السيدة أمّ المقتدر ، وفيها ما يجاور ضيعتي ، فآذاني أذى شديداً ، في الشرب ، والأكرة ، وقصد إخراب ضيعتي ، وإبطال جاهي ، فصبرت عليه .

فقبض يوماً على أكّار لي ، فصفعه صفعاً عظيماً ، فأنفذتُ إليه كاتباً كان يكتب لي على ضيعتي ، يعرف بأبي القاسم علي بن محمد بن خربان ، ليعاتبه ، ويستكفّه ، ويأخذ الأكّار ، فتلقّى الرجل بكلام غليظ .

فعاد إليّ ، فقال : إنّ هذا قد جدّبك ، [فخذ حذرك][1] ، ودبّر أمرك بغير ما أنت فيه .

فقلت : ما الخبر ؟

فعرّفني ما جرى عليه .

ففكّرت ، فلم أر لحسم مادّته عني ، وأذيّته في نفسه ، غير ضمان ضياع السيّدة[2] ، وتسلّمه ، ومطالبته بالحساب [٦٧ب] ، وإيقاعه في المكاره .

فكتبت إلى كاتب السيّدة ، وخطبت ضمان النواحي ، بزيادة ثلاثين ألف دينار في ثلاث سنين ، عمّا رفعها ابن قديدة ، على أن يسلّم إليّ ، لأحاسبه

---

١ الزيادة من ط .

٢ السيدة شغب أم المقتدر : راجع ترجمتها في حاشية القصة ١ / ١٢٨ من النشوار .

وأطالبه، بما يخرجه الحساب عليه، وأوفّره، مضافاً إلى هذه الزيادة . وأنفذت الكتاب مع فيج [1] قاصد .

فحين نفذ ، اغتممت ، وقلت : ضياع لا أعرف حاصلها على الحقيقة ، لِمَ حمَلْتُ نفسي على هــذا ؟ وكان احتمال عداوة الرجل ، أيسر من هذا .

وطرحت نفسي مفكّراً ، وأنا بين النائم واليقظان ، حتى رأيت ، كأنّ رجلاً شيخاً ، أبيض الرأس واللحية ، بزيّ القضاة ، قد دخل إليّ ، وعليه طيلسان أزرق ، وقلنسوة ، وخفّ أحمر .

فقال : ما الذي يغمّك من هذا الأمر ؟ ستربح في أوّل سنة من هذا الضمان ، على ما زدته ، عشرة آلاف دينار ، وتخسر في الثانية ، عشرة ، وتخرج في الثالثة بغير ربح ولا خسران ، ويكون تعبك بإزاء اشتفائك من عدوّك .

فانتبهت متعجّباً ، وسألت : هل دخل إليّ أحد ؟

فقالوا : لا ، فقويت نفسي قليلاً .

فلما كان في اليوم الثاني والعشرين ، ورد رسول من بغداد ، بكتب إليّ قد أُجِبْتُ فيها إلى ملتمسي ، وكوتب في طيّها ، عامل كان لهم بالطيّب [2] مقيماً، يشرف على جميع عمّالهم بكور الأهواز [3] يؤمر بقدومها وتسليم ابن قديدة إليّ ، وعقد الضمان عليّ .

---

١ الفيج : الساعي الذي يسعى على قدميه، وكل من احترف نقل الرسائل من بلد إلى بلد فهو فيج، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٣ م ٣ .

٢ الطيب : بليدة بين واسط وخوزستان (معجم البلدان ٣ / ٥٦٦) .

٣ كور الأهواز : كور بين البصرة وفارس ، راجع حاشية القصة ١ / ١٢٤ من النشوار .

فأنفذتُ إلى العامل سفتجة بألف دينار مَرْفِقاً[1] ، وكتبت إليه ، وسألته الحضور ، وأنفذت إليه الكتب الواردة .

فلما كان بعد أيّام ، كنت جالساً مع عامل الأهواز ، على داره بشاطىء دجيل[2] فإذا بعسكر عظيم [٦١ ط] قد طَلَعَ من جـانب المأمونيّة . فارتاع ، وظن أنّ صارفاً[3] قد ورد ، وأنفذ من سأل عن الخبر ، فعاد ، وقال : فلان ، عامل السيّدة ، فعبر في طيّاره ، وأنا معه ، لتلقّيه .

فحين اجتمعا ، قال له : يا سيّدي ، أُريد ابن أبي علان .

فقلت : أنا هو يا سيّدي .

قال : ولم يكن يعرفني ، ولا أعرفه إلاّ بالوجوه[4] فأقامني من موضعي ، ورفعني فوق الجماعة ، وتحيّر العامل ، ومن حضر .

وقال له : أُريد ابن قديدة ، فأنفذ إليه ، فاستدعاه .

فحين حضر قيّده ، وقال لي : يا أبا القاسم تسلّمه .

فقال العامل : أيش هذا التعب ؟ وأقبلت الجماعة تمازحني .

فقلت : هو أحوجني إلى هذا .

قال : فتسلّمتُهُ ، وقمت إلى داري .

وعبر عامل السيّدة ، فحملتُ إليه من الألطاف ، والأنزال ، والهدايا ،

---

١ المرفق : الرشوة .

٢ دجيل : اسم نهر في موضعين : أحدهما مخرجه من أعلى بغداد ، بين تكريت وبينها ، مقابل القادسية ، دون سامرا ، فيسقي كورة واسعة وبلاداً كثيرة ، منها أوانا ، وعكبرا ، والحظيرة ، وصريفين ، وغيرها ، ثم تصب فضلته في دجلة ، وثانيهما : نهر بالأهواز ، حفره أردشير ابن بابك ، أحد ملوك الفرس ، ويخرج من أرض أصبهان ، ويصب في بحر فارس ، قرب عبادان ، وفيه غرق شبيب الخارجي ، والثاني هو موضوع القصة (معجم البلدان ٢ / ٥٥٥) .

٣ الصارف : حامل الأمر بالعزل .

٤ هذا التعبير لم يزل مستعملا في بغداد يقال : أعرفه بالوجه ، يعني أن معرفته به ضعيفة .

ماصَلُحَ ، وعقدَ عليّ الضمان من غدٍ ، وانصرف في اليوم الثالث .

وحملت إليه [٦٨ ب] ألف دينار أُخرى مرفقاً .

وحصّلت ابن قديدة معي في المكاره متردّداً ، ووفّرت من جهته مالاً على السيّدة ، وكاتبها ، وكذا العامل ، وارتجعت ما لزمني على مؤونة العامل ومرفقه .

وأطلقته بعد شهور إلى داره ، وقد ركبه دينٌ ثقيلٌ ، وباع شيئاً من ضيعته ، وانكسر جاهه ، وانخزلت نفسه .

ونظرتُ في الضمان ، وتصرّمت السنة ، فربحت عشرة آلاف دينار . فقلت : قد جاء ما قال الشيخ في المنام ، فأثبتّها عند الصارف[1] ، ولم أدخلها في دَخلي ، ولا في خرْجي .

فلما كانت السنة الثانية ، قعدت بي الأسعار ، فخسرت ذلك القدر ، فأدّيته بعينه في الخسران .

فلما كانت السنة الثالثة ، خرجت رأساً برأس ، ما خسرت ولا ربحت شيئاً .

فصحّحت مال الضمان ، وكتبت أستعفي ، وقد علمت أنّ النكبة قد بلغت بابن قديدة إلى حدّ لا يجسر أن يتقلّد معها ، ولا أن يقلّد أيضاً .

فلم يعفني كاتب السيّدة ، وطالبني بتجديد الضمان على الزيادة ، وعمل على التأوّل عليها من ابن قديدة .

وأنفذ في إشخاصي ، خادماً من كبار خدم السيّدة ، فجاء في طيّار ، وأمر هائل ، فتخوّفت من الشخوص معه ، فأحصل في الحبس ، وتستمر عليّ المكاره ، وأنقطع عن الشروع في الخلاص .

---

[1] الصارف هنا : الصراف أو الصيرفي .

فأنزلت الخادم ، وهاديته ، ولاطفته ، وحملت إليه خمسة آلاف درهم فاستعظمها ، وعبدني[1] .

فقلت له : إنّ ذيلي طويل[2] ، وأريد أن أصلح أمري ، ثم أخرج ، فتمهلني أسبوعاً ، وتدعني أخلو في منزلي ، وأصلح ما أحتاج إليه ، ثم أخرج معك ، فمكّنني من ذلك .

فقلت لإخوتي ، وأصهاري ، وكتّابي : لِيَدْعُهُ كلّ واحد منكم يوماً ، له ، ولغلمانه ، وأسبابه ، وامنعوهم من معرفة خبري ، وشاغلوهم بالنبيذ ، والشطرنج ، والمغنّيات ، ففعلوا ذلك .

وخرجت أنا تحت الليل بمرقّعة[3] ، راكباً حماراً ، ومعي غلامان من غلماني ، ودليلٌ ، وليس معي شيء من الدنيا ، إلاّ سفاتج بخمسة آلاف دينار .

وسرت واشتغل الخادم بالدعوات ، فما عُرف خبري إلاّ وأنا بواسط[4] ، فقامت قيامته ، وانحدر في طريق الماء ، فوصل إلى الأبلّة[5] ، وقد قاربت أنا [٦٢ط] بغداد ، ثم دخلتها متخفّياً ، وطرحت نفسي على أبي المنذر النعمان ابن عبد الله[6] ، وكانت لي به حرمة وصحبة ، أيّام تقلّده الأهواز ، وتصرّفي

---

١ في ب عندي ، والتصحيح من ط .

٢ طول الذيل : كناية عن اتساع العائلة وتعدد المسئوليات .

٣ المرقعة : خرقة أو جبة تشتمل على رقاع من غير لونها يلبسها الفقراء والصوفية (معجم دوزي للملابس ١٨٩) .

٤ واسط : تشمل الآن في العراق سقي الغرّاف ، وقد سميت المنطقة باسم مدينة واسط التي بناها الحجاج ، وآثارها موجودة قرب مدينة الحي ، وإنما سميت واسط ، لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة (معجم البلدان ٤ / ٨٨١) .

٥ الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة (معجم البلدان ١ / ٩٦) .

٦ سبقت ترجمة أبي المنذر النعمان بن عبد الله في حاشية القصة ١ / ٦١ من النشوار .

معه ، فلقي بي أبا الحسن ، عليّ بن عيسى ، وهو إذ ذاك الوزير [1] ، وعرّفه محلّي .

فقال لي : قد كنت أحبّ أن أراك ، لما يبلغني من حسن صناعتك ، وطرح إليّ أعمالاً ، فعملتها بحضرته ، وأعجبته [٦٩ ب] صناعتي ، وقرّظني .

ولزمته أيّاماً ، وخبري منستر عن كاتب السيّدة ، ثم خاطب الوزير [في أمريّ] [2] ، وخوطبت السيّدة . فقالت : لا أقرّر أمره ، أو يصير إلى ديواني .

فقال لي : امض وأنا من ورائك ، ولا تخفْ . فمضيت ، فاعتقلوني ، فراسلتهم في أمري .

وحضر أبو المنذر ، ديوان السيّدة ، فتوسّط ما بيني وبينهم ، وقرّر الأمر على صلح ثلاثة آلاف دينار ، أو نحوها – الشك منّي – وضمنها عنّي ، وأخذني إلى داره ، فأدّيتها إليه من جملة السفاتج .

وطالبني عليّ بن عيسى ، بالتصرّف معه ، فعرّفته توبتي منه ، وإنّي إنّما ضمنت هذا الضمان ، لضرورةٍ ، وشرحت له الخبرَ ، فأعفاني .

فرجعت إلى الأهواز ، وقد مضت السنون على العداوة بيني وبين ابن قديدة ، إلاّ أنّه منهزم .

وكتب السلطان ببيع ضياعه بالأهواز [3] ، وكان الناس يشترون ما يغلّ في سنة وأكثر ، بنصف ثمنه ، فاشتريت ما كان فيه غناي ، وخرقت فيه الحكم .

---

١ الوزير أبو الحسن علي بن عيسى : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٤ من النشوار .

٢ الزيادة من ط .

٣ راجع القصة ١ / ١٥٤ من النشوار .

واشترى أبو عبد الله البريديّ[1] لنفسه ، بأسماء قوم ، أمراً عظيماً ، برأيي واختياري له، وكان سرّه[2] عندي ، وكان في ذلك الوقت لا يتقصّى عليّ .

واشترى ابن قديدة ، فيمن اشترى ، وتصرّفنا في الضياع .

فكتب السلطان بإلزامنا زيادة عظيمة ، أظنه قال : مائة ألف دينار .

فقال لي البريديّ : كيف أعمل في الزيادة ؟

قلت : لا يلزمها الناس لك ، وواضعت أهل البلد على الامتناع ، فجَمَعَهُم ، وخاطبهم ، فامتنعوا ، واحتاج إلى أن خبطهم .

فخلا بي ، فقال : ما أعرف في هذا غيرك ، فدبّره لي ، وألزمني ذلك .

فقلت : مكّنّي من العمل بما أريد ، وعليّ المال .

فقال : أنت ممكّن .

فجلست أنا وغلام جوذاب[3] ، فقسّطنا المال على أهل البلد ، وأخرجنا أنفسنا ، فما ألزمناها شيئاً ، ونقّصنا من عُنَيْنا به ، وزدنا بإزاء ذلك على غيره .

قال : واعتمدت أن قسّطت على ابن قديدة ضِعْفَ ما يلزمه ، وعملنا بذلك جرائد .

وناظرنا الناس على الالتزام بما قسّطناه ، فامتنعوا ، وقالوا : على أيّ حساب هذا ؟ وحاسبونا ، وناظرونا .

فقلت للجماعة : من صلح له أن يلتزم هذا التقسيط ، وإلاّ فليحاسبنا على ما قبضه من غلاّت الضياع التي اشتراها ، وأنا أردّ عليه ما يبقى له من الثمن بعد ذلك ، وآخذ ما اشتراه ، وألتزم هذه الزيادة .

---

١ أبو عبد الله البريدي : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ٤ من النشوار .

٢ في ط : بنوه .

٣ أبو علي غلام جوذاب ، كاتب البريدي ، راجع تجارب الأمم (٣٠٢/١) .

وكان كلّ إنسان قد اشترى ما في شركته ، وما في جواره ، ممّا كان يتأذّى به هو وأسلافه ، منذ مائة سنة ، وما كان يتمنّاه ويشتهيه منذ ذلك العهد ، وما قد ارتخصه ، واستصلحه .

فقامت قيامة أهل البلد ، والتزموا عن آخرهم [٧٠ ب] التقسيط ، على ما فصّلته عليهم ، من غير محاسبة .

وورّكت[1] على ابن قديدة مالاً عظيماً ، فلم يكن له فيه وجه .

فأنا جالس في بيتي ليلة ، إذ جاءني [٦٣ ط] ، فدخل إليّ . فقلت : ما هـذا يا أبا جعفر ؟ وقمت إليه ، وسلّمت عليه ، فعاتبني ، وخَضَعَ لي .

فقلت : ما تريد ؟

فقال : تخفّف عنّي من التقسيط ، وتعاونني بمالك ، فوالله ، ما معي ما أؤدّيه .

فخفّفت عنه منه شيئاً يسيراً ، وأقرضته ثلاثين ألف درهم ، وكتبت بها عليه قبالة[2] ، وأشهدت فيها جماعة عدول البلد ، وتركتها في بيتي ، فلم أفكّر في المال سنين ،

ورجعت أدسّ المكاره ، والمغارم ، والمحن عليه ، وهو يذوب ، وينقص في كل يوم .

فلما علِمتُ أنّه قد بلّغ آخر أمره ، طالبته بالدين ، فاستتر عنّي في منزله .

فاستعديت عليه إلى القاضي أبي القاسم عليّ بن محمد التنوخيّ[3] ، فكتب

---

١ ورّك الشيء : أوجبه .

١ قبل الدين قبالة : كفل به وضمنه .

٢ هو والد المؤلف .

لي عدوَى[1] إلى صاحب المعونة .

فهرب من داره ، فنادى القاضي على بابه بالحضور ، فلم ينجع ذلك .

فسألت البريديّ إخراجه ، فكبس عليه وأخرجه ، وأحضره معي إلى القاضي ، فقامت البيّنة عليه بالمال . فسألت القاضي حَبْسَهُ .

فقال لي القاضي عليّ بن محمد : الحبس في الأصل غير واجب ، وذوو المروءات لا يحبسون مع أصاغر الناس في حبس واحد ، ولكن أمكّنك من أن تلازمه بنفسك أو أصحابك ، كيف شئت .

فلازمته في مسجد على باب القاضي [بأصحابي][2] ومضيت إلى البريديّ، فقلت : قد لحقَتْ خصمي عناية القاضي ، فاللهَ اللهَ فيّ ، فإنّي لا آمن أن يدسّ ابن قديدة إلى أكرته ، أو إلى قوم من الجيش ، فيؤخذ من يدي ، ويخرج إلى بغداد ، فيبطل المال عليّ ، ويحصل هناك يسعى بي ، ويعرّض نعمتي للزوال .

قال : فخاطب البريديّ القاضي في ذلك ، فتقرّر الأمر بينهما على أنّي اكتريت داراً قريبة من حبس القاضي ، أؤدّي أنا أجرتها ، وأجلس ابن قديدة فيها ، وألازِمه بأصحابي ، وأوكّل بها رجّالة أعطيهم من مالي أجرتهم يحفظونه .

فنقلته إليها ، فأقام فيها سنة وكسراً ، وهو لا يؤدّي المال ، ويكايدني عند نفسه[3] ، وأنا قد رضيت أن يتأخّر المال ، ويبقى هو محبوساً .

---

١ العدوى : الأمر بالحضور أو الإحضار أمام القاضي .

٢ الزيادة من ط .

٣ عند نفسه اصطلاح بغدادي يعني : حسب ظنه ، أو : على ما يتصور .

واعتلّ علّة صعبة ، فجاءتني أمّه ، وكانت بيني وبينها قرابة ، فسألتني إطلاقه ، وبكت ، فلم أفعل .

إلى أن بلغني أنّه في النزع ، وجاءتني تبكي ، فرحمتها ، فأطلقته لها ، بعد أن كفلته منها .

فمات بعد ثلاثة أيام ، وابتعت بالمال ضياعاً من ضياعه[1] .

---

١ من يقرأ هذه القصة يأخذه العجب لما وصل إليه ابن أبي علان هذا ، من دناءة وخسة ، ولؤم قدرة ، وأقبح من ذلك أنه يروي قصته مباهياً بما صنع ، والعجب من فقيه عاقل مثل التنوخي ، يدرج هذه القصة في معرض المدح ، لا في معرض الذم ، ثم يتمدّح بأن ابن أبي علان هذا ، خال والده .

١٢٠

كيف تاب بن أبي علان من التصرف

قلت لأبي القاسم ابن أبي علان : كيف كانت توبتك من التصرّف ؟ وما سببها ؟

قال : كان سبب ذلك ، أنّ أبا [٧١ ب] عليّ محمد بن عبد الوهاب الجبائيّ رحمه الله[١] ، كان يجيء إلى الأهواز فينزل عليّ ، لأنّي كنت كاتب ديوان الأهواز ، وخليفة أبي أحمد بن الحسين بن يوسف على العمالة ، والأمر كلّه إليّ أدبّره .

وكان أبو عليّ يَقْدِمُ الأهواز في كل سنة دفعة ، وقت افتتاح الخراج ، ويستضيف إلى خراج ضيعته بجبّى[٢] ، خراجَ قوم كان رسمهم أن يكونوا في أثره على مرور السنين .

فإذا قدِم البلد ، أعظمه الناس وأكرموه ، ولا ينزل إلاّ عليّ في أكثر الأوقات ، فأقرِّر[٣] أمره مع العامل .

وربما كان العامل غير صاحبي ، أومَن لا يعرف محل أبي عليّ ، فيكون ما يقرّر عليه أمره أقلّ من ذلك [٦٤ ط] ، إلاّ أنّه كان لا يخلو من أن يسقط عنه نصف الخراج أو ثلثه .

فإذا عاد إلى جبّى ، لم يلزم نفسه من خراج ضيعته شيئاً البتة ، ونظر إلى ما بقي ، بعد إسقاط خراجه من النظر ، ففضّه على القوم الذين في أثره ، وألزمهم بإزاء ذلك ، أن يضيف كلّ واحد منهم ، رجلاً من الفقراء

---

١ أبو علي الجبائي : سبقت ترجمته في حاشية القصة ١/٨٨ من النشوار .

٢ جبّى : وأوردها صاحب معجم البلدان بالألف : بلد من عمل خوزستان (الأهواز) ، (معجم البلدان ٢/١٢) .

٣ في ط : فأدبّر .

الذين يتعلّمون منه العلم طول السنة ، فيكون ما يلزم الواحد ، على الواحد منهم ، شيئاً يسيراً لا يبلغ خمس ما أسقطه عنه من الخراج بجاهه .

ويعود هو فيخرج من ضيعته العشر الصحيح ، فيتصدّق به على الفقراء من أهل الحوز [1] ، قريته التي هو مقيم فيها ، وعلى أهل محلّته ، وكان هذا دأبه في كلّ سنة .

فنزل عليّ في بعض قدماته ، فبلغت له مراده في أمر الخراج ، وجلسنا ليلة نتحدّث .

فقلت له : يا أبا عليّ أتخاف عليّ مما أنا فيه شيئاً ؟

فقال : يا أبا القاسم ، وكيف لا أخاف عليك ، والله ، لئن متَّ على هذه الحال ، لا رحتَ [2] رائحة الجنّة .

فقلت : ولمَ ؟ ولأيّ شيء ؟ وإنّما أنا أعمل الحساب ، وأجري مجرى ناسخ ، وآخذ أجري من بيت المال ، أو يجيئني رجل مظلوم ، قد لزمَتْهُ زيادةٌ باطلةٌ في خراجه ، فأسقطها عنه ، وأصلحها له في الحساب ، فيهدي إليّ بطيب قلبه ، أو أرتفق من مال السلطان بشيء ، ولي في فيء المسلمين قسط يكون هذا بإزائه .

فقال : يا أبا القاسم ، إنّ الله لا يخادع ، أخبرني ، ألست أنت تختار المسّاح ، وتنفذهم إلى المساحة ، وتوصيهم بالتقصّي ، فيخرجون ، فيزيدون بالقلم واحداً أو اثنين في العشرة ، ويجونك [3] بالتزاوير ، فتسقطها أنت ، وتعمل الجرائد ، وتسلّمها إلى المستخرج ،وتقول له: أريد أن يصحّ المال في

---

١ الحوز : قرية شرقي مدينة واسط ، (معجم البلدان ٣٥٩/٢) .

٢ راح الشيء : وجد ريحه .

٣ يجونك : لغة بغدادية في يجيئونك .

كذا وكذا يوماً عند الجهبذ ، وإلاّ دققت يديك على رجليك ؟

قلت : نعم .

قال : فيخرج المستخرج فيبثّ الفرسان، والرّجالة، والرسل، والمستحثّين، ويضرب ، ويصفع ، ويقيّد ، وأنت [٧٢ ب] تأمره وتنهاه ، وإذا قلت له : أطلق رجلاً ، أو أخّره بما عليه ، قبل أمرك ، وإذا لم تأذن له طالبه حتى يؤدّي ؟

قلت : نعم .

قال : فيحصل المال عند الجهبذ ، فتخرج إليه الصكاك من ديوانك وبعلاماتك ؟

فقلت : نعم .

قال : فأي شيء بقي من العمل لم تتولّ وزره، وتضمن غرمه، وتتحمّل إثمه؟ تُبْ إلى الله، وإلاّ فأنت هالك ، ودع التصرّف ،وأصلح أمر آخرتك .

قال : وأخذ يعظني ، ويخطب عليّ ، حتى بكَيْتُ .

ثم قال لي : لستَ بأعظم [نعمة ولا أكبر منزلة][1] من جعفر بن حرب[2]، فإنّه كان يتقلّد كبار أعمال السلطان ، وكانت نعمته تقارب نعمة الوزراء ، وكان يعتقد الحقّ[3] ومنزلته في العلم المنزلة المشهورة ، وصنّف غير كتاب من كتبه الباقية إلى الآن في أيدي الناس ، وهو يتصرّف مع السلطان .

فاجتاز يوماً راكباً في موكب له عظيم ، ونعمته على غاية الوفور ، ومنزلته

---

١ الزيادة من ب .

٢ جعفر بن حرب الهمداني : معتزلي بغدادي ، درس الكلام بالبصرة على أبي الهذيل العلاف ، وكان له اختصاص بالواثق ، وصنف كتباً في الكلام ، توفي سنة ست وثلاثين ومائتين وهو ابن تسع وخمسين سنة ، ويوجد تضارب كبير في نسبه وتاريخ وفاته (راجع المنتظم ٦/٣٩٥ والأعلام للزركلي ٢/١١٦ ومعجم البلدان ١/٤٤٤ باب حرب و ٢/٢٣٤ الحربية) .

٣ يريد أنه كان معتزلياً .

بحالها من الجلالة ، فسمع رجلاً يقرأ ﴿ ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكرِ اللهِ وما نزل من الحق ﴾ [1] فقال : اللّهم بلى ، وكرّرها دفعات ، وبكى ، ثم نزل [٦٥ ط] عن دابته ، ونزع ثيابه ، ودخل إلى دجلة ، فاستتر بالماء إلى حلقه ، ولم يخرج حتى فرّق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه ، وردّها ، ووصّى فيها ، وتصدّق بالباقي ، وعمل ما اقتضاه مذهبه ، ووجب عليه عنده .

فاجتاز رجلٌ ، فرآه في الماء قائماً ، وسمع بخبره ، فوهب له قميصاً ومئزراً ، فاستتر بهما ، وخرج فلبسهما ، وانقطع إلى العلم والعبادة ، حتى مات .

ثم قال لي أبو عليّ : فافعل أنت يا أبا القاسم مثل هذا ، فإن لم تطب نفسك به كلّه ، فتُبْ .

قال : فأثّر كلامه فيّ ، وعملت على التوبة ، وترك التصرّف ، ولم أزل أصلح أمري لذلك مدّة ، حتى استوى لي التخلّص من السلطان ، فتبت ، وتركت معاودة التصرّف .

---

١ ١٦ م الحديد ٥٧ .

١٢١

أبو فراس الحمداني

من مناجيب بني حمدان

من مناجيب بني حمدان ، أبو فراس ، الحارث بن أبي العلاء بن حمدان [١] ، فإنّه برع في كل فضل ، على ما أخبرني جماعة شهدوه ، وأثق بهم ، حُسْنُ خلق لم ير في عصره – زعموا – بالشام أحْسن منه ، مع خُلُقٍ طاهر ، وحُسْنٍ باطنٍ وظاهر ، وفروسيّة تامّةٍ ، وشجاعة كاملةٍ ، وكرمٍ [مستفيض] [٢] ، لأنّه نشأ في تربية سيف الدولة رضي الله عنه ، وحجره ، وأخذ أخلاقه ، وتأدّب بآدابه ، مع ملاحة خطّ ، وترسّلٍ ، وشعرٍ في غاية الجودة ، وديوانه كبير ، إلاّ أنّه كان قبيل موته اختاره ، على ما أخبرني به أبو الفرج الببغاء ، فنفى منه شيئاً كثيراً .

قال : واقفني على نفيه ، لأنّه عرَضَهُ عليّ ، فكلّ ما استضعفناه نفاه ، وما اجتمعنا على استجادته أقرّه ، وحرّره في نسخة تداولها الناس [٧٣ ب] ، ومات وما بلغ الأربعين ، مقتولاً .

---

١ أبو فراس ، الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني (٣٢٠ – ٣٥٧) : ابن عم سيف الدولة ، كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلا ، وكرماً ومجداً ، وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر ، يجمع بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة والحلاوة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك ، وكان الصاحب يقول : بدئ الشعر بملك ، وختم بملك ، يريد امرء القيس وأبا فراس ، وأسرته الروم مرة ففداه سيف الدولة ، ولما توفي سيف الدولة استقل بحمص ، وحارب عنها فقتل في المعركة . (وفيات الأعيان ١/٣٤٩) .

٢ الزيادة من ط .

قال : وأظنّ مَبْلَغَ سنّه كانت سبعاً وثلاثين سنة ، أو نحوها ، لمّا قُتِلَ .

وكان قرغويه غلام أبي الهيجاء الذي كان أحد قوّاد سيف الدولة ، وحاجبه ، احتال عليه ، حتى قتله في سنة سبع وخمسين وثلثمائة .

قال : وذلك أنّ الجيوش السيفيّة[1] افترقت بعد وفاة صاحبها ، فكلّ قطعة حوت بلداً ، وصار معظمهم مع قرغويه[2] بحلب ، واحتوى عليها ، وانضمّت قطعة إلى أبي فراس ، فغلب بها على حمص .

فلما استقام الأمر لقرغويه ، رحل بالأمير أبي المعالي شريف بن سيف الدولة[3] ، وهو إذ ذاك صبيّ ، وأبو فراس خاله ، لقتال أبي فراس ، ثم جرت بينهما مراسلة ، واصطلحوا .

وجاء أبو فراس ، وهو لا تحدّثه نفسه أنّ قرغويه يجسر عليه ، ولا أنّه يخاف أبا المعالي وهو ابن أخته ، فدخل إلى أبي المعالي وخرج ، وما أحبّ الأمير أبو المعالي به سوءاً .

---

١ نسبة لسيف الدولة الحمداني .

٢ قرغويه : غلام سيف الدولة ، وأحد قواده ، وهو الذي أمر أحد غلمانه بقتل الأمير أبي فراس الحمداني الشاعر ، لما جيء به أسيراً بعد معركة وقعت بينه وبين أبي المعالي سعد الدولة ابن أخت ابي فراس ، ثم إن قرغويه خالف سيده سعد الدولة وأخرجه من حلب ، ولكن أحد أتباع قرغويه اعتقله وأعاد الحكم لسعد الدولة الذي عاد إلى حلب ، وظل قرغويه سجيناً ، وكان ذلك آخر العهد به (الكامل لابن الأثير ٨/٥٦٢ – ٦٨٢) .

٣ سعد الدولة : أبو المعالي ، شريف بن سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله الحمداني ، صاحب حلب وحمص وما بينهما ، جلس على سرير أبيه سيف الدولة سنة ٣٥٦ ، وحصلت وحشة بينه وبين خاله ، أبي فراس فقتل أبو فراس سنة ٣٥٧ على يد قرغويه غلام سعد الدولة ، وعقد مع الروم معاهدة ، ثم حاربهم فظفر بهم ، واستمر قوياً مهيباً ، وتوفي سنة ٣٨١ (الأعلام ٣/٢٣٨) .

إلاّ أن قرغويه خاف أن يتمكّن من ابن أخته ، فيحمله على قتله ، فنصب له قوماً اغتالوه في العسكر ، وهم عقيب حرب لم تهدأ ، وتخليط لم يسكن .

وأراد الأمير أبو المعالي إنكار ذلك ، فمنعه قرغويه ، وطاح دم الرجل ، رحمه الله .

[وحدّثني أبو الحسن ، أنّ أبا محمد الصلحيّ ، وكان أبوه يكتب لأبي فراس أيّام ملكه ، حدّثه بمثله ، على غير هذا ، وجملته : أنّه أسر ، فجاء وهو أسير ، راكباً، فما شاهدته طائفة من غلمان سيف الدولة ، إلاّ ترجّلت له ، وقبّلت فخذه ، فلما رأى ذلك قرغويه قتله في الحال] [١] .

---

١ الزيادة من ط .

١٢٢
كيف أسر أبو فراس الحمداني

قال : وكان سيف الدولة ، قلّده مَنْبِج [١] وحرّان [٢] وأعمالهما ، فجاءه خلق من الروم ، فخرج إليهم في سبعين نفساً من غلمانه [٦٦ ط] وأصحابه ، يقاتلهم ، فنكأ فيهم ، وقتل ، وقدّر أنّ الناس يلحقونه ، فما اتّبعوه ، وحملت الروم بعددِها عليه ، فأُسر .

فأقام في أيديهم أسيراً سنين ، يكاتب سيف الدولة أن يفتديه بقوم كانوا عنده من عظماء الروم ، منهم البطريق المعروف بأغورج ، وابن أُخْتِ الملك ، وغيرهما ، فيأبى سيف الدولة ذلك ، مع وجده عليه ، ومكانه من قلبه ، ويقول : لا أفدي ابن عمي خصوصاً ، وأدع باقي المسلمين ، ولا يكون الفداء إلا عامّاً للكافّة ، والأيّام تتدافع .

إلى أن وقع الفداء قبيل موت سيف الدولة ، في سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، فخرج فيه أبو فراس ، ومحمد بن ناصر الدولة ، لأنّه كان أسيراً في أيديهم ، والقاضي أبو الهيثم عبد الرحمن بن القاضي أبي الحصين [٣] عليّ بن

---

١ منبج : مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ ، وهي لصاحب حلب ، ومنها الشاعر البحتري ، وله بها أملاك (معجم البلدان ٦٥٤/٤) . أقول : والبحتري يقول في شكوى الزمان « أخاطب بالتأمير والي منبج » يعني أن الزمان اضطره إلى ذلك بعد أن كان جليس الخلفاء .

٢ حران : مدينة عظيمة هي قصبة ديار مضر ، وهي على طريق الموصل والشام والروم (معجم البلدان ٢٣٠/٢) .

٣ في ب : أبو حصن ، والتصحيح من تجارب الأمم (٢٢٠/٢) وأبو الحصين هو علي بن عبد الملك الرقي القاضي بحلب ، كان شاعراً وله مع أبي فراس مراسلات شعرية ، وللسرى الرفاء فيه مدائح ، وأخباره موجودة في اليتيمة (١١٤/١) وفي كتاب أخبار سيف الدولة ٣٦٧ إن أبا الحصين=

عبد الملك ، لأنّهم كانوا أسروه أيضاً في حرّان ، قبل ذلك بسنين ، وخرج من المسلمين عدد عظيم .

قال : ولأبي فراس كلّ شيء حسن من الشعر ، في معنى أسره .

فمن ذلك ، أنّ كُتُبَ سيف الدولة تأخّرت عَنْهُ ، وبلغه إنّ بعض الأسراء قال : إن ثقُل هذا المال على الأمير سيف الدولة، كاتبنا فيه صاحب خراسان ، فاتّهم أبا [٧٤ ب] فراس بهذا القول ، لأنّه كان ضمن للروم وقوع الفداء ، وأداء ذلك المال العظيم ، فقال سيف الدولة : ومن أين يعرفه أهل خراسان ؟

فكتب إليه قصيدة أوّلها :

أسيف الهدى وقريع العرب	إلى مَ الجفاء وفيم الغضب
وما بال كتبك قد أصبحت	تَنَكَّبني مع هذي النُّكب
وإنّك لَلْجَبلُ المشمخرّ	لي ولقومك بل للعرب
عُلًى تستفاد وعافٍ يفاد	وعزٌّ يشاد ونعمى تُرَبّ
وما غضّ منّي هذا الأسار	ولكن خلصْتُ خلوص الذهب
ففيم يقرّعني بالخمول	مولًى به نِلْتُ أعلى الرتب
أتنكر أنّي شكوت الزمان	وأنّي عتبتك فيمن عتب
فالاّ رجعت فأعتبتني	وصيّرت لي ولقولي الغَلَب
ولا تنسبنّ إليّ الخمول	عليك أقمت فلم أغترب
وأصبحت منك فإن كان فضْلٌ	وإن كان نَقْصٌ فأنت السبب
وإنّ خراسان إن أنكرت	عُلايَ فقد عرفتها حلَب

= كان ظالماً يتعرض لتركات الموتى ، وله قول مأثور « كل من هلك ، فلسيف الدولة ما ملك ، وعلى أبي حصين الدرك » .

ومن أين يُنْكِرُني الأبعدون أمن نقص جدّ أمن نقص أب
ألستُ وإيّاك من أسرة وبيني وبينك فوق النسب
ودادٌ تناسب فيه الكرام وتربية ومحلّ أشِبْ[1]
فلا تعدلنّ فداك ابن عمّك لا بل غلامك عمّا يجِبْ
أكنت الحبيب وكنت القريب ليالي أدعوك من عن كَثَبْ[2]
فلمّا بعدتُ بدت جفوةٌ ولاح من الأمر ما لا أُحب
فلو لم أكن بك ذا خبرة لقلت صديقك من لم يَغِبْ
وما شكّكتني فيك الخطوب ولا غيّرتني عليك النُّوَبْ
وأشكر ما كنت في صحبتي وأحلم ما كنت عند الغضب

قال الببغاء : وله في صفة أسره ، وعللٍ لحقته هناك ، ومراثٍ لنفسه في الأسر ، وتعطّف لسيف الدولة ، وصفة الأسر، وما لحقه فيه ، شعر كثير ، حسن أكثره ، بمعان مخترعة ، لم يسبق إليها .

ونحن نورد ما نختاره من ذلك ، بعد هذا إن شاء الله تعالى .

---

١ أشب القوم : اختلط بعضهم ببعض ، وأشب الشجر : التفّ واشتبك .
٢ الكثب : القرب .

١٢٣

إذا اختلّ أمر القضاء في دولة

اختلّ حالها

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش ، قال :

كان أوّل ما انحلّ من نظام سياسة الملك، فيما شاهدناه من أيّام بني العباس، القضاء ، فإن ابن الفرات ، وَضَعَ منه ، وأدخل فيه قوماً بالذمامات [١] ، لا علم لهم ، ولا أبوّة فيهم ، فما مضت إلا سنوات ، حتى ابتدأت الوزارة تتّضع [٢] ، ويتقلّدها كلّ من ليس لها بأهل ، حتى بلغت في سنة نيّف وثلاثين وثلثمائة، أن تقلّد وزارة المتّقي أبو العباس الأصبهانيّ الكاتب [٣] ، وكان غاية في [٧٥ ب] سقوط المروءة ، والرقاعة .

ولقد استأذنت عليه يوماً ، فجاء البوّاب إليه ، فقال : ابن عيّاش بالباب ، فسمعته يقول له من وراء الستر : يدخل .

فقلت في نفسي : لا إله إلا الله ، تبلغ الوزارة إلى هذا الحدّ في السقوط ؟ وحتى كان يركب وليس بين يديه إلا ابن حَدُبنا صاحب الرُّبْعِ [٤] ،

---

١ الذمامات : الحقوق والحرمات .

٢ في ط : تنحل .

٣ أبو العباس أحمد بن عبد الله الأصبهاني : نصبه ناصر الدولة الحمداني في رجب سنة ٣٣١ وزيراً للمتقي ، ولما أصعد ناصر الدولة إلى الموصل عزله المتقي في رمضان من نفس السنة واستوزر بدلا منه أبا الحسين على بن مقلة ، وبقي أبو العباس الأصبهاني في وزارة المتقي خمسين يوماً فقط، ولم يكن له علم ولا نظر في الأمور، وضعف أمر الوزارة والوزراء في تلك الأيام ضعفاً كثيراً (الفخري ٢٨٦) .

٤ صاحب الربع : من رجال الشرطة ، وكانت البلد تقسم أرباعاً، ويعين لكل ربع صاحب ، ثم يقسم كل ربع إلى أرباع، ويعين لكل جزء من يناط به، وتقدم الأخبار من هؤلاء إلى صاحب الربع ، ويقدمه أصحاب الأرباع الأربعة إلى عامل البلد ، فيطلع على جميع أخبار البلد .

وحتّى رأيت في شارع الخُلْد[1] قرداً معلّماً ، يجتمع الناس عليه .

فيقول له القرّاد : تشتهي أن تكون بزّازاً ؟

فيقول : نعم ، ويومئ برأسه .

فيقول : تشتهي تكون عطّاراً ؟

فيقول : نعم ، برأسه .

فيعدّد الصنائع عليه ، فيومئ برأسه .

فيقول له في آخرها : تشتهي تكون وزيراً ؟

فيومئ برأسه : لا ، ويصيح ، ويعدو من بين يدي القرّاد ، فيضحك الناس .

قال : وتلى سقوط الوزارة ، اتّضاع الخلافة ، وبلغ صيّورها[2] إلى ما نشاهد ، فانحلّت دولة بني العباس ، بانحلال أمر القضاء .

وكان أول وضع ابن الفرات من القضاء ، تقليده إيّاه ، أبا أميّة الأحوص الغلابيّ البصريّ[3] ، فإنّه كان بزّازاً ، فاستتر عنده ابن الفرات ، وخرج من داره إلى الوزراة .

---

١ الخلد : قال ياقوت في معجم البلدان (٢/٤٥٩) : الخلد قصر بناه المنصور ببغداد على شاطىء دجلة سنة ١٥٩ . وكان موضع البيمارستان العضدي اليوم أو جنوبه ، وبنيت حواليه منازل ، فصارت محلة كبيرة ، عرفت بالخلد .

٢ الصيور : منتهى الأمر وعاقبته .

٣ في ب الأخوص الفلاني، والتصحيح عن المنتظم؛ وقد جاء فيه : أن اسمه الأحوص (بالحاء) ابن المفضل بن غسان بن المفضل بن معاوية بن عمر بن خالد بن غلاب فهو الأحوص الغلابي (بالغين والباء) ، وغلاب امرأة ، وهي أم خالد بن الحارث بن أوس بن النابغة ، روى أبو أمية عن أبيه كتاب التاريخ ، وروى عن جماعة ، وكان يتجر في البز ببغداد، وولاه ابن الفرات القضاء ، فكان عفيفاً متصوناً ، ولما نكب ابن الفرات قبض أمير البصرة على أبي أمية وأدخله السجن ، فأقام فيه مدة ومات سنة ٣٠٠ (المنتظم ٦/١١٦) .

فقال له في حال الاستتار : إن وليتُ الوزارة ، فأيّ شيء تحب أن أعمل بك ؟

قال : تقلّدني شيئاً من أعمال السلطان .

قال : ويحك ، لا يجيء منك عامل ، ولا أمير ، ولا صاحب شرطة ، ولا كاتب ، ولا قائد ، فأيّ شيءأقلّدك ؟

قال : لا أدري ، ما شئتَ .

قال : أقلّدك القضاء .

قال : قد رضيتُ .

فلما خرج ، وَوَلِيَ الوزارة ، وهب له ، وأحسن إليه ، وقلّده قضاء البصرة ، وواسط ، وسبع كور الأهواز .

وكان يداعبه ، ويتلهّى به[1] ، ويسخر منه في أوقات استتاره عنده ، وقبلها ، ويمدّ يده إليه ، فلمّا ولاّه القضاء ، وقّره عن ذلك .

ثم انحدر أبو أميّة إلى أعماله ، فأراد أن يغطّي نقصه في نفسه ، وقلّة علمه ، ويصل ذلك بشيء يتجمّل به ، فعفّ عن الأموال ، فما أخذ شيئاً ، وتصوّن وتوقّر ، واقتصر على الأرزاق ، وصلات ابن الفرات الدارّة ، فستر ذلك جميع عيوبه .

وتناوله الشعراء ، فقال فيه القطرانيّ البصريّ : [٦٨ ط] .

عبث الدهر بنا والـ　　　ـدهر بالأحرار يعبث
من عذيري من زمان　　　كل يوم هو أنكث
ما ظننّا أنّنا نبقى　　　وأن[2] نحيا ونلبث
فنرى الأحوص يقضي　　　وأبا عيسى يحدّث

---

١ تلهى به ، ولها به : ولع به .
٢ في ب وط : ولا .

١٢٤

من محاسن الأحوص الغلابي القاضي بالبصرة

حدّثني أبو الحسين محمد بن عبيد الله بن محمد القاضي ، المعروف بابن نصرويه ، قال :

كنت أيّام أبي أميّة الغلابيّ ، وتقلّده القضاء بالبصرة ، حدثاً ، وكنت أجيئه مع خالي ، وكان الحرّ عندنا بالبصرة إذ ذاك ، شديداً مفرطاً ، أكثر من شدّته الآن [٧٦ ب] .

وكان أبو أميّة يخرج في كلّ عشيّة من داره في مربّعة الأحنف، وعليه مئزر ، وعلى ظهره رداء خفيف ، وفي رجليه نعلان كنباتي ثخان [١] ، وبيده مروحة ، وهو قاضي البصرة[٢] ، والأبلّة[٣] ، وكور دجلة[٤] ، وكور الأهواز[٥] ، وواسط[٦] ، وأعمال ذلك ، فيمشي حوله من يتّفق أن يكون في الوقت من غير تعمّل ، حتّى ينتهي إلى موضع حلقة أبي يحيى زكريا

١ في ب : كيتاني كان ، والتصحيح من ط ، والنعال الكنباتية نعال هندية . (راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٣ م ٣) .

٢ البصرة : إحدى حواضر العراق ، أشهر من أن توصف ، بنيت سنة ١٤ للهجرة في زمن الخليفة عمر ، قبل بناء الكوفة بستة أشهر ، والبصرتان يعني البصرة والكوفة (معجم البلدان ٦٣٦/١) .

٣ الأبلة : راجع حاشية القصة ١١٩/١ من النشوار .

٤ كور دجلة : يراد بكور دجلة ، أعمال البصرة ما بين ميسان إلى البحر (معجم البلدان ٣١٩/٤) .

٥ كور الأهواز : كور بين البصرة وفارس ، لكل كورة منها اسم ، ويجمعهن الأهواز ، وهي : سوق الأهواز ، رامهرمز ، ايذج ، عسكر مكرم ، تستر ، جنديسابور ، سوس ، سرق ، نهرتيري ، مناذر (معجم البلدان ٤١١/١) .

٦ واسط : راجع حاشية القصة ١١٩/١ من النشوار .

الساجي[1] ، فيجلس إليه ، وربما سبقه ، وجاء أبو يحيى ، وجلسا يتحدّثان ، ويجتمع إليهما أترابهما ، وإخوانهما القدماء ، فيستعملون من التخالع والانبساط في الحديث ، والمزح ، ما ليس بقليل .

ويجيء سعيد الصفّار ، وكان يخلف أبا أميّة على البصرة ، بقلَنسوةٍ عظيمة ، وقميص ، وخُفّ ، وطيلسان ، فيسلّم عليه بالقضاء ، ويشاوره في الأمور ، فيقول له : قم عنّي ، لا يجتمع عليّ الناس ، لا تقطعني عن لذّتي بمحادثة إخواني القدماء ، قم إلى مجلسك .

فيقوم سعيد ، فيجلس بالبعد منه في الجامع ، في موضع برسمه ، ينظر بين الناس .

وما كان ذاك يغضّ من قدره عند الناس ، وكانت سيرته أحسن سيرة ، واستعمل من العفّة عن الأموال ، ما لم يعهد مثله .

وكان ديوان وقوف البصرة إذ ذاك ببغداد ، فإذا أراد أحد أربابها شيئاً ، خرجوا إلى بغداد حتى يوردوا الأمر فيه من الحضرة ، فلحق الناس مشقّة ، فنقل أبو أميّة ديوانها إلى البصرة ، فكثر الدعاء له ، وصارت سُنّةٌ ، وبقي الديوان بالبصرة .

وكان — مع هذا — يَتيهُ على ابن كنداج ، وهو أمير البصرة[2] ، ولا يركب إليه مرّة ، إلا إذا جاءه ابن كنداج مرّة ، ويعترض على ابن كنداج

---

[1] أبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي البصري الحافظ : محدث البصرة ، روى عن هدبة بن خالد وطبقته ، وله كتاب في علل الحديث ، قال الأسنوي : منسوب إلى الساج ، وهو نوع من الخشب ، كان أحد الأئمة الفقهاء ، الحفاظ ، الثقات ، وذكره الشيخ أبو إسحاق في طبقاته ، فقال : أخذ عن الربيع والمزني وصنف كتاب اختلاف الفقهاء وكتاب علل الحديث ، وتوفي بالبصرة سنة ٣٠٧ (شذرات الذهب ٢ / ٢٥٠) .

[2] محمد بن إسحاق بن كنداج (كنداجيق) : كان متقلداً أعمال المعاون بالبصرة ، وفي عهده =

في الأمور ، ويسمع الظلامات فيه ، وينفذ إليه في إنصاف المتظلّم ، فيضجّ ابن كنداج من يده ، ويكتب إلى ابن الفرات في أمره ، فترد عليه الأجوبة بالصواعق ، ويأمره بالسمع والطاعة ، فيضطر إلى مداراته ، والركوب إليه ، وتلافيه .

فقبض على ابن الفرات ، وأبو أميّة لا يعلم ، وورد كتاب على الطائر – بذلك – إلى ابن كنداج ، فركب بنفسه في عسكره إلى أبي أُميّة ، فقدّر أنّه قد جاء مسلّماً ، فخرج إليه ، فقبض عليه ، ومشّاه بين يديه ، طول الطريق ، إلى داره ببني نُمير ، حتّى أدخله السجن ، من تحت الخشبة[1] فأقام فيه مدّة ، ثم مات .

ولم يسمع بقاضٍ أدخل السجن من تحت الخشبة غيره ، ولا بقاضٍ مات في السجن سواه .

ثم ولي ابن الفرات [٦٩ ط] الوزارة أيضاً ، فحين جلس ، سأل عن أصحابه ، وصنائعه ، وسأل عن أبي أميّة ، فعُرّفَ ما جرى عليه ، ووفاته ، فاغتمّ لذلك .

وقال : فاتني بنفسه ، فهل له وَلَدٌ أقضي فيه حقّه ؟

فقالوا : ابنٌ رَجلٌ .

فكتب بحمله إليه مكرّماً ، فَحُمِلَ .

= بدأ تعرض القرامطة بالبصرة سنة ٢٩٩ ، توفي بالدينور سنة ٣٠٤ وكان يتقلدها (تجارب الأمم ١/٣٣) وأبوه إسحاق بن كنداج كان عاملا على الموصل وعامة الجزيرة سنة ٢٦٩ وكان له موقف فاصل حال به دون انحياز الخليفة المعتمد إلى أحمد بن طولون وأعاده من الرقة إلى حاضرة ملكه ، فخلع عليه ولقب ذا السيفين (المنتظم ٥/٦٥) .

١ لم أفهم معنى ذلك ، وإن كان المقتضى من العبارة أن دخول السجن من تحت الخشبة أشد وأمعن في الأذى .

فلما دخل عليه ، وجد سلامَة سلام متخلّف ، فقال له : ما اسمك ؟

قال [٧٧ ب] أبو غشّان ، وكانت لثغته كذا ، ولم يفرّق لتخلّفه بين الاسم والكنية .

فقال ابن الفرات : عزيز عليّ أن لا أقضي حقّ أبي أُميّة ، في نفسه ، ولا في وَلدِه ، كيف اقلّد هذا القضاء ؟

فوصله بمال جزيل ، وأمر بإجراء أرزاق عظيمة عليه ، وصرفه إلى بلده ، وكان يأخذها إلى أن زال أمر ابن الفرات .

١٢٥

أبو عمر القاضي يقلد ابناً لأحمد بن حنبل

القضاء ثم يصرفه

حدّثني أبو نصر أحمد بن عمرو[١] البخاري القاضي ، قال : حدّثني جماعة من ثقات أهل بغداد :

إنّ أبا عُمر القاضي[٢] قلّد ابناً لأحمد بن حنبل القضاء .

فتظلّم إليه منه ، وذكر عنده بشناعات لا يليق مثلها بالقضاة ، فأراد صرْفهُ .

فعوتب على ذلك ، وقيل : إنّ مثل هذا الرجل لا يجوز أن يكون ما رمي به صحيحاً ، فإن كان صحّ عندك ، وإلاّ فلا تصرفه .

فقال : ما صحّ عندي ، ولا بدّ من صرفه .

فقيل : ولم ؟

قال : أليس قد احتمل عِرْضُهُ ، أن يقال فيه مثل هذا ، وتشبّهت صورته بصورة من إذا رُميَ بهذا جاز أن يُتشكّك فيه ؟ والقضاء أرقّ من هذا ، فصرفه .

---

١ في ط : عمر .

٢ سبقت ترجمته في حاشية القصة ١/١٠ من النشوار .

١٢٦

أبو خازم القاضي يغضب

إذا سمع مدحاً للقاضي بأنّه عفيف

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش القاضي ، عمّن حدّثه :

إنّه كان يساير أبا خازم القاضي [١] في طريقٍ ، فقام إليه رجلٌ ، فقال : أحسن الله جزاءك أيّها القاضي ، في تقليدك فلاناً القضاء ببلدنا ، فإنّه عفيف .

فصاح عليه أبو خازم ، وقال : اسكُت عافاك الله ، تقول في قاض إنّه عفيف ، هذه من صفات أصحاب الشرط ، والقضاة فوقها [٢] .

قال : ثم سرنا ، وهو واجم ساعة .

فقلت : ما لك أيها القاضي ؟

قال : ما ظننت أنّي أعيش حتى أسمع هذا ، ولكن فسد الزمان ، وبطلت هذه الصناعة ، ولعمري إنّه قد دخل فيها من يحتاج القاضي معه إلى التقريظ ، وما كان الناس يحتاجون أن يقولوا : فلان القاضي عفيف ، حتى تقلّد فلان ، وذكر رجلاً لا أُحبّ أن أسمّيه .

فقلت : من الرجل ؟ فامتنع .

فألححت عليه ، فأومأ إلى أبي عمر .

---

١ أبو خازم القاضي : سبقت ترجمته في حاشية القصة ١/٣٨ من النشوار .

٢ جاء في المنتظم (٦/٥٥) : إن الوزير عبيد الله بن سليمان ، خاطب أبا خازم في بيع ضيعة ليتيم ، تجاور بعض ضياعه ، فكتب إليه : إن رأى الوزير ، أحسن الله إليه ، أن يجعلني أحد رجلين ، إما رجل صين الحكم به ، أو رجل صين الحكم عنه .

١٢٧

إسراع الناس إلى العجب مما لم يألفوه

وحدّثني أبو الحسين ، قال :

لما قلّد المقتدر أبا الحسين[1] بن أبي عمر[2] القاضي ، المدينة[3] رئاسة ، في حياة أبيه أبي عمر ، خلع عليه ، واجتمع الخلق من الأشراف ، والقضاة ، والشهود ، والجند، والتجّار ، وغيرهم على باب الخليفة ، حتى خرج أبو الحسين وعليه الخلع ، فساروا معه .

قال : وكنت فيهم مع عمّي ، للصهر الذي كان بينه وبينهم ، ولأنّه كان أحد شهودهم .

فسار عمّي ، وأنا معه ، في أخريات الموكب ، خوفاً من الزحام ، ومعنا شيخ من الشهود كبير السن ، أسماه أبو الحسين وأُنسيته أنا .

فكنّا لا نجتاز بموضع ، إلاّ سمعنا ثَلْبَ الناس لأبي الحسين ، وتعجّبهم من تقلّده [رئاسة .

فقال عمّي للشيخ : يا أبا فلان ما ترى ازورار الناس [٧٠ ط] من تقلّد][4]

---

١ أبو الحسين عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي القاضي (٢٩١-٣٢٨) : ناب عن أبيه في القضاء وهو ابن عشرين سنة ، وتوفي أبوه وهو على القضاء ، وكان حافظاً للقرآن والفقه ، والفرائض والحساب واللغة والنحو والشعر والحديث ، وأقر على القضاء ، ثم جعل قاضي القضاة إلى آخر عمره ، ورزق جودة القريحة، وقوة الفهم، وشرف الأخلاق ، (المنتظم ٦/٣٠٧) .

٢ القاضي أبو عمر : سبقت ترجمته في القصة ١/١٠ من النشوار .

٣ المدينة : مدينة المنصور .

٤ الزيادة من ط .

هذا الفتى ، مع فضله ، ونفاسته ، وعلمه ، وجلالة سلفه ؟

فقال له الشيخ [٧٨ ب] : يا أبا محمّد ، لا تعجب من هذا ، فلعَهْدي ، وقد ركبت مع أبي عمر يوم خلع عليه بالحضرة ، وقد اجتزنا بالناس ، وهم يعجبون من تقلّده ، أضعاف هذا العجب ، حتى خفت أن يثِبوا بنا ، وهذا أبو عمر الآن قدوة [١] في الفضل، ومثال في العقل والنبل، ولكنّ الناس يسرعون إلى العجب ممّا لم يألفوه .

---

١ في ط : وقدره .

١٢٨

من قدّم أمر الله على أمر المخلوقين

كفاه الله شرّهم

حدّثني أبو الحسن عليّ بن القاضي أبي طالب محمد بن القاضي أبي جعفر ابن البهلول ، قال :

طلبت السيّدة أُمّ المقتدر [١] ، من جدّي ، كتاب وقف لضيعة كانت ابتاعتها ، وكان الكتاب في ديوان القضاء ، فأرادت أخذه لتخرّقه ، وتبطل الوقف ، ولم يعلم جدّي بذلك .

فحمله إلى الدار ، وقال للقهرمانة : قد أحضرت الكتاب كما رسَمتْ [٢] فأيش تريد [٣] ؟

فقالوا : نريد أن يكون عندنا .

فأحسّ بالأمر ، فقال لأمّ موسى القهرمانة [٤] : تقولين للسيّدة أعزّها

---

١ أم المقتدر : اسمها شغب ، وكانت تدعى السيدة ، مولاة المعتضد ، كان إليها وإلى أختها تدبير الدولة في أيام ولدها المقتدر ، يقال إن واردها من ضياعها بلغ ألف ألف دينار في السنة ، ولما قتل ولدها المقتدر ، دعاها القاهر ، وطالبها بأن تخرج أموالها، وضربها بيده مائة مقرعة، وعلقها برجل واحدة منكسة، حتى كان بولها يجري على وجهها ، وأجبرها فوكلت على بيع أملاكها، وامتنعت عن حل الوقف ، وقالت انها أوقفته على مكة والثغور والضعفاء والمساكين، وإنها لا تستحل حله، فغضب القاهر وحل وقفها، وباعه مع ملكها، وكان موتها في السنة ٣٢١ بعد قتل ولدها المقتدر بسبعة أشهر وثمانية أيام . (المنتظم ٦/ ٢٥٣) .

٢ في ب : كما أمرتم .

٣ الضمير يعود للسيدة أم المقتدر .

٤ أم موسى القهرمانة : كانت إحدى نسوة ثلاث، مسيطرات على أمور الدولة في زمن الخليفة=

الله ، هذا والله ما لا طريق إليه أبداً ، أنا خازن المسلمين على ديوان الحكم فإمّا مكّنتموني من خزنه كما يجب ، وإلا فاصرفوني وتسلّموا الديوان دفعة، فاعملوا به ما شئتم ، وخذوا منه ما أردتم ، ودعوا ما أردتم ، أمّا أن يفعل شيء منه على يدي ، فوالله لا كان هذا ولو عُرِضْتُ على السيف .

ونهض والكتاب معه ، وجاء إلى طيّاره ، وهو لا يشكّ في الصرف ، فصعد إلى ابن الفرات ، فحدّثه بالحديث ، وهو وزير .

فقال : ألا دافعت عن الجواب ، وعرّفتني حتى كنت أتلافى ذلك ، الآن أنت مصروف ، ولا حيلة لي مع السيّدة في أمرك .

قال : وأدّت القهرمانة الرسالة إلى السيّدة ، فشكته إلى المقتدر .

فلمّا كان في يوم الموكب ، خاطبه المقتدر شفاهاً في ذلك ، فكشف له الصورة ، وقال مثل ذلك القول في الاستعفاء .

فقال له المقتدر : مثلك يا أحمد يقلّد القضاء ، أقم على ما أنت عليه ، بارك الله فيك ، ولا تخف أن يثلم ذلك عرضك عندنا[1] .

قال : فلما عاودته السيّدة ، بلغنا أنّه قال لها : الأحكام ما لا طريق إلى اللعب به ، وابن البهلول مأمون علينا ، محبّ لدولتنا ، وهو شيخ ديّن ، مستجاب الدعوة ، ولو كان هذا شيء يجوز ، ما منعك إيّاه .

فسألت السيّدة كاتبها ابن عبد الحميد عن ذلك ، وشرحت له الأمر .

= المقتدر ، هن السيدة أم المقتدر ، وخالته ، وأم موسى القهرمانة ، وقد تمكنت من الدولة ، وأثرت ثراءاً فاحشاً ، وفي السنة ٣١٠ سخط عليها الخليفة وقبض عليها وعلى أسبابها ومن كانت تعني به ، واستخرج منها ألف ألف دينار ، لاتهامها بأنها سعت في إزاحة المقتدر عن الخلافة ونقلها إلى أبي العباس محمد بن إسحاق بن المتوكل الذي زوجته بابنة أخيها (المنتظم ١٦٦/٦ وتجارب الأمم ٨٣/١) .

١ في ط : ولا تخف أن ينثلم محلك عندنا .

فلما سمع ما قاله جدّي ، بكى بكاء شديداً – وكان شيخاً صالحاً من شيوخ الكتّاب – وقال : الآن علمت[1] أنّ دولة السيّدة وأمير المؤمنين تبقى ، وتثبت أركانها ، إذ كان فيها مثل هذا الشيخ الصالح الذي يُقيمُ الحقّ على السيّدة ، ولا يخاف في الله لومة لائم. فأيّ شيء يساوي شراؤكم لوقف؟ وإن [٧٩ ب] أخذتم كتابه فخرّقتموه ، فأمْره شائع ذائع ، والله فوق كل شيء ، وبه عالم .

فقالت السيّدة : وكأنّ هذا لا يجوز ؟

فقال لها : لا ، هذه حيلة من أرباب الوقف على مال الله ، وأعلمها أنّ الشراء لا يصحّ بتخريق كتاب الوقف ، وهذا لا يحلّ .

فارتجعت المال ، وفسخت الشراء ، وعادت تشكر جدّي ، وانقلب ذلك له أثراً جميلاً عندهم .

فقال لنا جدّي بعد ذلك : من قدّم أمر الله تعالى على أمر المخلوقين كفاه الله [٧١ ط] شرّهم .

---

١ في ط : فسألت السيدة علي بن موسى ، وكان شيخاً خالصاً من شيوخ الكتاب ، خطابه ، وأعلمته ما كان منه ، فقال : الآن علمت . . . الخ .

١٢٩

القاضي أبو محمد البصريّ والد القاضي أبي عمر
يؤدّب مملوكاً من وجوه مماليك الخليفة المعتضد

حدّثني أبي رضي الله عنه ، قال : سمعت القاضي أبا عمر يقول : قُدّم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله[1] ، إلى أبي[2] في حكم ، فجاء فارتفع في المجلس .

فأمره الحاجب بموازاة خصمه ، فلم يفعل إدلالاً بعظم محلّه في الدولة .

فصاح أبي عليه ، وقال : هاه ، تؤمر بموازاة خصمك ، فتمتنع ؟ يا غلام، عمرو بن أبي عمرو النخّاس[3] الساعة ، لأتقدّم إليه ببيع هذا العبد ، وحَمْلِ ثمنه إلى أمير المؤمنين .

ثم قال لحاجبه : خذ بيده ، وساوِ بينه وبين خصمه .

فأُخذ كَرْهاً وأُجْلِس مع خصمه .

فلما انقضى الحكم ، انصرف الخادم ، فحدّث المعتضد بالحديث ، وبكى بين يديه .

فصاح عليه المعتضد ، وقال : لو باعك لأجزت بيعه ، ولما رددتك إلى ملكي أبداً ، وليس خصوصك بي ، يزيل مرتبة الحكم ، فإنّه عمود السلطان ، وقوام الأديان .

---

١ راجع ترجمة المعتضد بالله في حاشية القصة ١/٧٣ من النشوار .

٢ والد أبي عمر هو القاضي أبو محمد يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد (٢٠٨ - ٢٩٧) : ابن عم القاضي إسماعيل بن اسحاق ، ولي قضاء البصرة وواسط ، ثم قضاء الجانب الشرقي ، (المنتظم ٦/٩٦ وشذرات الذهب ٢/٢٢٧) ، راجع القصة ٣/٦٥ من النشوار .

٣ النخاس : بائع الرقيق .

١٣٠

قاضي همذان

يمتنع عن قبول شهادة رجل مستور

سمعت قاضي القضاة ، أبا السائب عتبة بن عبيد الله[١] ، يقول :

كان في بلدنا ، يعني همذان ، رجل مستور ، فأحبّ القاضي قبوله[٢] فسأل عنه ، فَزُكّي له سرّاً وجهراً .

فراسله في حضور المجلس ، ليقبله ، وأمر فأخذ خطّه في كُتُبٍ ليحضر فيقيم الشهادة فيها .

وجلس القاضي ، وحضر الرجل مع الشهود ، ونودي به ، فجاء مع شاهد آخر ، فلما جلسا ليشهدا ، أمرهما القاضي بالقيام ، فقاما ، ونظر بين الخصوم ، وتقوّض المجلس ، ولم يقبله .

فورد على الرجل أمر عظيم ، ودسّ إلى القاضي من يسأله عن سبب ذلك .

فقال القاضي : إنّي أردت قبوله لستره ودينه ، ثم انكشف لي أنّه مراء ، فلم يسعني قبوله .

فقيل له : كيف انكشف هذا للقاضي ، بعد أن دعاه للقبول ؟

قال : كان يدخل إليّ في كلّ يوم ، فأعدّ خطاه ، من حيث تقع عيني عليه من داري إلى مجلسي ، فلما دعوته اليوم للشهادة ، جاء ، فعددت خطاه من ذلك المكان ، فإذا هي قد زادت خطوتين أو ثلاث ، فعلمت أنّه متصنّع لهذا الأمر ، مُراء ، فلم أقبله .

---

١ القاضي أبو السائب : راجع ترجمته في حاشية القصة ١/١١٧ من النشوار .

٢ يعني أن يقبله ضمن الشهود العدول .

١٣١

الصفح الجميل عفو بلا تقريع

حدّثني أبو منصور عبد العزيز بن محمد بن عثمان ، المعروف بابن أبي عمرو الشرابيّ حاجب أمير المؤمنين المطيع[١] لله [٨٠ ب] قال :

دخلت في حداثتي يوماً على أبي السائب القاضي ، فقصّر في القيام ، وأظهر ضعفاً عنه للسنّ ، والعلل المتّصلة به ، وتطاول لي ، فجذبت يديه بيديّ ، حتى أقمته القيام التامّ .

وقلت له : أُعينُ قاضي القضاة – أيّده الله – على إكمال البرّ ، وتوفية الإخوان الحقّ .

قال : وقد كنت عاتباً عليه في أشياء عاملني بها ، وإنّما جئته للخصومة ، فبدأت لأصل الكلام .

فحين رأى الشرّ في وجهي ، قال : تتفضل باستماع كلمتين ثم تقول ما شئت .

فقلت له : قل .

فقال : روينا عن ابن عبّاس في قوله تعالى : ﴿ فاصْفح الصّفْحَ الجَميل ﴾[٢] قال : عفو بلا تقريع ، فإن رأيت أن تفعل ذلك ، فعلتَ .

فاستحييت من الاستقصاء عليه .

---

١ المطيع لله : الفضل بن جعفر المقتدر ، ولي الخلافة سنة ٣٣٤ على أثر خلع سلفه المستكفي وسمله ، وكان أمر المطيع ضعيفاً ، والحكم لبني بويه واستمرت خلافته ثلاثين سنة ، إلا أشهراً ، وأصيب بالفالج ، وثقل لسانه ، فخلع سنة ٣٦٣ ، ونصب ولده عبد الكريم الطائع لله مكانه (الفخري ٢٨٩) .

٢ ٨٥ ك الحجر ١٥ .

١٣٢

بين الأصبهانيّ الكاتب
والحومينيّ عامل سوق الأهواز

حضرت أبا عبد الله الحومينيّ[١] عامل سوق الأهواز ، وقد دخل إليه أبو بكر أحمد بن عبد الله، المعروف بأبي بكر بن عبد الله أبي سعيد الأصبهانيّ الكاتب .

فأخذ يريه أنّه [٧٢ ط] يريد القيام، ويتثاقل فيه، حتّى يسبقه أبو بكر ابن أبي سعيد بالجلوس ، إلى قيامه له .

ففطن أبو بكر ، فوقف من بعيد ، وقال : هَيِ ، قم قائماً حتّى أجيء ، وإلا انصرفت من موضعي .

فضحك الحوميني ، وقال : والله يا سيدي ، ما أردت هذا .

وقام له القيام التامّ .

---

١ أبو عبد الله محمد بن أحمد الحوميني ، كان من رجال دولة الأمير معز الدولة البويهي ، وأحد من رشح للوزارة بعد وفاة أبي جعفر الصيمري، ولكن معز الدولة اختار أبا محمد المهلبي واستوزره (معجم الأدباء ٣/١٨٥) .

١٣٣

شيخ من الكتاب

ينصح أبا الحسين بن عيّاش

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش ، قال :

تقلّد سليمان بن الحسن[١] الوزارة الأولى عقيب اختصاصي به وأنسي ، فكنت أجيئه على ذلك الأنس ، ما تغيّر عليّ ، ولا أنكرت منه شيئاً .

وكنت شابّاً ، ولم تكن لي مداخلة بالملوك ، وكنت أجيئه والناس محجوبون فأدخل على الرسم ، وهو خالٍ .

فاتفق أنّي بتّ ليلة موكب عند أبيه ، أبي محمد ، فبكّرت من غدٍ لأراه ، ثم أنصرف .

فجئت ، والقاضي أبو عمر ، وابنه أبو الحسين ، والقاضي ابن أبي الشوارب[٢] ، وابنه[٣] ، والقاضي ابن البهلول ، والناس من الأشراف ، والكتّاب ، ووجوه القوّاد ، وأهل الحضرة ، محجوبون ، وهم جلوس في الرواق ، والحاجب واقف على باب السلّم ، وكان ينفذ إلى حجرة خلوة له ، هو فيها .

---

١ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد : وزر للمقتدر سنة ٣١٨ بعد عزل ابن مقلة ، واستوزره الراضي في السنة ٣٢٤ ، فعجز عن إدارة المملكة لتغلب أصحاب السيوف عليها ، فاستوزر الراضي بدلا منه أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ثم عزله وأعاد سليمان بن الحسن للوزارة ، وتوفي الراضي وهو وزيره ، ولما ولي المتقي أقره على الوزارة أربعة أشهر ثم عزله . توفي سليمان في السنة ٣٣٢ (الفخري ٢٧١ و ٢٨١ ، والمنتظم ٦/٣٣٨) .

٢ القاضي ابن أبي الشوارب : الحسن بن عبد الله الأموي . راجع ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب ٧ / ٣٤٠ .

٣ القاضي ابن أبي الشوارب : محمد بن الحسن بن عبد الله بن علي الأموي . راجع ترجمته في المنتظم ٦ / ٣٨٩ .

فلما رآني الحاجب ، أمر فرفع لي الستر ، فدخلت إليه ، وهو يتبخّر وعليه سواده ، يريد الركوب إلى المقتدر ، وليس بين يديه أحَدٌ .

فطاولني في الحديث ، إلى أن فرَغَ ، وشدّ سيفه ومنطقته ، وخرَجَ ، وأنا خَلْفَهُ .

فتلقّاه الناس بالسلام ، وتقبيل اليد ، فخرجوا خلفه ، فاختلطت بهم . فإذا بإنسان يجذب طيلساني ، فالتفتّ ، فإذا هو فلان ، شيخ من شيوخ الكتّاب ، أسماه أبو الحسين وأُنسيته أنا ، وذكر أنّه كان صديقاً لأبي ، ولأبيه من قبله .

فقال لي : يا أبا الحسين ، فداك عمُّك ، في بيتك خمسون ألف دينار ؟

فقلت : لا والله .

قال : فتقوى على خمسين ألف مقرعة وصفعة ؟

قلت : لا والله [٨١ ب] .

قال : فلمَ تدخل إلى الوزير ، وفلان ، وفلان — وعدّد من حضر — محجوبون ، يتمنّون الوصول ، ولا يقدرون ، ثم لا ترضى ، حتى تطيل عنده ، وتخرج في يوم موكب ، وراءه ، وليس معه غيرك ، ولا خمسون ألف دينار معدّة عندك ، تؤدّيها إذا نكب هذا ، فأخذت بتبعة الاختصاص به ، وأنت لا تقوى على ما يولّد هذا .

فقلت : يا عمّ لم أعلم ، وأنا رجل فقيه ، ومن أولاد التجّار ، ولا عادة لي بخدمة هؤلاء .

فقال : يا بنيّ لا تعاود ، فإن هذا يولّد لك اسماً ، ويجرّ عليك تبعة .

قال : فتجنّبت بعد ذلك الدخول إلى سليمان في أوقات مجالسه العامّة ، وأيّام المواكب خاصّة .

١٣٤

أبو يوسف القاضي واللوزينج بالفستق المقشور

حدّثني أبي ، قال : بلغني من غير واحد :

إنّ أبا يوسف[١] صحب أبا حنيفة[٢] ، لتعلّم العلم ، على فقر شديد ، فكان ينقطع بملازمته عن طلب المعاش ، فيعود إلى منزل مختلّ ، وأمر قلّ .

فطال ذلك ، وكانت امرأته[٣] تحتال له ما يقتاته يوماً بيوم .

فلما طال ذلك عليها ، خرج إلى المجلس ، وأقام فيه يومه ، وعاد ليلاً فطلب ما يأكل ، فجاءته بغضارة مغطّاة ، فكشفها ، فإذا فيها دفاتر .

فقال : ما هذا ؟ قالت : هذا ما أنت مشغول به نهارك أجمع ، فكُلْ منه ليلاً ، قال : فبكى [٧٣ ط] ، وبات جائعاً ، وتأخّر من غدٍ عن المجلس ، حتى احتال ما أكلوه .

فلما جاء إلى أبي حنيفة ، سأله عن سبب تأخّره ، فصدقه .

فقال : ألا عرّفتني ، فكنت أمدّك ؟ ولا يجب أن تغتمّ ، فإنّه إن طال عمرك فستأكل بالفقه ، اللوزينج بالفستق المقشور .

قال أبو يوسف : فلمّا خدمت الرشيد ، واختصصْتُ به ، قُدّمتْ بحضرته يوماً جامة لوزينج بفستق ، فحين أكلت منها ، بكيت ، وذكرت أبا حنيفة .

فسألني الرشيد عن السبب في ذلك ، فأخبرته .

---

١ القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري (١١٣ – ١٨٢) : درس على أبي حنيفة ، وكان فقيهاً حافظاً ، راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٥ / ٤٢١ .

٢ الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ – ١٥٠) : كان عالماً ، عاملا ، زاهداً ، عابداً ، راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٥ / ٣٩ .

٣ الذي ورد في غير هذا الكتاب أنها أمه .

١٣٥

سبب اتصال أبي يوسف القاضي بالرشيد

وحدّثني أبي ، قال :

كان سبب اتّصاله[١] بالرشيد[٢] إنّه قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة ، فحنث بعض القوّاد في يمين ، فطلب فقيهاً يستفتيه فيها ، فجيء بأبي يوسف ، فأفتاه أنّه لم يحنث ، فوهب له دنانير ، وأخذ له داراً بالقرب منه ، واتّصل به .

فدخل القائد يوماً إلى الرشيد ، فوجده مغموماً ، فسأله عن سبب غمّه ، فقال : شيء من أمر الدين قد حزبني[٣] ، فاطلب لي فقيهاً أستفتيه ، فجاءه بأبي يوسف .

قال أبو يوسف : فلما دخلت إلى ممرّ بين الدور ، رأيت فتى حسناً ، أثر الملك عليه ، وهو في حجرة في الممرّ محبوس ، فأومأ إليّ بإصبعه مستغيثاً ، فلم أفهم عنه إرادته ، وأدخلت إلى الرشيد ، فلما مثلت بين يديه ، سلّمتُ ، ووقفتُ .

فقال لي : ما اسمك ؟

قلت [٨٢ ب] : يعقوب . أصلح الله أمير المؤمنين .

قال : ما تقول في إمام شاهد رجلاً يزني ، هل يحدّه ؟

قلت : لا يجب ذلك .

---

١ يعني أبا يوسف القاضي .

٢ الخليفة هارون الرشيد : أشهر من أن يعرف ، أشهر الخلفاء العباسيين ، وكان يتشبه في أفعاله بالمنصور ، وكان شديداً على العلويين ، أعطى يحيى بن عبد الله أماناً بخطه ثم قتله ، وحبس الإمام موسى الكاظم ثم قتله ، وأظهر أنه مات حتف أنفه ، ونكب البرامكة النكبة الشهيرة ، واستأصل شأفتهم ، جبى الرشيد معظم الدنيا . وتوفي بطوس في السنة ١٩٣ (الفخري ١٩٣) .

٣ الحزب : الغم .

قال : فحين قلتها سجد الرشيد ، فوقع لي إنّه قد رأى بعض أولاده الذكور على ذلك ، وإنّ الذي أشار إليّ بالاستغاثة ، هو الابن الزاني .

قال : ثم رفع رأسه ، فقال : ومن أين قلت هذا ؟

قلت : لأنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم ، قال : ادرؤوا الحدود بالشبهات ، وهذه شبهة يسقط الحد معها .

فقال : وأي شبهة مع المعاينة ؟

قلت : ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى ، والحكم في الحدود لا يكون بالعلم .

قال : ولِمَ ؟

قلت : لأن الحدّ حقّ الله تعالى ، والإمام مأمور بإقامة الحدّ ، فكأنّه قد صار حقاً له ، وليس لأحد أخذ حقّه بعلمه ، ولا تناوله بيده ، وقد أجمع المسلمون على وقوع الحدّ بالإقرار والبيّنة ، ولم يجمعوا على إيقاعه بالعلم .

قال : فسجد مرّة أخرى ، وأمر لي بمال جليل ، ورزق في الفقهاء في كل شهر ، وأن ألزم الدار .

قال : فما خرجت ، حتى جاءتني هديّة الفتى ، وهديّة أمّه ، وأسبابه ، فحصل لي من ذلك ، ما صار أصلاً للنعمة ، وانضاف رزق الخليفة ، إلى ما كان يجريه عليّ ذلك القائد .

ولزمت الدار ، فكان هذا الخادم يستفتيني ، وهذا يشاورني ، فأفتي وأشير ، فصارت لي مَكنَة فيهم ، وحرمة بهم ، وصلاتهم تصل إليّ ، وحالي تقوى .

ثم استدعاني الخليفة ، وطاولني ، واستفتاني في خواصّ أمره ، وأنِسَ بي .

فلم تزل حالي تقوى معه ، حتى قلّدني قضاء القضاة .

١٣٦

أنس الرشيد بأبي يوسف القاضي

قال لي أبي [٧٤ ط] : بلغني أنّ أبا يوسف، لما مات، خلّف في جملة، كسوته ، مائتي[1] سراويل خزّ ، دون غيرها من أصناف السراويلات . وأنّ جميع سراويلاته كانت مختصّة كلّ سراويل بتكّة أرمنيّ تساوي ديناراً،

وبلغ من محلّه عنده[2] ، أن طلبه الرشيد يوماً ، فجاء وعليه بردة، أنساً به ، فحين رآه الرشيد ، قال لمن بحضرته :

جاءت به معتجراً بِبُرْدِهِ   سفواء[3] ترمي بنسيج وحده

---

١ في ط : مائة .

٢ أي عند الرشيد .

٣ ناقة سفواء : الناقة قليلة شعر الناصية .

١٣٧

كيف نصب أبو جعفر بن البهلول قاضياً

حدّثني القاضي أبو الحسن عليّ بن أبي طالب بن القاضي أبي جعفر بن البهلول [١] قال : حدّثني أبي [٢] ، عن أبيه ، وحدّثني أيضاً ، أبو الحسن أحمد ابن يوسف الأزرق [٣] عن أبي جعفر بن البهلول القاضي [٤] ، قال :

لما استقرّت الأمور للناصر لدين الله [٥] ، بعد فراغه من أمر الزنج [٦] ، نظر في البلدان ومصالحها ، وأمر بارتياد قضاة من أهل البلدان لها .

فسأل عن الأنبار ، ومن فيها يصلح لتقلّد القضاء ، فأُسميت له .

وكان عارفاً بأبي ، إسحاق بن البهلول ، حين استقدمه المتوكّل إلى سرّ من رأى [٨٣ ب] حتّى حدّثه ، ولم أكن تقلّدت شيئاً من ذلك .

قال : فأمر بإحضاري وتقليدي .

---

١ أبو الحسن التنوخي : علي بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول : انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٦ من النشوار .

٢ أبو طالب التنوخي : محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول : جميل الأمر ، حسن المذهب ، شديد التصون ، وكان يخلف والده القاضي أبا جعفر ، إذا اعتل ، على القضاء بمدينة المنصور ، وقد بقي أبو جعفر قاضياً بمدينة المنصور منذ السنة ٢٩٦ حتّى السنة ٣١٦ ، توفي أبو طالب سنة ٣٤٨ (المنتظم ٦ / ٣٩٢) .

٣ أبو الحسن بن الأزرق : أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول ، الأزرق ، التنوخي الأنباري الكاتب ، سبقت ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٤ من النشوار .

٤ أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي : سبقت ترجمته في القصة ١ / ١٦ من النشوار .

٥ الناصر لدين الله : الموفق طلحة أبو أحمد بن المتوكل على الله ، سبقت ترجمته في القصة ١ / ٧٣ من النشوار .

٦ صاحب الزنج : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ٧٨ من النشوار .

فتقدّم إسماعيل بن بلبل ، إلى إسماعيل بن إسحاق القاضي [1] في ذلك ، وكاتبني بالحضور ، فحضرت ، فعرّفني الصورة ، وحملني إلى إسماعيل .

فقلت لهما : أنا في كفاية وغَناء ، ولا حاجة بي إلى تقلّد القضاء . فأمسكا عنّي ، فعدت إلى منزلي ببغداد لأصلح أمري وأرجع .

فجاءني جعفر بن إبراهيم الحصينيّ الأنباريّ ، وكان من عقلاء العجم [2] بالأنبار ، ولي صديقاً ، فقال لي : لأيّ شيء استدعيت ؟ فحدّثته .

فقال : اتّق الله في نفسك ، إنّ الذي جرى بينك وبينهما خافٍ عن الناس ، وإنّك تعود إلى بلدك ، فيقول أعداؤك : طُلِبَ للقضاء ، فلما شوهد ، وجُدَ لا يصلح ، فردّ .

فقلت : ما أصنع ، وقد قلت ما قلت ؟

قال : ترجع إلى إسماعيل فتصدقه عما جرى بيننا .

قال : فباكرت إسماعيل ، فحين رآني ، قال : هذا وجه غير الوجه الأمسيّ .

قلت : هو كذلك .

قال : هَيْ [3] .

قلت : كان كذا وكذا ، فأخبرته بما جرى بيني وبين جعفر بن إبراهيم .

فقال : نصحك والله [4] هذا الصديق ، والأمر على ما قاله ، قم بنا إلى الوزير .

---

١ أبو إسحاق الأزدي : إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد . سبقت ترجمته في القصة ١ / ٣٣ من النشوار .

٢ في ظ : من عقلاء الناس .

٣ تقال عند الاستيضاح ، وتستعمل الآن في العراق بلفظ : ها .

٤ في ظ : قال ، فضحك وقال صدقك والله .

قال : فحملني إليه ، فلما رآنا إسماعيل تبسّم ، وقال : كيف عاد أبو جعفر ؟

قال : فقصّ عليه إسماعيل القاضي الخبر .

فقال : جزى الله هذا الصديق عنك خيراً ، فقد أشار عليك بالرأي الصحيح ، اكتبوا عهده .

قال : فكتب عهدي عن الناصر ، على الأنبار[١] ، وهيت[٢] وعانات[٣] ، والرحبة[٤] ، وقرقيسيا[٥] ، وأعمال ذلك ، وعدت إلى بلدي .

قلت أنا : ولم يزل محلّ أبي جعفر ينمى ويزيد ، حتى قُلّد مدينة أبي جعفر المنصور[٦] عند صرف أبي عمر في قصّة ابن المعتز[٧] ، فظهر من فضله ما اشتهر .

---

١ الأنبار : مدينة على الفرات غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ ، بناها سابور ذو الأكتاف . وجدّدها أبو العباس السفاح ، وأقام فيها حتى مات ، وسميت الأنبار لأنها موضع أنابير الحنطة والشعير (معجم البلدان ١ / ٣٦٧) .

٢ هيت : مدينة على الفرات فوق الأنبار قرب عانة ، مجاورة للبرية ، ذات نخل كثير وخيرات واسعة (معجم البلدان ٤ / ٩٩٧) .

٣ عانات : (راجع معجم البلدان ٣ / ٥٩٤) .

٤ الرحبة : قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة ، وقد خربت الآن بكثرة طروق العرب ، لأنها في ضفة البرية ليس بعدها عمارة (معجم البلدان ٢/ ٧٦٢) ، أقول : هي الآن عامرة بمزارعين يزرعون الخضر والبطيخ الأحمر المعروف ببغداد بالرقي، ويقيمون في قلعة قديمة قد اتخذوا فيها مساكن لهم .

٥ قرقيسيا : بلد على الخابور قرب رحبة مالك بن طوق، وعندها مصب الخابور في الفرات (معجم البلدان ٤ / ٦٥) .

٦ مدينة المنصور : هي الزوراء أو المدينة المدورة التي بناها المنصور واتخذها قاعدة ملكه وتقع في الجانب الغربي من دجلة ، (معجم البلدان ٢ / ٩٥٤) .

٧ قصة ابن المعتز : انظر حاشية القصة ١ / ٧ من النشوار .

١٣٨

ارتفاع محل القاضي ابن البهلول

في دولة المقتدر

وكان[١] عند المقتدر ووزرائه ، بصورة الناسك الزاهد ، من ذلك ما حدّثني به أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول ، قال : حدّثني أبو علي أحمد بن جعفر بن إبراهيم الحصيني [٧٥ ط] الأنباريّ الكاتب ، قال :

مات واثق[٢] مولى المعتضد ، فأوصى أن يصلّي عليه أبو الحسن عليّ بن عيسى[٣] ، فحضر الحقّ[٤] وجوه الدولة ، من القوّاد ، والكتّاب ، والأشراف ، والقضاة ، وغيرهم .

فكان فيمن حضر ، القاضيان أبو جعفر[٥] ، وأبو عمر[٦] ، وكنت حاضراً .

قال : فوضعت الجنازة ، وقيل [لأبي الحسن][٧] عليّ بن عيسى تقدّم ، فجاء ليتقدّم ، فوقعت عينه على أبي جعفر ، فجذبه ، وقدّمه ، وتأخّر هو .

---

١ يعني أبا جعفر بن البهلول القاضي .

٢ في ط : رايق .

٣ الوزير أبو الحسن علي بن عيسى – سبقت ترجمته في القصة ١ / ١٤ من النشوار .

٤ في ب : الحلق ، والتصحيح من ط ، والحق هو الموضع الذي يجتمع فيه الناس لتشييع الجنازة ، انظر حاشية تاريخ بغداد للخطيب (٤ / ٣٢) .

٥ القاضي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري – سبقت ترجمته في القصة ١ / ١٦ من النشوار .

٦ القاضي أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي – سبقت ترجمته في القصة ١ / ١٠ من النشوار .

٧ الزيادة من ط .

قال : فلمّا انقضت الصلاة ، طلبت أبا عمر ، لأنظر كيف هو ، فوجدته قد اسودّ وَجْهُهُ غمّاً ، بتقديمهم أبا جعفر عليه .

فجئت إلى أبي جعفر [٨٤ ب] ، وهنّأته بذلك ، وأخبرته بخبر أبي عمر ، فاستسرّ[1] بذلك ، وسرّ بعلمي أنا بالأمر ، ومشاهدتي له ، لأجل البلديّة[2].

قال لي أبو الحسن : هذا ، مع نفرة كانت بينهما[3] ، ولكن أبا الحسن لفضله ، لم يكن يدفع أهل الفضل عنه ، وإن لم يكن ما بينه وبينهم مستقيماً .

---

١ في ط : فاستبشر .

٢ يعني كونهما من بلد واحد وهو الأنبار .

٣ يعني بين أبي الحسن علي بن عيسى الوزير ، وبين القاضي أبي جعفر بن البهلول ، أقول : وللقاضي أبي جعفر بن البهلول موقف من مواقف الرجولة ، دافع فيه عن الوزير علي بن عيسى لما اتهم ظلماً بممالأته القرامطة (راجع القصة ٤/١٠ من النشوار) .

١٣٩

الحسين بن القاسم بن عبيد الله

يتصرّف تصرّفاً يكون أوكد الأسباب في عزله عن الوزارة

حدّثني أبو الحسن عليّ بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول ، قال :

كان قد ارتكب الحسين بن القاسم بن عبيد الله[١] دين عظيم ، عشرات ألوف دنانير ، فدعاه غرماؤه إلى القاضي ، فخافهم ، واستتر .

وجاء إلى جدّي فشاوره في أمره ، وقال : إن بعت ملكي ، كان بإزاء ديني ، وحصلت فقيراً ، وقد رضيت أن أجوع ، وأعطي غلّتي بأسرها الغرماء ، وليس يقنعون بذلك ، فكيف أعمل ؟ يحتال لي القاضي في ذلك !

وكان منزل الحسين في الجانب الشرقيّ ، والحكم فيه إلى أبي عمر .

فقال له جدّي : إنّ من مذهب مالك ، الحجر على الرجال إذا بان سفههم في الأموال ، وإن عُنِيَ بك أبو عمر ، جعل استدانتك من غير حاجة كانت بك إليها ، وإنّما بذّرت المال ، وتخرّقت في النفقة ، دليلاً على سفهك في مالك .

---

١ الوزير الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب : وزير المقتدر ، وأبوه القاسم وزير المعتضد والمكتفي ، لم يكن مشكور السيرة في وزارته ، ولم تطل مدته حتى عجز واختلت الأحوال عليه ، ولما ظهر للمقتدر نقصه وعجزه ، قبض عليه وصادره ، فلما تولى ابن مقلة الوزارة تقدم بقتله ، وأرسل إليه من قطع رأسه ، وحمله إلى دار الخلافة في سفط ، وجعل السفط في الخزانة ، على عادة لهم بمثل ذلك ، وحدث أنه لما وقعت الفتنة ببغداد في أيام المتقي ، أخرج من الخزانة سفط فيه يد مقطوعة ، ورأس مقطوع ، وعلى اليد رقعة ملصقة عليها ، مكتوب فيها : هذه اليد يد أبي علي بن مقلة ، وهذا الرأس رأس الحسين بن القاسم ، وهذه اليد هي التي وقعت بقطع هذا الرأس (الفخري ٢٧٤) راجع أخبار الحسين بن القاسم في تجارب الأمم ١ / ٢٠٤ — ٢٦٦ .

ولو صار أن يسمع في ذلك شهادة من يعرّفه عن حالك ، فيثبت حينئذ السَفَهُ عنده ، فيحجر عليك ، ويمنعك من التصرّف في مالك ، ويدخل فيه أيدي أمنائه ، ويحول بينك وبينه . فإذا أثبت عنده الغرماء عليك الدين ، أمرهم ، يعني أمناءه ، بأن يصرفوا الغلاّت إليهم ، قضاء للدين ، وبقيت عليك الأصول .

قال : فطرح الحسين نفسه على أبي عمر ، ففعل به ذلك ، فظهر وصَلحتْ حالُهُ ، وجرى أمره مع الغرماء . على ذلك .

قال : ولما ولي الحسين الوزارة ، وفسدَ عليه مؤنس [1] ، فسعى في صرفِهِ ، وقال للمقتدر : يا أمير المؤمنين ، هذا لم يكن موضعاً لحفظ ماله ، حتى حجر عليه القضاة لسَفَهِهِ وتبذيره فيه ، كيف يحمد حتى يرُدَّ إليه مال الدنيا وتدبيرها ، وسياسة العالم ، وهو عجز عن تدبير داره ونفقته ؟

وكان ذلك أوكد الأسباب في صرفه .

---

١ مؤنس المظفر أمير الجيوش : كان إليه أمر الدولة في زمن المقتدر ، وهو الذي قتل ابن المعتز لما قبض عليه بعد خلافته القصيرة الأمد سنة ٢٩٦ ، وهو الذي تولى الفداء بين المسلمين والروم سنة ٢٩٧ ، ولما حصلت وقعة الهبير (انظر حاشية القصة ١ / ١٠٨ من النشوار) ، كتب إليه بالعودة ، ولما عاد إلى بغداد اتهم الخليفة المقتدر بأنه قد دبر عليه ، فخلعه ونصب أخاه القاهر خليفة بدلا منه ، وذلك سنة ٣١٧ ، وفي اليوم الثاني هاج الجند وطالبوا بأرزاقهم ، ثم خلعوا القاهر وأعادوا المقتدر للخلافة ، وفي السنة ٣٢٠ حارب المقتدر وقتله وولى القاهر ، ثم إن القاهر قبض على مؤنس بحيلة من الحيل ، وقتله في السنة ٣٢١ (الكامل لابن الأثير ٨ / ١٥ – ٢٧٩ وتجارب الأمم ١ / ٦ – ٣٩٦) .

١٤٠

عدد الشهود الذين قبلهم القاضي التيميّ بالبصرة

حدّثني أبو الحسين محمد بن عبيد الله المعروف بابن نصرويه ، قال : قَبل التيميّ، القاضي كان قديماً عندنا بالبصرة ، ستة وثلاثين ألف شاهد ، في مدّة ولايته .

فقلت له : هذا عظيم [٧٦ ط] ، فكيف كان ذلك ؟

فقال لي : كان القضاة على مذهب أبي حنيفة ، وغيره من الفقهاء ، في أنّ الناس كلّهم عدول ، على الشرائط التي تعرفها ، وكان يشهد الناس عند التيميّ بأسرهم ، فإذا سمع شهاداتهم ، سأل عنهم ، فيزكّون ، فيقبلهم ، وكان الناس يشهد بعضهم لبعض ، من الجيران ، وأهل [٨٥ ب] الأسواق ، ولا نعرف ترتيب قوم مخصوصين للشهادة ، إلى أن ولي إسماعيل [١] .

قال : وكان مبلغ من قبلَهُ التيميّ ، ستة وثلاثون ألف شاهد ، منهم عشرون ألفاً لم يشهدوا عنده إلاّ شهادة واحدة .

---

١ أبو إسحاق الأزدي القاضي : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ٣٣ من النشوار .

١٤١

أسد بن جهور وما فيه من سوداء ونسيان

أخبرني أبو القاسم الجهنيّ ، قال :

كانت في أسد بن جهور [١] سوداء ونسيان .

فحضرته يوماً ، وهو في دار بعض الوزراء ، وقد جلس يتحدّث ، ومعنا بعض القضاة ، وكان اليوم حارّاً ، فوضعنا عمائمنا ، ووضع القاضي قلنسوته .

فطلب الوزير أسداً ، فقام مستعجلاً ، فأخذ قلنسوة القاضي ، فلبسها ودخل على الوزير .

فصاح القاضي به ، وجماعتنا ، فما سمع ، حتى دخل كذلك على الوزير ، فضحك منه .

[وخجل أسد وعاد إلينا راجعاً عنه] [٢] .

---

١ أسد بن جهور من كبار العمال في الدولة العباسية ، والقصص التي وردت عنه في النشوار تشير إلى أنه كان كثير السهو والنسيان (القصص ١/١٤١ و ٢/١٤٥ و ٢/١٤٦ من النشوار) وأنه كان بخيلا على الطعام (القصص ٢/٩٢ و ٢/١٤٧ من النشوار) ، وقد هجاه علي بن بسام بأبيات خصّه فيها وعمّ غيره من الكتاب (مروج الذهب ٢/٥٤٦) .

٢ الزيادة من الهفوات النادرة ١٥١ .

١٤٢

المتوكل يختار فتى لمنادمته

حدّثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان ، قال : حدّثني أبو جعفر بن حمدون ، قال : حدّثني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون ، قال :

كنت مع أبي [١] ، وأنا صبيّ ، بسرّ من رأى ، وهو ينادم المتوكّل على الله [٢] ، فخرج إلى الصيد ، وهو معه ، وأنا مع أبي .

فانفرد أبي في يوم من الأيام ، يبول ، وأنا معه ، فأعطاني دابّته ،

---

١ هو أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم الملقب حمدون بن إسماعيل بن داود (٢٣٧ – ٣٠٩) : نادم المتوكل واختص به ، وغضب عليه مرة ونفاه وأمر بقطع أذنه ، فقطعت ، ثم أعاده إلى منادمته ، ونادم المعتمد من بعده (معجم الأدباء ١ / ٣٦٥) .

٢ المتوكل على الله جعفر بن المعتصم : استخلف بعد موت أخيه الواثق ، وكان متسرعاً نزقاً ، شديد البغض للإمام علي وأهل بيته ، وكان يقصد من يتولى علياً وأهله ، بالقتل والمصادرة ، وأمر في السنة ٢٣٦ بهدم قبر الحسين بكربلاء ، وإزالة ما حوله من المنازل والدور ، وأن يحرث موضع قبر الحسين ويبذر ويجري عليه الماء ، ومنع الناس من زيارته ، وكان نديمه عبادة المخنث يرقص بين يديه ، والمغنون يغنون : أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين ؛ يعني علياً عليه السلام (الكامل ٧ / ٥٥) وكانت تصرفاته السبب الأول في خراب المملكة ، فقد بلغه أن محدثاً روى حديثاً في مناقب علي وفاطمة والحسن والحسين فأمر بأن يضرب ألف سوط (تاريخ بغداد للخطيب ١٣ / ٢٨٧) وقتل ابن السكيت إمام اللغة والأدب لأنه أثنى على الحسن والحسين (الكامل ٧ / ٩١) ، وغضب على أحد عماله فأمر بأن يصفع في كل يوم ، فأحصى ما صفع فكان ستة آلاف صفعة (مروج الذهب ٢/٤٠٣) وغضب على قاضي القضاة بمصر فأمر بأن تحلق لحيته ، وأن يطاف به على حمار ، وأن يضرب في كل يوم عشرين سوطاً (تاريخ الخلفاء للسيوطي٣٤٧) . وغضب على نديمه أحمد بن إبراهيم بن حمدون فنفاه إلى تكريت ثم بعث إليه من قطع أذنيه (معجم الأدباء ١/٣٦٥) . وكان قد غضب على نديمه إبراهيم ، والد أحمد هذا ، إذ اتهمه بأنه حزين لموت الواثق فأمر بنفيه إلى السند وأن يضرب ثلثمائة سوط ، ولاطف أحد ندمائه ذات يوم فأمر بأن تدخل في استه فجلة =

فأمسكتها [وحوّلت وجهي عنه][1] ، وجلس يبول ، إذ جاء المتوكل يحرّك وحده ، ويقصده ، وقد انفرد عن الجيش ، ليولع به .

فلما قرب منه ، قال له : من هذا الصبيّ الذي يمسك دابتك ؟

قال : عبد أمير المؤمنين ، ابني .

قال : فلم قد حوّل وجهه عنك ؟

[قال : فعنّ لأبي أن يتنادر ، ولم يراع كون النادرة عليّ وعلى أمّي][1] ، فقال : حوّل وجهه عنّي استحياء من كبر أيري .

قال : فقلت أنا للخليفة : والله يا أمير المؤمنين ، لو رأيت أير جدّي ، لعلمت أنّ أيره عنده زرّ .

فضحك المتوكل ، وقال : يا أحمد ، ابنك والله أطيب منك ، فأحضره معك للندام[2] .

فحضرت منذ ذلك اليوم ، وصرت في الندماء .

= (الهفوات النادرة رقم ٢١٨ ص ٢٣٠) وأنفق على ثلاثة قصور بناها ، وهي الهاروني ، والجوسق ، والجعفري ، مائة ألف ألف درهم (مائة مليون درهم) . (مروج الذهب ٢/٤١٨) . وكان المتوكل قد عقد البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد وهم المنتصر ثم المعتز ثم المؤيد (الكامل ٧ / ٤٩) ثم بدا له من بعد ذلك ، بتحريض من أم المعتز ، أن يقدم ولدها على أخيه (خلاصة الذهب المسبوك ٢٢٦) ، وأعانه الفتح بن خاقان وزيره على ذلك ، فأخذا يمهدان للأمر بتقديم المعتز للصلاة بالناس في يوم العيد (الكامل ٧/٩٥) وأخذ المتوكل يعبث بولده المنتصر ويأمر الحاشية بإهانته (الكامل ٧/٩٧، فوات الوفيات ٢/٢٣٠) كما حاول التعرض لضياع بعض القواد الأتراك (الكامل ٧/٩٥) ، فتظافر عليه المتآمرون ، وقتلوه في السنة ٢٤٧، ومدة خلافته خمس عشرة سنة إلا قليلا ، وكان عمره نحو الأربعين سنة .

١ الزيادة من ط .

٢ في ط : المنادمة ، والمعنى واحد .

١٤٣

المعتضد يلاعب ابن حمدون بالنرد

وحدّثني [١] ، وقال : حدّثني أبو جعفر [٢] ، قال : حدّثني أبو محمد [٣] ، قال :

كنت قد حلفت ، وعاهدت الله تعالى ، أن لا أعتقد مالاً من القمار ، وأنّه لا يقع في يدي شيء منه ، إلاّ صرفته في ثمن شمع يحرق ، أو نبيذ يشرب ، أو جَذْرِ مغنيّة تُسمع .

قال : فجلست يوماً ألاعب المعتضد [٤] بالنرد ، فقمرته سبعين ألف درهم .

فنهض المعتضد يصلّي العصر ، من قبل أن يأمر لي بها ، وكان له ركوع طويل قبلها ، فتشاغل به .

وصلّيت أنا العصر فقط ، فجلست أفكّر ، وأندم على ما حلفت عليه ، وقلت : كم عساي أشتري من هذه السبعين ألفاً ، شمعاً ، وشراباً ، وكم أجذر ؟ وما كانت هذه العجلة في اليمين ، ولو لم أكن حلفت ، كنت الآن [٨٦ ب] قد اشتريت بها ضيعة .

قال : وكانت اليمين بالطلاق ، والعتاق ، وصدقة الملك ، والضيعة . وأغرقت في الفكر ، والمعتضد يراني ، وأنا لا أعلم .

فلما سلّم من [٧٧ ط] الركوع ، سبّح ، وقال لي : يا أبا عبد الله في أيّ شيء فكّرت ؟

---

١ يعني أبا محمد يحيى بن محمد بن سليمان .

٢ يعني أبا جعفر بن حمدون .

٣ يعني عبد الله بن أحمد بن حمدون .

٤ الخليفة المعتضد : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ٧٣ من النشوار .

فقلت : خيراً يا مولاي .

فقال : بحياتي أصدقني ، فصدَقْتُهُ .

فقال : وعندك أنّي أُريد أن أعطيك سبعين ألفاً في القمار ؟

فقلت له : أفتضغو[1] ؟

قال : نعم ، ضغوت ، قم ولا تفكّر في هذا .

قال : ودخل في صلاة العصر الفرض .

قال : فلحقني غمّ أعظم من الأوّل ، وفكر أشدّ منه ، وندمٌ على فوت المال ، وقلت لِمَ صدقْتُهُ ، وأخذت ألوم نفسي .

قال : فلما فرغ من صلاته ، وجلس ، قال لي : يا أبا عبد الله ، بحياتي أصدقني عن هذا الفكر الثاني .

فلم أجد بدّاً ، فصدقته .

فقال : أمّا القمار فقد فاتك ، لأنّي قد ضغوت بك ، ولكنّي أهب لك سبعين ألف درهم غير تلك ، من مالي ، فلا يكون عليّ إثم في دفعها ، ولا عليك إثم في أخذها ، وتخرج من يمينك ، فتأخذها وتشتري بها ضيعة حلالاً .

فقبّلت يده ، فأحضر المال ، وأعطانيه ، فأخذته ، واعتقدت به ضيعة .

---

[1] ضغا المقامر : راجع حاشية القصة ٧٩/١ من النشوار .

١٤٤

المعتضد يسدد دين نديمه مرتين

وحدّثني أبو محمد قال : حدّثني أبو جعفر ، قال : حدّثني أبو محمد ابن حمدون ، قال :

كان عليّ دين ثقيل ، مبلغه خمسة آلاف دينار ، ولم يكن لي وجه قضائه ، ولم تكن القضاة تُعْدي عليّ[١] ، لملازمتي المعتضد .

فجلس المعتضد للمظالم بنفسه مجالس عدة ، فتظلّم إليه منّي غرمائي .

فأحضرني ، وسألني عن الدين ، فأقررت به عنده للقوم .

ففكّر المعتضد في حبسي به لهم ، فيبطل أنسه بي ، ويتحدّث عنه إنّه بخل بقضاء دين نديم له ، ورأى أن يلتزم المال .

ثم قال للغرماء : المال عليّ ، ووقّع لهم [به][٢] في الحال .

فأخذوه ، وانصرفوا .

فلما خلونا ، قال : يا عاضّ كذا[٣] ، أيّ شيء كانت هذه المبادرة إلى الإقرار ، ما قدرت أن تجحد ، ولا أغرم أنا المال ، ولا تحبس أنت ؟

فقلت : لم أستحلّ ذلك ، وكيف أجحد قوماً في وجوههم ، وقد أعطوني أموالهم ؟

قال : ومضت على هذا مديدة ، فأضقت ، فاستدنت ألوفاً أُخرى دنانير ، أقلّ من تلك ، وطولبت بها ، فدافعت ، لأن دَخْلي لم يكن يفي بنفقتي ، وما أُقيم من المروءة ، أكثر من قدر حالي ، فما كان لي وجه أقضي منه الدين .

---

١ أعدى فلانا على فلان : نصره وأعانه وقواه . وهي هنا بمعنى الإحضار في مجلس الحكم .

٢ الزيادة من ط .

٣ الشتيمة بكاملها « يا عاض بظر أمه » .

وجلس المعتضد للمظالم ، فرفع إليه القوم ، فأحضرني ، وسألني ، فأقررت ، فوزن المال عنّي .

ثم قال للقاضي الذي يلي حضرته : خذ هذا ، فناد عليه في البلد بسفهه[1] في ماله ، وعُدْمِهِ[2] ، وإنّه لا يملك ما يباع عليه فيقضي به دينه ، وإنّ من عامله [٨٧ ب] بعد هذا فقد طوّح بماله .

فاضطربت من ذلك .

فقال : لا والله ، لا جعلت أنت غرماءك كل يوم ، حيلة على مالي .

قال : فما نفعني معه شيء ، حتى مضيت إلى دار القاضي وجلست معه في مجلسه ، وهو يشيّع في الناس ذلك ، ويجريه في وجهي ، ولم يناد عليّ .

---

١ السفه : خفة تعرض للإنسان فتحمله على العمل بخلاف طور العقل وموجب الشرع (التعريفات ٨١).

٢ العدم : الإملاق .

١٤٥

بين ابن المدبر وعريب

حدّثني أبو محمد ، قال : حدّثني أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي الكاتب ، قال : أخبرني من أثق به ، أنّ إبراهيم بن المدبّر [١] قال :

كنت أتعشّق عَرِيب [٢] ، دهراً طويلاً ، وأنفقت [٧٨ط] عليها مالاً جليلاً [٣] ،

فلما قصدني الزمان ، وتركت التصرّف ، ولزِمْتُ البيت ، كانت هي أيضاً ، قد أسنّت ، وتابت من الغناء ، وزَمِنَتْ .

فكنت جالساً يوماً ، إذ جاءني بوّابي ، وقال : طيّار عريب بالباب ، وهي فيه تستأذن .

فعجبت من ذلك ، وارتاح قلبي إليها ، فقمت حتّى نزلت إلى الشطّ ، فإذا هي جالسة في طيّارها .

فقلت : يا ستّي ، كيف كان هذا .

قالت : اشتقت إليك ، وطال العهد ، فأحببت أن أجدده ، وأشرب عندك اليوم .

---

١ إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر : أبو إسحاق الكاتب ، الأديب الفاضل ، الشاعر ، الجواد ، المترسّل ، صاحب النظم الرائق ، والنثر الفائق ، تولى الولايات الجليلة ، ثم وزر للمعتمد على الله لما خرج يريد مصر ، توفي في السنة ٢٧٩ وهو يتقلد للمعتضد ديوان الضياع (راجع معجم الأدباء ١ / ٢٩٢) .

٢ عريب : جارية الخليفة المأمون (١٨١ – ٢٧٧) شاعرة ، مغنية ، أديبة من أعلام العارفات بصنعة الغناء والضرب على العود ، توفيت بسامراء عن ست وتسعين سنة . (الأعلام ٥ / ١٩) .

٣ قال صاحب الأغاني : كانت بين إبراهيم بن المدبر وعريب حال مشهورة ، وكان يهواها وتهواه ، انظر أخبارهما في الأغاني ١٩ / ١١٤ ط . بولاق .

قلت : فاصعدي .

قالت : حتى تجيء محفّتي .

قال : فإذا بطيّار لطيف ، قد جاء وفيه المحفّة ، فأُجلسَتْ فيها ، وأصعد بها الخدم .

وتحدّثنا ساعة ، ثم قُدّم الطعام ، فأكلنا ، وأحضر النبيذ ، فشربتُ ، وسقيتها فشربَتْ ، وأمرت جواريها بالغناء ، وكان معها منهنّ عدّة ، مُحسنات ، طيّاب ، حذّاق ، فتغنّين أحسن غناء وأطيبه ، فطربت وسُرِرتُ .

وقد كنت ، قبل ذلك بأيّام ، عملتُ شعراً ، وأنا مولع في أكثر الأوقات بترديده ، وإنشاده ، وهو :

إن كان لَيْلُكَ نوماً لا انقضاء له ... فإن جفني لا يثنى لتغميض

كأنّ جنبي في الظلماء تَقرُضُهُ ... على الحشيّة أطراف المقاريض

أستودع الله من لا أستطيع له ... شكوى المحبّة إلاّ بالمعاريض

فقلت لها : يا ستّي ، إنّي قد عملت أبياتاً ، أشتهي أن تصنعي فيها لحناً .

فقالت : يا أبا إسحاق مع التوبة ؟

قلت لها : فاحتالي في ذلك كيف شئت .

فقالت : روِّ هاتين الصبيّتين الشعر ، وأومأت إلى بَدعة وتُحفة جاريتيها .

فحفّظتهما الشعر ، وفكّرتْ ساعة ، ووَقّعت بالمروحة على الأرض ، وزمزمت مع نفسها ، ثم قالت لهما : أصلحا الوتر الفلاني على الطريقة الفلانيّة ، [وأضربا بالإصبع الفلانية ، وافعلا كذا وكذا ، إلى أن فتح لهما

الضرب ، ثمّ قالت غنّياه على الطريقة الفلانيّة][1] ، واجعلا في الموضع الفلاني كذا .

فغنّتاه ، كأنّهما قد سمعتاه قبل ذلك دفعات ، وما خرج الغناء من بين شفتيها .

[فطربت][1] وقلت في نفسي : عريب تزورني [٨٨ ب] وتلحّن شعري ، وهي على كلّ حال مغنّية ، وتنصرف من عندي صفراً ؟ والله ، لا كان هذا ، ولو انّني متّ ضراً وجوعاً وفقراً .

فقمت إلى جواريّ ، وشرحت الحال لهنّ ، وقلت : عاونّني بما يحضركن ، فدفعت إليّ هذه خلخالاً ، وهذه سواراً ، وهذه عقد حبّ ، وهذه جان[2] ، إلى أن اجتمع لي من حليهنّ ما قيمته ألف دينار .

قال : واستدعيت زنبيلاً مشبّكاً ذهباً كان عندي ، فيه مائة مثقال ، فجعلت ذلك فيه ، وخرجت به إليها ، وقلت : يا سيدتي ، هذه طُرَف ، أحببت إتحاف هاتين الصبيّتين بها ، فأُحبّ أن تأمريهما بأخذها .

فامتنعت امتناعاً ضعيفاً ، وقالت : يا أبا إسحاق ، بيننا اليوم هذا ، أو فَضَل فَضْلٌ له ؟

فقلت : لا بدّ .

فقالت لهما : خذاه ، فأخذتاه ، وجلست إلى وقت المغرب .

ثمّ قامت لتنصرف ، فشيّعتها [٧٩ ط] إلى دجلة .

فلمّا أرادت الجلوس في طيّارها ، قالت : يا أبا إسحاق لي حاجة .

قلت : مري بأمرك .

---

١ الزيادة من ط .

٢ كذا في ب و ط ولم أستطع التوصل إلى معناها ، ولعلها اسم حلية من الحلي ، وقال الأب الكرملي إن جان محرفة عن جمان .

قالت : قد ابتاعت فلانة ، أمّ ولدك ، ضيعة يقال لها كذا ، وهي تجاورني ، وأنا شفيعتها [1]، وأريد أن تأمرها بأخذ المال منّي والنزول عنها لي .

فعلمت أنّها إنّما جاءت لهذا السبب .

فقلت : مكانك ، فتوقّفت في الطيّار .

فدخلت إلى أمّ ولدي وضمنت لها المال ، وأخذت العهدة بالضيعة ، فجئت بها إليها .

وقلت : قد وَهَبتها لك ، وضَمَنْتُ المال لها ، وفي غدٍ أتقدّم بالأشهاد لك في ظهر الكتاب . فخذيه معك عاجلاً .

فشكرتني ومضت .

وكان شراء الضيعة ألف دينار .

فقام عليّ يومها ، وتلحينها هذا الشعر بألفي دينار ومائة دينار .

---

١ حق الشفعة : حق شرعي ، يحق بموجبه للشريك أو الجار الملاصق أن يتملك العقار المبيع بما قام على المشتري .

١٤٦

الزجاج يدرس النحو على المبرّد

حدّثني أبو الحسن بن الأزرق قال : حدّثني أبو محمد بن دُرُسْتُويه النحويّ[١] قال : حدّثني الزجّاج[٢] ، قال :

كنت أخرط الزجاج ، فاشتهيت النحو ، فلزمت المبرّد[٣] لتعلّمه ، وكان لا يعلّم مجاناً ، ولا يعلّم بأجرة إلاّ على قدرها .

فقال لي : أيّ شيء صناعتك ؟

قلت : أخرط الزجاج ، وكسبي في كل يوم درهم ودانقان ، أو درهم ونصف ، وأريد أن تبالغ في تعليمي ، وأنا أعطيك في كلّ يوم درهماً ، وأشرط لك أنّي أعطيك إيّاه أبداً ، إلى أن يفرّق الموت بيننا ، استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه .

قال : فلَزِمْتُهُ ، وكنت أخدمه في أموره ، ومع ذاك أعطيه الدرهم ،

---

١ هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان النحوي (٢٥٨ – ٣٤٧) كان عالماً فاضلا له عدة تصانيف منها : تصحيح الفصيح يعرف بشرح فصيح ثعلب ، وكتاب الكتاب والإرشاد ، ومعاني الشعر ، وأخبار النحويين (الأعلام ٤ / ٢٠٤) .

٢ الزجاج : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي ، كان من أهل العلم والأدب صنف كتاباً في معاني القرآن وكتباً عدة أخرى ، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب ، وأخذ عنه أبو علي الفارسي ، واختص بصحبة الوزير القاسم بن عبيد الله لأنه كان مؤدبه ، ثم اتصل عن طريقه بالمعتضد ، وصار عظيم المنزلة عندهما ، وجعل له رزق في الندماء ، ورزق في الفقهاء ، ورزق في العلماء ، نحو ثلثمائة دينار . توفي في السنة ٣١١ وقد نيف على الثمانين (معجم الأدباء ١ / ٤٧) .

٣ المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي المعروف بالمبرد ، إمام العربية ببغداد في زمنه ، وأحد أئمة الأدب والأخبار ، صاحب كتاب الكامل ، ولد ببغداد سنة ٢١٠ وتوفي سنة ٢٨٥ (المنتظم ٦ / ٩) .

فنصحني في التعليم ، حتّى استقللت .

فجاءه كتاب من بني مارية[1] ، من الصراة ، يلتمسون معلّماً نحويّاً لأولادهم ، فقلت له : أسمني لهم ، فأسماني ، فخرجت إليهم ، فكنت أعلّمهم ، وأُنْفِذُ إليه في كل شهر ثلاثين درهماً ، وأتفقّده بعد ذلك بما أقدر عليه .

ومضت على ذلك مدّة ، فطلب منه عبيد الله بن سليمان ، مؤدّباً لابنه القاسم [٨٩ ب] .

فقال له : لا أعرف لك إلاّ رجلاً زجّاجاً بالصراة[2] مع بني مارية .

قال : فكتب إليهم عبيد الله فاستنزلهم عنّي ، فنزلوا له .

فأحضرني وأسلم القاسم إليّ ، فكان ذلك ، سبب غناي .

وكنت أعطي المبرّد ذلك الدرهم في كلّ يوم ، إلى أن مات ، ولا أخليه من التفقّد معه بحسب طاقتي .

---

١ في ب : مأزمة ، والتصحيح من ط . وبنو مارية أناس من أهل السواد ، يضرب بهم أهل السواد الأمثال ، لكبر نفوسهم (مروج الذهب ٢ / ٣٦٤) . راجع القصة ٣ / ١١٢ من النشوار .

٢ الصراة : نهر ببغداد يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة المحوّل التي تبعد فرسخاً واحداً عن بغداد ويسقي ضياع بادوريا ثم يصب في دجلة (معجم البلدان ٣ / ٣٧٧) أقول : سمعت الدكتور مصطفى جواد رحمه الله يقول : إن مصب الصراة هو رأس الجعيفر في المنطقة التي كان فيها بيت السيد محمد الصدر رحمه الله . فما كان غربي الصراة فهو قطربل ، وما كان شرقيها فهو بادوريا .

١٤٧

بيتان من نظم أبي محمد الشامي

كاتب الأمير سيف الدولة

حدّثني أبو محمد يحيى بن محمد ، وأبو الفرج الببغاء ، قالا : أنشدنا أبو محمّد عبد الله بن محمد الشامي ، كاتب سيف الدولة [لنفسه] [١] .

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما عفت منه آثار [٢] وسُدّتْ مشارعُ [٣]

فقلت إلى أن يرجع الماء جارياً ويعشِب جنباه تموت الضفادع

---

١ الزيادة من ط .

٢ في ب : آيات .

٣ المشرعة وجمعها مشارع ، والشريعة وجمعها شرائع : مورد الشاربة .

١٤٨

ليحي بن محمد في مواهب المغنية

وأنشدني أبو محمد[1] لنفسه في قينة ببغداد ، مشهورة بالإحسان ، تسمى مواهب[2] ، كانت جارية لأبي عليّ الحسن بن هارون الكاتب[3] ، باعها ، فاشتراها أبو الفضل العباس بن الحسين[4] الوزير [الآن][5] فلما تزوّج ابنة

---

١ البيتان اللذان ادعاهما أبو محمد لنفسه ، وردا في حكاية أبي القاسم البغدادي منسوبين لابن الحجاج ص ٨٩ .

٢ جاء في حكاية أبي القاسم البغدادي ص ٨٩ : أنه حضر مجلس قصف في واسط ، سقي فيه خمر بابل ، على غناء البلابل ، وعلى طبل ابنة العمي، وعود مواهب، التي قال فيها ابن الحجاج :

إن ست المغنيـات وستي مـواهب	
هي بدر الدجى المنيـ ـر وهن الكواكب	
وهي ريح الشمال طيـ ـباً وهن الجنائب	
وهي بحر الغنا الذي منه تنشو العجائب	
أنـا أفديك والفدا لك بالروح واجب	

٣ أبو علي الحسن بن هارون الكاتب : كان من كبار الكتاب في الدولة ، وكان يلي أحد الدواوين في عهد الوزير ابن مقلة (١ / ١٧ من النشوار) ثم استكتبه علي بن يلبق ، فلما قتله القاهر ، استتر الحسن ، وأخذ يتآمر على القاهر ، حتى إذا خلع القاهر وسمل ، ظهر الحسن وأصبح من مستشاري الخليفة الراضي والوزير عبد الرحمن بن عيسى ، ثم التجأ إلى الحمدانيين وأصعد مع المتقي إلى الموصل ، وتوسط بين المتقي وتوزون ، ثم خدم معز الدولة ، وخاصمه الوزير الصيمري فاعتزل العمل (تجارب الأمم ١ / ١٤٨ – ٢٩٤ و ٢ / ٢٦ – ٣٥١) .

٤ أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي : خدم الوزير المهلبي ، وصاهره ، وخلفه في الوزارة شريكاً لأبي الفرج بن فسانجس ، ثم انفرد بوزارة بختيار ، وعزل ، وصودر ، ومات سنة ٣٦٢ (تجارب الأمم ٢ /١٨١ – ٣١٣) .

٥ الزيادة من ط .

الوزير أبي محمد المهلبي [1] ، زينة بنت الحسن [2] ، دفعها إلى أبي محمد ، فأعتقها ، وزوّجها غلاماً من غلمانه يسمى غالب ، ويعرف بالشار زادي [3] ، وهي [٨٠ ط] الآن تخدم الأمير عزّ الدولة [4] بصناعتها :

تمام الحجّ أن تقف الركائب   على دار تحلّ بها مواهب
ولولا أن يقال صبا لقلنا   عجائب دون أيسرها عجائب

---

١ والد زينة الوزير أبو محمد المهلبي : انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ١ من النشوار .

٢ زينة ابنة الوزير أبي محمد المهلبي من محظيته تجنى ، توفيت قبل زوجها الوزير أبي الفضل العباس ابن الحسين الشيرازي بقليل (تجارب الأمم ٢ / ٣١٣) .

٣ في ط : الشابوراي .

٤ أبو منصور بختيار عز الدولة بن أبي الحسن أحمد معز الدولة بن بويه : ولد سنة ٣٣١ وخلف والده في حكم العراق سنة ٣٥٦ ، وقتل في المعركة بينه وبين عضد الدولة سنة ٣٦٧ (الأعلام ٢ / ١١) .

١٤٩

لأبي الفرج الببغاء

في الأمير سيف الدولة

أنشدني أبو الفرج الببغاء لنفسه ، قصيدة له في سيف الدولة : أوّلها :

سقت العهاد خَليطَ ذاك المعهد ريّا وحيّا البرقُ برقةَ ثهمد
في جحفل كالسيل أوكالليل أو كالقطر صافح موجَ بحرٍ مزبد
فكأنّما نقَشَتْ حوافِرُ خيله للناظرين أهلّة في الجلمد
وكأنّ طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الأثمد

ووصف فيها اللواء فقال :

ومملّك رِقّ القنا مستخرج باللطف أسرار الرياح الرّكّدِ
خرس يناجيها فتفهم نطقه وتجيبه أنفاسها بتصعّد
قلق كأنّ الجوّ ضاق به فما ينفكّ بين توثّب وتهدّد
وكأن همّة ربّه قالت له طُل وارْقَ في درج المعالي واصعد

[وفيها يقول][1] :

إنّ المحامد رتبة لا يبلغ الـ إنسان راحتها إذا لم يجهد
من لم تبلّغه السيادة[2] نفسه دون الأبوّة لم يكن بمسوّد

[يقول في آخرها يصف القصيدة][3] :

حُلَلٌ من المدح ارتضى لك لبسها شكري فأغرب مفرد في مفرد[4]
لما نَشرْتُ عليك فاخرَ وَشْيها قالت لك العلياءُ أبْلِ وجَدّدِ

---

١ الزيادة من ط .
٢ في ط : الرياسة .
٣ الزيادة من ب .
٤ في ط : فأعرب مفرد عن مفرد .

١٥٠

لأبي الفرج الببغاء يعزّي الأمير سيف الدولة بولده أبي المكارم

وأنشدني[١] لنفسه يعزّي سيف الدولة بابنه أبي المكارم[٢] من قصيدة أوّلها :

سرورنا بك فوق الهمّ بالنوَبِ[٣] ... فما يغالِبُنا حزن على طرب

إذا تجاوزت الأقدار عنك فهل ... من واجب الشكر أن يُرتاعَ من سبب

حتّامَ تخدعنا الدنيا بزخرفها ... ولا تحصّلنا منه على أرب

نسرّ منها بما تجني عواقبه ... همّاً ونهرب والآجال في الطلب

---

١ يعني أبا الفرج الببغاء .

٢ توفي أبو المكارم بن سيف الدولة سنة ٣٥٤ (أخبار سيف الدولة ٢٦٣) .

٣ النوب : المصائب ، مفردها نوبة ، أما النائبة ، وهي المصيبة أيضاً ، فجمعها نائبات ونوائب .

١٥١

سيف الدولة يقيم الفداء مع الروم

على شاطئ الفرات

قال : وكان سيف الدولة أقام الفداء[١] بشاطئ الفرات في سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، فأنفق عليه خمسمائة ألف دينار ، وأخرج كلّ من قدر على إخراجه من أسارى المسلمين من بلد الروم ، واشترى كل أسير بثلاثة وثمانين ديناراً وثلث روميّة ، من ضعاف الناس[٢] ، فأمّا الجلّة ممّن كان أسيراً ، ففادى بهم رؤساء كانوا عنده أسرى من الروم .

وكانت الحال هائلة فيما أخبرني جماعة حضروا ، يبقى فخرها وثوابها له .

فقال أبو الفرج قصيدة في ذلك ، أنشدنيها ، أوّلها :

ما المال إلاّ ما أفاد ثناءً ما العزّ إلاّ ما حمى الأعداءَ

[فقال فيها ، في ذكر الفداء][٣] :

وفديت من أسْرِ العدوّ معاشراً لولاك ما عرفوا الزمان فداء
كانوا عبيد نداك ثم شريتهم فغدوا عبيدك نعمة وشراء
والأسر إحدى الميتتين وطالما خلدوا به فأعدتهم أحياء [٨١ ط]
وضمنت نفس أبي فراس للعلا إذ منه أصبحت النفوس براء
ما كان إلا البدر طال سراره ثم انجلى وقد استتم بهاء
يوم غدا فيه سماحك يعتق الـ أسراء منك ويأسر الأمراء

---

١ الفداء : مبادلة الأسرى .

٢ في ط : من ضعفاء المسلمين .

٣ الزيادة من ب .

١٥٢
رأي أحد القضاة في الخليفة المقتدر

جرى في مجلس أبي[1] يوماً ذكر المقتدر بالله وأفعاله ، فقال بعض الحضّار : كان جاهلاً .

فقال أبي : مَه ، فإنّه لم يكن كذلك، وما كان إلا جيّد العقل، صحيح الرأي ، لكنّه كان مؤثراً للشهوات .

ولقد سمعت أبا الحسن عليّ بن عيسى يقول ، وقد جرى ذكره بحضرته في خلوة : ما هو إلاّ أن يترك هذا الرجل النبيذ خمسة أيّام متتابعة ، حتى يصحّ ذهنه ، فأخاطب منه رجلاً ما خاطبت أفضل منه ، ولا أبصر بالرأي ، وأعرف بالأمور ، وأسدّ في التدبير ، ولو قلت إنّه إذا ترك النبيذ هذه المدّة ، في أصالة الرأي ، وصحّة العقل كالمعتضد والمأمون ، ومن أشبههما من الخلفاء ، ما خشيت أن أقع بعيداً ، وما يفسده غير متابعة الشرب ، ولا يخبّله سواها .

---

١ أب المؤلف : أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم ، القاضي التنوخي ، راجع ترجمته في معجم الأدباء (٥ / ٣٣٢) . وقد أوردنا قسماً من أخباره في ترجمة ولده المحسن التي أثبتناها في صدر هذا الجزء .

١٥٣

المؤتمن أبو القاسم سلامة

يتحدّث عن صحّة تفكير الخليفة المقتدر

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق ، قال : سمعت المؤتمن أبا القاسم سلامة [١] ، أخا نجح الطولوني [٢] ، يقول :

اجتمع عليّ بن عيسى [٣] وعليّ بن محمد الحواريّ [٤] ، ونصر القشوري [٥] ، وأنا معهم ، على رأي عقدناه في بعض الأمور الكبار ، التي حدثت في أيّام المقتدر .

فلما صحّ الرأي عندنا ، وتقرّر في أنفسنا دخلنا على المقتدر فعرضناه [٩١ ب] عليه ، واستأذنّاه في إمضائه .

فقال لنا : هذا خطأ في الرأي ، والصواب كيت وكيت .

ففكّرنا فيما قال ، فوجدنا الصواب معه ، وقد خفي علينا ، فرجعنا عن رأينا لرأيه ، وعملنا عليه .

---

١ أبو القاسم سلامة الطولوني : أخو نجح الطولوني ، كان من حجاب المقتدر ، وعينه القاهر حاجباً عند استتار علي بن يلبق وهرب محمد بن ياقوت (تجارب الأمم ١ / ٢٦٥) وأنيط به أمر إصلاح الرؤوس المقطوعة وحفظها في خزانة الرؤوس (تجارب الأمم ١ / ٢٦٨) وأمر الخليفة بأن تجرى في دار سلامة مناظرة أبي بكر بن مقسم الذي ابتدع قراءة لم تعرف للقرآن (تجارب الأمم ١/٢٨٥) وأصبح سلامة وعيسى المتطبب في عهد القاهر أهم رجلين في المملكة ، وعندما قبض على القاهر وسمل ، استتر سلامة (تجارب الأمم ١/٢٨٨) .

٢ نجح الطولوني : أخو سلامة الحاجب ، ولي شرطة بغداد سنة ٣٠٧ (تجارب الأمم ١/٦٩) . وفي السنة ٣١٢ أعيدت إليه ولاية أعمال المعاون بأصبهان (تجارب الأمم ١/١٣٩) .

٣ علي بن عيسى : انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٤ من النشوار

٤ علي بن محمد الحواري : انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ٦٣ من النشوار

٥ نصر القشوري : انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ٨٣ من النشوار .

١٥٤

حديث القاضي أبي طالب ابن البهلول

مع الخليفة المقتدر

حدّثني أبو الحسن ، قال حدّثني القاضي أبو طالب ابن البهلول[١] ، قال :

حضرت في بعض أيّام المواكب ، باب دار الخلافة ، فوقفت في طيّاري ، والقضاة في طيّاراتهم ، والقوّاد ، والكتّاب ، نتوقّع الإذن .

فاستُدْعيتُ وحدي من بين القضاة ، فدخلت على المقتدر ، فوجدت أبا عليّ بن مقلة ، قائماً بين يديه ، وهو الوزير إذ ذاك .

فقال لي المقتدر [بهذا اللفظ والإعراب][٢] : قد كان أبوك عَضُداً ، وأنت بحمد الله ، خلَفٌ منه ، وقد ترى كلَبَ غلماني هؤلاء عليّ ، ومطالبتهم إيّاي بالأموال ، ولو قد فقدوني لتمنّوا أيّامي ، وقد عزمت على بيع ضياعي النمروديّات بالأهواز[٣] ، فتكتب إلى خليفتك على القضاء بها ، في الاجتماع مع أحمد بن محمد البريديّ[٤] على بيع ذلك ، والمعاونة فيه .

فقلت : إذا كان الأمر من أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، بهذا الموضع من العناية ، خرجت أنا فيه .

فقال : لسنا نكلّفك ذلك ، ولكن اكتب إلى خليفتك فيه .

قال : فخرجت ، وامتثلت أمره ، وكاتبت أبا القاسم عليّ بن محمد

---

١ انظر ترجمته في حاشية القصة ١/١٣٧ من النشوار .

٢ الزيادة من ط .

٣ هذه الضياع ورد ذكر بيعها في القصة ١/١١٩ من النشوار .

٤ هو أبو عبد الله البريدي : انظر ترجمته في حاشية القصة ١ / ٤ من النشوار .

التنوخيّ[1] ، وكان يخلُفُني إذ ذاك ، على كور الأهواز ، وقصصت عليه ما جرى .

ومضت الأيّام ، وصُرِفَ ابن مقلة ، بأبي القاسم سليمان بن الحسن بن مخلَد [٨٢ ط] فأنفذ أبا الحسن بن الحرث صاحبه إلى الأهواز ، صارفاً للبريديّ ، فزاد على من كان اشترى الضياع مالاً عظيماً .

وكتب أليّ أبو القاسم التنوخي[2] ، إنّه[3] قد استثنى من المال بجملة عظيمة لنفسه ، وخنَسها[4] .

وكانت في نفسي على ابن الحرث موجدة ، فأسررت ذلك في نفسي .

وانحدرت في يوم موكب على رسمي ، وكنّا في طيّاراتنا ، إذ خرج خلفاء[5] الحجّاب يطلبونني وحدي .

فصعدت ، والقضاة كلهم محجوبون ، فدخلت على المقتدر ، وبحضرته سليمان[6] ، وعليّ بن عيسى ، وكان يسدّده ، ويصل معه ، ويخاطب ويتخاطب على الأمور .

فقال لي المقتدر : قد أحمدنا ما كان من خليفتك على القضاء بالأهواز ، فيما كنّا تقدمنا به في أمر النيرمذيات[7] ، وقد كتب ابن الحرث إنّه قد زاد على المبتاعين زيادة قبلوها ، وامتنعوا عن أدائها إلاّ بعد أن أقول بلساني

---

١ هو والد المحسن مؤلف هذا الكتاب .

٢ في ب وط : وكتب إلى أبي القاسم التنوخي .

٣ أي أبو الحسن بن الحرث .

٤ خنس : ستر .

٥ في ط : خلفنا .

٦ يعني الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد .

٧ في ط : الهرميات ، وقد سبق أن سماها في صدر القصة : النمروديات .

إنّي قد أمضيت البيع ، وإنّي لا أقبل بعدها زيادة ، ولا أفعل هذا ، فاكتب إلى خليفتك بأنّي قد قلت ذلك ، وأن يسجّل لهم بما ابتاعوه .

فأردت أذيّة ابن الحرث [٩٢ ب] فقلت يحتاج في المكاتبة إلى ذكر مبلغ الزيادة .

فالتفت ، فنظر إلى عليّ بن عيسى نظر مُنْكِر ، فرأيته يرتعد ، وقال له : مبلغ الزيادة كذا وكذا .

فقال لي : اكتب إلى خليفتك ، بأنّها كذا وكذا .

فدعوت له ، وانصرفت .

فلما ولّيت ، ثقّلت في مشيتي لأسمع ما يجري ، فسمعته يقول لعليّ بن عيسى : أيّ شيء أقبح من هذا ؟ كأنّه أنكر لِمَ لمْ يَعْرِف مبلغ الزيادة أوّلا ، فيذكرها لي من غير أن أحتاج إلى استدعاء علمها منه .

قال : وكرّر الإنكار ، قال : أيّ شيء أقبح من هذا ؟ وأخرج عن الأدب فيه ؟ تحقّقاً برسم الملوك في أن يتكلّموا هم بجميع ما يحتاج إليه ، في جميع الأمور ، من غير تقصير يُحْوِجُ المخاطَبَ إلى مطالبتهم بالزيادة في البيان .

وأومأ في آخر كلامه ، إلى أنّي إن ذكرت ذلك عنه للناس ، غَضّ منه ، ومن الملك .

فسمعت عليّ بن عيسى ، يقول له : يا أمير المؤمنين ، هذا خادمك ، وابن خادمك ، وغذيّ نعمتك ، ونشو دولتك ، ليس مثله من ظُنّ به هذا .

١٥٥

الخليفة المعتضد يتنبأ بأن ضياع الدولة

يجري على يد ولده المقتدر

حدّثني أبو عليّ الحسن بن محمد الأنباري الكاتب [قال : سمعت دلويه الكاتب][١] ، يحكي عن صافي الحرمي الخادم[٢] ، مولى المعتضد ، إنّه قال :

مشيت يوماً بين يدي المعتضد ، وهو يريد دور الحرم ، فلما بلغ إلى باب دارشغب أمّ المقتدر ، وقف يتسمّع ويطّلع من خلل الستر ، فإذا هو بالمقتدر ، وله إذ ذاك خمس سنين أو نحوها ، وهو جالس وحواليه مقدار عشر وصائف من أقرانه[٣] في السنّ ، وبين يديه طبق فضّة ، فيه عنقود عنب ، في وقت فيه العنب عزيز جداً ، والصبيّ يأكل عنبة واحدة ، ثم يطعم الجماعة عنبة عنبة ، على الدور ، حتى إذا بلغ الدور إليه أكل واحدة مثلما أكلوا ، حتى فنِيَ العُنْقود ، والمعتضد يتمزّق غيظاً .

قال : فرجع ، ولم يدخل الدار ، ورأيته مهموماً .

فقلت : يا مولاي ، ما سبب ما [٨٣ ط] فعلته ؟ وما قد بان عليك ؟

فقال : يا صافي ، والله لولا النار والعار ، لقتلت هذا الصبيّ اليوم ، فإنّ في قتله صلاحاً للأمّة .

---

١ الزيادة من ط ، وهو أبو محمد دلويه كاتب نصر القشوري الحاجب .

٢ صافي الحرمي الخادم : مولى المعتضد ، كان صاحب الدولة كلها ، وإليه أمر دار الخليفة ، وتدل هذه القصة على مقدار علاقة صافي بسيده المعتضد ، ثم بالخليفة المقتدر من بعده ، توفي صافي الحرمي سنة ٢٩٨ ، (المنتظم ٦ / ١٠٨) .

٣ في ط : أترابه .

فقلت : يا مولاي ، حاشاه ، أيّ شيء عمل ؟ أعيذك بالله يا مولاي ، إلعنْ إبليس .

فقال : ويحك ، أنا أبصر بما أقوله ،أنا رجل قد سست الأمور ، وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد ، ولا بدّ من موتي ، وأعلَمُ أن الناس بعد موتي لا يختارون إلاّ ولدي ، وأنهم سيجلسون ابني عليّاً – يعني المكتفي [1]– وما أظن عمره يطول ، للعلّة التي به ، قال صافي : يعني الخنازير التي كانت في حلقه ، فيتلف عن قريب ، ولا يرى الناس إخراجها عن ولدي ، ولا يجدون بعده منهم أكبر من جعفر ، فيجلسونه وهو صبيّ ، وله من الطبع في السخاء ، هذا الذي قد رأيت من أنّه أطعم الصبيان مثلما أكل ، وساوى بينه وبينهم ، في شيء عزيز في [٩٣ب] العالم، والشحّ على مثله في طباع الصبيان، فتحتوي عليه النساء ، لقرب عهده بهنّ ، فيقسم ما جمعته من الأموال ، كما قسم العنب ، ويبذّر ارتفاع الدنيا ويخربُها ، فتضيع الثغور ، وتنتشر الأمور وتخرج الخوارج ، وتحدث الأسباب التي يكون فيها زوال الملك عن بني العباس أصلاً .

فقلت : يا مولاي بل يبقيك الله ، حتى ينشأ في حياتك ، ويصير كهلاً في أيّامك ، ويتأدّب بآدابك ، ويتخلّق بخلقك ، ولا يكون هذا الذي ظننت .

فقال : احفظ عنّي ما أقوله ، فإنّه كما قلت .

قال : ومكث يومه مهموماً .

وضرب الدهر ضربه ، ومات المعتضد ، ووَلي المكتفي ، فلم يطل

---

[1] المكتفي : أبو محمد علي بن المعتضد ، كان من أفاضل الخلفاء ، وفي أيامه ظهر القرامطة ، وهو الذي بنى قصر التاج المشهور على دجلة ببغداد . بويع المكتفي بالخلافة بعد وفاة أبيه المعتضد سنة ٢٨٩ وتوفي سنة ٢٩٥ . (الفخري ٢٥٨) .

عمره ، ومات ، وولي المقتدر ، [فكانت الصورة] [1] كما قال المعتضد بعينها.

فكنت كلما وقفت على رأس المقتدر وهو يشرب ، ورأيته قد سكر ودعا بالأموال ، فأخرجت إليه ، وحُلَّت البِدَرُ [2] ، وجعل يفرّقها على الجواري والنساء ، ويلعب بها ، ويمحقها ، ويهبها ، ذكرت مولاي المعتضد ، وبكيت .

قال : وقال صافي : كنت يوماً واقفاً على رأس المعتضد ، فأراد أن يتطيّب ، فقال : هاتم فلاناً الطِّيبيّ ، — خادم يلي خزانة الطيب — فأُحضر .

فقال له : كم عندك من الغالية ؟

فقال : نيّف وثلاثون حبّاً [3] صينيّاً ، مما عمله عدّة من الخلفاء .

فقال : فأيّها أطيب ؟

قال : ما عمله الواثق [4] .

قال : أحضرنيه .

فأحضره حبّاً عظيماً ، يحمله خدم عدّة ، بدهق ومصقلة [5] ، ففُتح ، فإذا الغالية قد ابيضّت من التعشيب ، وجمدت من العتق ، في نهاية الذكاء .

فأعجبت المعتضد ، وأهوى بيده إلى حوالي عنق الحبّ ، فأخذ من

---

١ الزيادة من ط .

٢ البدرة وجمعها بدر : عشرة آلاف درهم .

٣ الحب : الجرة الكبيرة أو الخابية ، والكلمة لم تزل مستعملة في بغداد ، وتطلق على خابية من الفخار توضع على كرسي في الدار وتملأ بالماء فيترشح منها صافياً رائقاً ، قطرات ، إلى آنية تحت الحب تسمى (البوّاقة) وتلفظ قافها كافاً فارسية .

٤ الواثق (٢٠٠ — ٢٣٣) : هارون بن محمد المعتصم ، من أفاضل الخلفاء العباسيين ، وكان شاعراً فصيحاً ، فطناً لبيباً ، يتشبه بالمأمون في تصرفاته ، وقد أحسن إلى الطالبيين وبرهم ، ولم يقع في أيامه فتح كبير ، ولا حدث مشهور ، (الفخري ٢٣٦) .

٥ الدهق والمصقلة : أداة لحمل ما ينوء به الفرد الواحد ، انظر ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٤ م ٣ .

لطاخته شيئاً يسيراً ، من غير أن يشعّث رأس الحب ، وجعله في لحيته ، وقال : ما تسمح نفسي بتطريق التشعيث على هذا الحب ، شيلوه [1] ، فرُفع .

ومضت الأيّام ، فجلس المكتفي للشرب يوماً ، وهو خليفة ، وأنا قائم على رأسه ، فطلب غالية ، فاستدعى الخادم ، وسأله عن الغوالي ، فأخبره بمثل ما كان [٨٤ ط] أخبر به أباه .

فاستدعى غالية الواثق ، فجاءه بالحبّ بعينه ، ففُتح ، فاستطابه ، وقال : أخرجوا منه قليلاً ، فأُخرج منه مقدار ثلاثين [أو أربعين] [2] مثقالاً ، فاستعمل منه في الحال ما أراده ، ودعا بعتيدة [3] له ، فجعل الباقي فيها ، ليستعمله على الأيّام .

وولي المقتدر الخلافة ، وجلس مع الجواري يشرب يوماً وكنت على رأسه ، فأراد أن يتطيّب ، فاستدعى الخادم ، وسأله ، فأخبره بمثل ما أخبر به أباه وأخاه .

فقال : هات الغوالي كلّها ، [فأحضرت [٩٤ ب] الحبابُ كلّها] [4] ، فجعل يخرج من كل حبّ ، مائة مثقال ، وخمسين ، وأقلّ ، وأكثر ، فيشمّه [5] ويفرّقه على من بحضرته ، حتّى انتهى إلى حبّ الواثق ، فاستطابه .

فقال : هاتم عتيدة ،

فجاءوه بعتيدة ، وكانت عتيدة المكتفي بعينها ، ورأى الحبّ ناقصاً ، والعتيدة فيها قدح الغالية ، ما استعمل منه كثير شيء .

---

١ شيلوه : ارفعوه .

٢ الزيادة من ط .

٣ العتيدة : وعاء يودع فيه الطيب والمشط ونحوهما .

٤ الزيادة من ب .

٥ في ب : فيبثه ، والتصحيح من ط .

فقال : ما السبب في هذا ؟

فاخبرته بالخبر على شرحه ، فأخذ يعجب من بخل الرجلين ، ويضع منهما بذلك .

ثم قال : فرّقوا الحب بأسره على الجواري ، فما زال يخرج منها أرطالاً ، وأنا أتمزّق غيظاً ، وأذكر حديث العنب ، وكلام مولاي المعتضد ، إلى أن مضى قريب من نصف الحبّ .

فقلت له : يا مولاي ، إنّ هذه الغالية أطيب الغوالي وأعتقها ، ولا يعتاض منها ، فلو تركت منها لنفسك ، وفرّقت الباقي من غيرها كان أولى .

قال : وجرت دموعي لما ذكرْتهُ من كلام المعتضد ، فاستحى مني ، ورفع الحبّ .

فما مضت إلاّ سنتين من خلافته ، حتى فنيت تلك الغوالي ، واحتاج إلى أن عَجَنَ غالية بمال عظيم .

١٥٦

يقال إن جميع الغوالي استعملت في الوحل

الذي عملته السيّدة أمّ المقتدر

أخبرني غير أبي عليّ[١] :

إنّ تلك الغوالي كلّها ، وما كان في الخزائن من المسوك والعنابر ، استعمل كلّه في الوحل[٢] الذي كانت السيّدة عملته .

وخبر الوحل مستفيض على ألسنة العوامّ ، فلا وجه للإطالة بذكره .

ورأيت ، أهل العلم والخبرة بأمور الخلافة وأخبارها ، يكذّبون بذلك تكذيباً شديداً ، فلم أورده لهذا السبب .

---

١ يعني الحسن بن محمد الأنباريّ الكاتب .

٢ قصة الوحل الذي عملته السيدة أم المقتدر : إنها أرادت أن تحاكي نساء العامة اللائي يملأن جرارهن من شاطىء النهر ، فأمرت بأن يتخذ لها مثل شكل الشاطىء ، وأن يملأ بالغالية والعنبر وأنواع الطيب ليكون مشبهاً للطين ، وإنها وجواريها مشين حافيات على هذا الطين وملأن جرارهن . وأحسب أن القصة غير صحيحة ، وقد رويت قصة تماثلها عن الرميكية زوجة المعتمد بن عباد اللخمي ملك إشبيلية .

١٥٧

أنموذج من إسراف السيدة أم المقتدر

حدّثني أبو الحسن البرسي ،العامل بالبصرة ،إن بعض بني إسحاق الشيرازي المعروف بالحرقيّ ، ممن كان يعامل أمّ المقتدر ، أسماه هو وأنسيته أنا ، حدّثه : إنّها طلبت منه في يوم يقرب من نيروز المعتضد[١] ، ألف شقّة زهريّة خفافاً جداً .

قال : فبعثتُ[٢] في جمعها ، والرسل تكدّني بالاستعجال ، والقهارمة يستبطؤوني ، حتى تكاملت ، وصرت بها إلى الدار .

فخرجت القهرمانة ، فقالت : اجلس في الحجرة التي برسمك ، واستدع الخيّاطين ، وتقدّم أن يقطعوا ذلك أزراراً على قدر حبّ القطن ، [ويحشونها من الحِرَق ، ويخيطونها ، ليجعل بدل حبّ القطن][٣] ويشرّب دهن البلسان ، وغيره من الأدهان الطيّبة الفاخرة ، وتوقد في المجامر [٨٥ ط] البرام[٤] على رؤوس الحيطان ليلة النيروز بدلاً من حبّ القُطْنِ

---

١ نيروز المعتضد : كان الخراج قبل المعتضد يفتتح في أول النيروز : ٢١ مارس ، وكان ذلك يؤذي المزارعين ، ويضر بهم ، لأن أكثرهم لا يستطيع أن يتصرف في حاصله بحيث يتمكن من أداء الخراج ، فأمر في السنة ٢٨٢ بالكتابة إلى الأعمال كلها ، والبلاد جميعها ، بترك افتتاح الخراج في النيروز العجمي وتأخير ذلك إلى ١١ حزيران ، وسماه : النيروز المعتضدي ، وأنشئت الكتب بذلك في الموصل ، والمعتضد بها ، وأراد بذلك الترفيه عن الناس ، والرفق بهم (الكامل لابن الأثير ٧ / ٤٦٩) .

٢ في ط : فتعبت .

٣ الزيادة من ط .

٤ البرمة : وجمعها برام ، القدر من الحجر ، والظاهر أن هذه المجامر سميت بالبرام لأنها تتخذ من الخزف أو الحجر وتعلق في الحيطان .

والنفط[1] والمجامر الطين .

ففعلت ذلك ، ومضت تلك الثياب الكثيرة الأثمان في هذا .

قال ، وقال لي : كنت أشتري لها ثياباً دبيقيّة ، يسمونها [٩٥ب] ثياب النعال .

وذلك إنها كانت صِفاقاً ، تقطع على مقدار النعال المحذوّة ، وتطلى بالمسك والعنبر المذاب ، وتجمّد ، ويجعل بين كل طبقتين من الثياب ، من ذلك الطيب ما له قوام ، ونحن نفعل بطاقات كثيرة كذا ، وتلفّ بعضها على بعض ، ثم تصمّغ حواليها بشيء من العنبر ، وتلزق حتى تصير كأنّها قطعة واحدة ، وتجعل الطبقة الأوّلة بيضاء مصقولة ، وتخرز حواليها بالإبريسم ، ونجعل لها شُرُكاً[2] ، من إبريسم كلّها ، كالشُّرُك المضفورة من الجلود ، وتلبس .

قال : وكانت نعال السيّدة من هذا المتاع ، لا تلبس النعل إلاّ عشرة أيام ، أو حواليها ، حتى تخلق ، وتتفتّت ، وتذهب جملة دنانير في ثمنها ، وتُرْمى .

فيأخذها الخزّان ، أو غيرهم ، فيستخرجون من ذلك العنبر والمسك فيأخذونه . [وهو يساوي جملة دنانير][3] .

---

١ دونت هذه الكلمة النفط ، ثم محيت بالحبر في ب ، وهي موجودة في ط .

٢ الشرك ، مفردها : شراك : سير النعل على ظهر القدم .

٣ الزيادة من ط .

١٥٨

أنموذج من إسراف الخليفة المقتدر

أخبرني أبو القاسم الجهنيّ :

إنّ المقتدر أراد الشرب على نرجس في بستان لطيف ، في صحن دار من صغار صحونه .

فقال بعض من يلي أمر البستان : سبيل هذا النرجس أن يسمّد قبل شرب الخليفة عليه بأيّام ، فيحسن ويقوى .

فقال هو : ويلك ، يستعمل الخرء في شيء بحضرتي وأريد أن أشمّه ؟

قال : بهذا جرت العادة في كل ما يراد تقويته من الزروع .

فقال : وما العلّة في ذلك؟

قال : لأنّ السماد يحميه ، فيعينه على النبات والخروج .

قال : فنحن نحميه بغير السماد ، وتقدّم ، فسُحِق من المسك بمقدار ما احتاج إليه البستان من السماد ، وسمّد به .

وجلس يشرب عليه يومه وليلته ، واصطبح من غده عليه ، فلما قام ، أمر بنهبه .

فانتهب البستانبانون[١] والخدم، ذلك المسك كله من أصول النرجس ، واقتلعوه مع طينه ، حتى خلّصوا المسك ، فصار البستان قاعاً صفصفاً .

وخرج من المال شيء عظيم في ثمن ذلك المسك .

---

١ البستانبانون : مفرده البستانبان ، وهم خدام البستان ، والمنوط بهم ملاحظة الغراس الموجود فيه ، وقد يقال : الباغبان بدل البستانبان ، وباغ بالفارسية البستان (راجع معجم الأدباء ٦ / ٢٩٠) .

١٥٩

أنموذج من إسراف الخليفة الراضي

حدّثني أبو إسحاق الطبريّ[١] ، غلام أبي عمر الزاهد[٢]، غلام ثعلب[٣]، وكان منقطعاً إلى بني حمدون ، قال : حدّثني أبو جعفر بن حمدون ، قال:

كنّا نشرب مع الراضي بالله يوماً، في مجلس مغمّى[٤] بالفاكهة الحسنة الفاخرة . فغرِض[٥] من الجلوس فيه، فقال : افرشوا لنا المجلس الفلانيّ ، واطرحوا فيه ريحاناً ونَيْلوفَرَ فقط ، طرحاً فوق الحصر ، بلا أطباق ، ولا تعبية في مشامّ ، كما تفعل العامّة، وعجّلوا ذلك الساعة ، لننتقل إليه .

قال : فلم تكن إلاّ لحظة ، حتّى قالوا له : قد فرغنا من ذلك .

فقال لنا : قوموا ، فقمنا معه .

فلما رأى المجلس ، قال للشرابيّة : غيّروا لون هذا الريحان بشيء من الكافور يُسْحَقُ ويطرح فوقه ، فليس [٩٦ ب] هو مليح هكذا .

---

١ أبو إسحاق الطبري : إبراهيم بن محمد بن أحمد ، أحد الشهود ببغداد وأمّ الناس في المسجد الحرام أيام المواسم ، كانت داره مجمع أهل القرآن والحديث ، ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب ١٩/٦ راجع القصة ٧/٦ من النشوار .

٢ أبو عمر الزاهد : غلام ثعلب ، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، كان غزير العلم ، كثير الزهد ، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة، توفي سنة ٣٤٥ المنتظم ٦ / ٣٨٠) .

٣ في ب : تغلب والتصحيح من ط . ثعلب : أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ، أبو العباس المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، كان راوية للشعر، محدثاً ، حجة ، ثقة ، أصيب في آخر حياته بالصمم ، وصدمته فرس فمات ، وأشهر مؤلفاته كتاب الفصيح . ولد سنة ٢٠٠ وتوفي سنة ٢٩١ (الأعلام ١ / ٢٥٢) .

٤ مغمى : مغطى وفي ط : معبأ .

٥ غرض منه : ضجر ومل .

قال : فأقبلوا يجيئون بصواني الذهب ، وفيها [٨٦ ط] الكافور الرباحي [١] المسحوق أرطالاً ، ويطرح فوق الريحان ، وهو يستزيدهم ، إلى أن صار الريحان كالمغطّى ببياض الكافور ، وكأنّه ثوب أخضر ، قد نُدِفَ عليه قُطْنٌ رقيق ، أو روضة سقط عليها ضرائب [٢] الثلج .

فقال حينئذ : حَسْبُكُم .

قال : فقدّرت ما استعمل من الكافور ، كان أكثر من ألف مثقال بشيء كثير .

فشربنا عليه معه ، فلمّا قام ، أمر بنهبه .

فأخذ غلماني منه مثاقيل كثيرة ، لأنّهم كانوا في جملة الخدم والفرّاشين والغلمان الذين نهبوا ذلك .

---

١ الكافور : صمغ شجر ، وأحد أصنافه الرباحي ، ولونه ملمع، يصعد فيكون منه الكافور الأبيض (ابن البيطار ٤ / ٤٢) .

٢ الضرائب : جمع ضريبة القطعة من القطن تنفش ، وجمع ضريب : الصقيع . (محيط المحيط) .

١٦٠

الراضي يأمر لكلّ واحد من ندمائه
بوزن الآجرّة دراهم

سمعت أبا بكر محمّد بن يحيى الصولي[١] ، وأنا إذ ذاك في حدّ الصبيان ، يحكي لأبي ، حكاية طويلة عن الراضي ، فيها شعر له ، وقصّة ، لم تعلَقْ بذهني[٢] كلّها في الحال ، لصغري عن ذلك .

فسأله أبي أن يمليها ، فأملاها على صاحب لأبي كان جالساً بحضرته ، وكتبها على ظهر جزء كان قد قرأه عليه ، فيه أشعار وأخبار غير ذلك ، هو باق عندي ، وحصّلت منها ما بقي في حفظي :

إنّه دخل إلى الراضي ، وهو يبني شيئاً ، أو يهدم شيئاً — أنا الشاكّ — فأنشده أبياتاً ، وكان الراضي جالساً على آجرّة حيال الصنّاع .

قال : كنت أنا وجماعة من الندماء[٣] قيام ، فأمر بالجلوس بحضرته ، فأخذ كلّ واحد منّا آجرة ، فجلس عليها .

واتّفق أنّي أخذت آجرتين ملتزقتين بشيء من اسفيداج ، فجلست عليهما .

---

١ أبو بكر الصولي : محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول ، قال صاحب المنتظم (٦/٣٥٩) : كان أحد العلماء بفنون الآداب ، حسن المعرفة بأخبار الملوك ، وأيام الخلفاء ، ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء ، كان واسع الرواية ، حسن الحفظ ، حاذقاً بتصنيف الكتب ، وكان له بيت عظيم مملوء كتباً ، ونادم جماعة من الخلفاء ، وصنف سيرهم في كتابه الأوراق ، وكان أجداده ملوك جرجان ، خرج أبو بكر الصولي من بغداد في السنة ٣٣٦ لإضاقة لحقته ، فتوفي بالبصرة في تلك السنة .

٢ في ط : بخاطري .

٣ في ط : الجلساء .

فلمّا قمنا ، أمر بأن توزن جرة كلّ واحد منا ، ويدفع إليه بوزنها دراهم ، أو دنانير — الشكّ مني — .

قال : فتضاعفت جائزتي على جوائز الحاضرين ، بتضاعف وزن آجرّتي على آجرّهم .

حدّثني عليّ بن الحسن الحاجيّ[1] ، قال : حدّثنا أبو الحسن العروضيّ ، معلّم الراضي [ونديمه][2] بهذا الحديث ، فذكر مثله ، ولم يذكر تضاعف جائزة الصولي ، إلاّ أنّه قال : كنت أنا وجماعة الندماء .

---

١ في ط : الجراحي .

٢ الزيادة من ط .

١٦١
ختم الراضي الخلفاء في أمور عدّة

وللراضي فضائل كثيرة ، وقد ختم الخلفاء في أمور عدّة ، منها :

انّه آخر خليفة له شعر .

وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش ، والأموال .

[وآخر خليفة بنى][1] .

وآخر خليفة خطب على منبر في يوم جمعة .

وآخر خليفة جالس الجلساء ، ووصل إليه الندماء .

وآخر خليفة كانت نفقته ، وجوائزه ، وعطاياه ، وخدمته ، وجراياته ، وخزائنه ، ومطابخه ، وشرابه ، ومجالسه ، وخدمه ، وحجّابه ، وأموره ، جارية على ترتيب الخلافة الأولى .

وآخر خليفة سافر بزيّ الخلفاء القدماء .

وقد سافر بعده المتّقي ، وسافر المطيع غير سفر ، ولكن ليس[٩٧ ب] كذلك .

---

١ الزيادة من ط .

١٦٢

أنموذج من إسراف المتوكل

حدّثني أبو القاسم الجهنيّ، قال : حدثني أبو محمد بن حمدون ، عن أبيه : إن المتوكّل اشتهى أن يجعل كلّ ما تقع عليه عينه ، في يوم من أيّام شربه ، أصفر .

فنصبت له قبّة صندل مذهّبة ، مجلّلة بديباج أصفر ، مفروشة بديباج أصفر .

وجعل بين يديه الدستنبو [١] والأترج الأصفر ، وشراب أصفر في صواني ذهب .

ولم يحضر من جواريه إلاّ الصفر ، عليهن ثياب قصب [٢] [٨٧ ط]صفر .

وكانت القبّة منصوبة على بركة مرصّصة يجري فيها الماء ، فأمر أن يجعل في مجاري الماء إليها الزعفران على قدر ، ليصفرّ الماء ويجري من البركة ، ففعل ذلك .

وطال [جلوسه] [٣] وشربه ، فنفد ما كان عندهم من الزعفران [٤] ، فاستعملوا العصفر [٥] ، ولم يقدّروا أنّه ينفد قبل سكره ، فيشترون منه ، فنفد .

---

١ الدستنبو فارسية : نوع من الأترج يستعمل للشم ، قاله أحمد تيمور .

٢ القصب : الثوب الرقيق الناعم من الكتان ، والمقصب : الثوب المطرز بشرائط الذهب وهو ما يسمى في بغداد : الكلبدون .

٣ الزيادة من ط .

٤ الزعفران : نبات بصلي زهره أحمر إلى الصفرة ، من فصيلة السوسنيات ، يستخدم للطعام وللحلويات

٥ العصفر : صبغ أصفر اللون .

فلما لم يبق إلا قليل، عرّفوه، وخافوا أن يغضب إن انقطع ، ولا يمكّنهم قصر الوقت من شري ذلك من السوق .

فلما أخبروه أنكر لـمَ لم يشتروا أمراً عظيماً ، وقال : الآن إن انقطع هذا تنغّص يومي فخذوا الثياب المعصفرة القصب ، فانقعوها في مجرى الماء ليصبغ لونه بما فيها من الصبغ ، ففعل ذلك .

ووافق سكره مع نفاد كلّ ما كان في الخزائن من هذه الثياب .

فحسب ما لزم على ذلك الزعفران والعصفر، وثمن الثياب التي هلكت ، فكان [قدر جميعه] [1] خمسين ألف دينار .

ويشبه هذا ما أخبرنا به الجمّ الغفير :

إنّ الحسن بن سهل [2] ، لما زفّ ابنته بوران [3] إلى المأمون ، بفم الصلح [4] ، انقطع بهم الحطب في المطبخ يوم العرس ، أحوج ما كانوا إليه ، فعرّفوه ذلك .

---

١ الزيادة من ط .

٢ الحسن بن سهل ١٦٦ –٢٣٦ : أبو محمد ، وزير المأمون ، وأحد كبار القادة والولاة في عصره ، اشتهر بالذكاء المفرط ، والأدب والفصاحة ، وحسن التوقيعات ، والكرم ، كان من أهل بيت رئاسة في المجوس ، وأسلم هو وأخوه ذو الرياستين الفضل بن سهل ، (الأعلام ٢ / ٢٠٧) .

٣ بوران بنت الحسن بن سهل : زوجة الخليفة المأمون ، من أكمل النساء أدباً وأخلاقاً ، اسمها خديجة ، ولقبها بوران ، قيل إن حفلة زفافها للمأمون بلغت مصاريفها ٥٠ مليون درهم (الأعلام ٢ / ٥٦) .

٤ فم الصلح : بكسر فسكون ، كورة فوق واسط لها نهر يستمد من دجلة على الجانب الشرقي ، يسمى فم الصلح ، وهو نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبّل ، عليه عدة قرى ، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون ، وفيه بنى المأمون ببوران (معجم البلدان ٣ / ٤١٣ و ٩١٧) .

فأمر بالخيش [1] ، فصب عليها الزيت وغيره من الأدهان حتى تشرّبها ، وأمر بإيقاده تحت القدور ، وبثّ الرسل في طلب الحطب .

فاستعمل [2] من ذلك الخيش شيء كثير إلى أن حُمِلَ الحطب .

١٦٣
الوزير المهلبيّ يشتري لمجلس شرابه وردا بألف دينار

وشاهدنا نحن ، أبا محمد المهلبيّ في وزارته ، وقد اشترى في ثلاثة أيام متتابعة ، ورداً بألف دينار ، فطرِحَ في بركة عظيمة كانت له في دار كبيرة ، تعرف بدار البركة ، وشرب عليه ، ونهب .

وكان في البركة فوّارة حسنة ، فطرح الورد فيها ، وفرشه في مجالسه .

وكان لذلك شرح طويل .

---

١ الخيش : نسج خشن من الكتان ، كان يعلق في مجاري الهواء ، ويرش بالماء ، فيبرد ما وراءه ، ومروحة الخيش تشبه الشراع السفينة ، وتعلق في السقف ، وتبل بالماء ، أو ترش بماء الورد ، ويشد بها حبل ، فإذا جذبت بالحبل ، روحت على ما تحتها ، روحة وجيئة ، وهب منها نسيم طيب ، وكانت مستعملة في العراق قبل انتشار الكهرباء ، والعراقيون يسمونها (پانكه) ، ويقال إن أول من أمر بصنع هذه المروحة ، هو هارون الرشيد ، وذكروا لذلك سبباً نقله الغزولي في مطالع البدور (١ / ٦٤) .

٢ في ط : فاشتعل .

١٦٤

أبو القاسم البريدي يشرب على ورد
بعشرين ألف درهم

وشرِبَ أبو القاسم بن أبي عبد الله البريديّ[١] ، بالبصرة ، على ورد بعشرين ألف درهم ، في يوم واحد ، على رخصه هناك ، واسترخاص السلطان لما يشتهيه ، وطرح فيه عشرين ألف درهم خفافاً ، وزنها عشرة آلاف درهم ، وشيئاً كثيراً من قطع الندّ المثاقيل اللطاف ، وقطع الكافور اللطاف ، والتماثيل ، ولعب به [٩٨ ب] شاذكلى[٢] ، وانتهب الفرّاشون الورد ، مع ما فيه من الدراهم والطيب .

وقيل إنّ ذلك المجلس قام عليه بثلاثة آلاف دينار مع جذور المغنّيات ، وثمن الطيب ، وما أنفق على المائدة ، والشراب ، والثلج ، ذلك اليوم .

أخبر بهذا أبو العباس النخّاس المعروف بالشامي ، في الوقت ، وأنا أسمع ، وأرانا من الدراهم شيئاً ، وذكر إنّه انتهبها مع الغلمان .

---

١ أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي : راجع ترجمته في حاشية القصة ١/١٠٠ من النشوار .

٢ شاذكلى ، وقد تكتب شاذكلاه : لون من ألوان المرح وقت الورد ، انظر ما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي ج ٥ م ٣ .

١٦٥

كان أبو العباس الشامي نخاساً

فأصبح قوّاداً

وكان هذا الشاميّ[١] أمّة وحده في مذهبه ، فإنّه كان يصحب أبا عبد الله البريديّ ، على طريق التنخّس ، ويشتري الجواري السواذج[٢] والمغنّيات فيبيعهنّ عليه .

فربما كره جارية فردّها عليه ، وما دار بينهما ميزان .

ثم اتّسع [٨٨ ط] ذلك الباب لأبي العبّاس ، فصار يستعمله مع الكافّة ، ثم تجاوزه إلى بذل قيانٍ له ، وإخراجهنّ بحضرته ، وأن يمازِحَهُنّ ، ويلاعبَهُنّ الرجال ، ولا ينكر ذلك .

وربما تجاوزوا هذا إلى غيره، ولا يُنكرُ، ويجتعل[٣] عليه — فيما بلغني — من وجوه كثيرة .

---

١ يعني أبا العباس النخاس المعروف بالشامي .

٢ الجارية الساذجة : التي لا تغني .

٣ يجتعل : يأخذ أجراً .

١٦٦

أبو العباس الشامي النخاس

كان صَفْعاناً طيّباً

وكان[١] ، مع هذا ، صَفْعاناً طيّباً .

فمن ذلك: إنّه دخل يوماً على أبي يوسف البريديّ[٢]، فصفعه بمخدّة ديباج حسنة مثمنة .

فأخذها الشامي ، وعدا ، ليسلّمها إلى غلامه ، فيحملها إلى بيته .

فقال له أبو يوسف : قد أخذتها ! ويلك .

قال : فأردّها أطال الله بقاء سيدنا من حيث جاءت ، ولا آخذها ؟

فقال : لا يا ماصّ كذا ، خذها ، لا بورك لك فيها .

فدفعها إلى غلامه .

---

١ يعني أبا العباس النخاس المعروف بالشامي .

٢ أبو يوسف يعقوب بن محمد البريدي : أحد الاخوة الثلاثة أبناء البريديّ الذين عاثوا في العراق فساداً ، كانت إليه إدارة الأمور المالية ، فحقد عليه أخوه أبو عبد الله، واتهمه باحتجان المال لنفسه ، فقتله سنة ٣٣٢ ، ومات بعده بأشهر (تجارب الأمم ٢/٥٣) .

١٦٧

أبو العباس الشامي النخاس

يطلب من القاضي قبوله للشهادة

ومنها :

إنّه[1] كان مشهوراً بالقيادة ، وكان يعادي بزّازاً بالبصرة ، يعرف بالآدمي .

فبلغه أن القاضي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ، عمل على قبوله[2] ، وما كان لذلك أصل ، وإنّما كان إرجافاً .

فجاء إليه ، وكان منبسطاً عليه بالمزاح ، لمعرفته به .

فقال له : أيها القاضي ، إن رأيت أن تقبل شهادتي .

فقال له القاضي : ما بلغ الأمر إلى قبول مثلك ، فأيّ شيء دعاك إلى هذا ، يا أبا العبّاس ؟ ومازحه .

قال : بلغني أنّك تريد أن تقبل الآدمي ، وأنا وهو [جميعا][3] : كنا نقود على البريديّ ، فاقبلني أنا أيضاً .

فضحك وقال : لا لك أقبل ، ولا له .

---

١ يعني أبا العباس النخاس المعروف بالشامي .

٢ يعني قبوله شاهداً .

٣ الزيادة من ط .

١٦٨

الوزير المهلبيّ والشامي النخاس

وجاء[١] إلى الأهواز ، بجارية له مغنّية ، إلى أبي محمد المهلّبيّ ، وكنت بالأهواز .

وحدّثني بهذا الخبر جماعة ممّن شاهدوه من ندمائه .

فغنّت له ، وكانت تجلس عنده للغناء ، وهو غير حاضر ، دفعات كثيرة .

فقال له المهلّبيّ يوماً ، وقد جرى بحضرته ذكر الجماع ، فأخذ الشاميّ يخبر عن نفسه ، بالعجز عنه ، لأنّه كان قد نيّف على[٢] الثمانين .

فقال له المهلبيّ : فجاريتك يا أبا العباس حبلى ، فمن أين هذا الحبل ؟

فقال : [٩٩ ب] يا سيّدي إذا ولدت ، سمّيت ابنها العبّاس بن الحسن[٣] ، يعرّض بأنّه ابن وزير ، يصلح للوزارة ، وإنّه ابنك .

فضحك والجماعة منه .

---

١ يعني أبا العباس النخاس المعروف بالشامي .

٢ في الأصل : عن .

٣ النكتة في الموضوع : أن الوزير المهلبي اسمه الحسن ، والنخاس يدعي بأن المهلبي والد الحمل الذي في بطن الجارية ، وأنه ابن وزير ، فهو يصلح ليكون وزيراً ، وسماه باسم وزير سابق ، وهو العباس بن الحسن وزير المكتفي والمقتدر .

١٦٩

أبو مخلد يستولي على دست

مجلس معزّ الدولة

أخبرنا أبو عليّ أحمد بن موسى حمولي[١]، صاحب معزّ الدولة، قال: كنّا يوماً قياماً. بحضرة مولانا الأمير - يعني معزّ الدولة - فدخل إليه أبو مخلَد[٢]، فرأى تحته دست ديباج جديد، حسن جداً، قد استعمله[٣] بتُسْتَر، وقام عليه بألفي دينار.

فقال له: أيّها الأمير، تنحَّ عن الدست، فإنّ عليه شيئاً.

فلم يفهم الأمير مراده، وتزحزح عن دسته، فجذبه، وحمل جزءاً منه على كتفه[٤]، وقام.

فقال له الأمير: يا بغّاء[٥] - بكلام الديلم - إلى أين؟

قال: إلى طيّاري أنقل هذا الدست إليه أولاً أولاً كما ترى، ومن يعارضني؟ أو يجسر على ذلك؟

قال: فضحك الأمير، وقال: ما يعارضك أحد.

قال: فنقل، يشهد الله، الدست بآلته كاملاً، على ظهره، إلى طيّاره وأنا أراه، حتى أخذه جميعه.

---

١ أبو علي أحمد بن موسى حمولي: كان أثيراً عند الأمير معز الدولة، وقد بعث به إلى الوزير المهلبي لما عاد من عمان مريضاً سنة ٣٥٢، وتقدم إليه بأن يحتاط على تركته وأسبابه عند وفاته، ففعل ذلك، وقبض على عياله وأولاده (راجع تجارب الأمم ٢/١٩٧).

٢ أبو مخلد عبد الله بن يحيى الطبري: راجع ترجمته في حاشية القصة ١/١ من النشوار.

٣ استعمله: طلب أن يعمل له.

٤ في ط: وحمل منه ما أطاقه على كتفه.

٥ بغاء: على وزن فعال من البغاء، يعني: منكوح.

١٧٠

أبو مخلد يستولي على طنفسة

رآها في مجلس الخليفة المطيع

وكانت لأبي مخلد ، مروءة عظيمة ، وشهوة للفرش خاصة .

فدخل يوماً إلى أمير المؤمنين ، المطيع لله ، فرأى في المجلس طِنْفِسَةً[1] عظيمة خليفيّة من [٨٩ ط] خز ورقم أصفر[2] ، فلما رآها تحيّر .

فقال لأبي أحمد الشيرازيّ ، كاتبه[3] : أُريد أن أعمل بهذه ، كما عملت بدست[4] معزّ الدولة ، وكان قد اشتهر خبرُهُ في نقل الدست على ظهره .

فقال له أبو أحمد : مثل هذا لا يجوز أن يفعل بحضرة الخليفة ، لأن الهزل لا يستعمل مع هؤلاء ، وخاصة هذا مجلس عام ، ولكن أنا أُعيد استحسانك لها ، وأستوهبها لك منه .

فلما تقوّض الموكب ، خرج أبو أحمد ، فوجده جالساً في الدهليز .

فقال : ما هذا أيها الشيخ ؟

قال : ترجع ، وتعرّف مولانا ، أنّي لا أبرح ، والله، إلا بالطّنفسة، وإنّما قبلت رأيك فوقّرته[5] ، وإلاّ كنت قد أخذتها كما أخذت الدست .

---

١ طنفسة : بالضم والفتح والكسر : فارسية : البساط ، وتسمى في العراق : زولية ، . فارسية : زيلو أي البساط (الألفاظ الفارسية المعربة ١١٣ ، ٧٨) .

٢ في ط : بأسطر صفر .

٣ أبو أحمد الشيرازي كاتب الخليفة : راجع ترجمته في حاشية القصة ١٧/١ من النشوار .

٤ الدست : فارسية : صدر المجلس (الألفاظ الفارسية المعربة ٦٣) .

٥ في ط : ورفقت به .

فرجع أبو أحمد ، وأخبره[1] ، الخبر على شرحه ، فأمر بحملها إلى طيّاره . فحملت معه ، ثم انصرف .

أخبرني أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازيّ بذلك .

١٧١

ابن دية الأنماطي يقوّم ثمن قسم من فرش أبي مخلد بمائتي ألف دينار

وسمعت ابن دية الأنماطي ، وهو رئيس هذه الصناعة[2] ببغداد ، ومن لم يشاهد أحد بها من المتاع ما شاهده ، يخبر في مجلسٍ حافلٍ ، إنّه شاهد لأبي مخلد فَرْشاً أخرجه إليه ليقوّمه له .

قال : فقوّمته له ، قيماً استرخصتها جدّاً ، فبلغت القيمة مائتي ألف دينار ، ولا أدري ذلك فَرْشُهُ كُلّهُ ، أو له شيء آخر من الفَرْشِ سواه .

---

١ يعني أخبر الخليفة .

٢ يعني صناعة الأنماط وبيعها وشرائها ، وهي الفرش والطنافس .

١٧٢

الشيخ الخياط وأذانه في غير وقت الأذان

حدّثني القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد[١٠٠ ب]الهاشميّ القاضي :
إنّ شيخاً من التجّار ، كان له على بعض القوّاد مالٌ جليلٌ ، يماطله به .
قال : فعملت على الظلامة إلى المعتضد ، لأنّي كنت إذا جئت إلى القائد حجبني ، واستخفّ بي غلمانه .

وكنت إذا تحمّلت عليه ، فاستشفعت ، لم ينجع فيه . وتظلمت إلى عبيد الله بن سليمان [١] منه ، فما نفعني .

فقال لي بعض إخواني : عليّ أن آخذ لك المال ، ولا تحتاج إلى الظلامة إلى الخليفة [ولا إلى غيره] [٢] ، فقم معي الساعة .

قال : فقمت معه ، فجاء بي إلى خيّاط في سوق الثلاثاء [٣] ، شيخ ، وهو جالس يخيط ، ويقرئ في المسجد ، فقصّ عليه قصّتي ، وسأله أن يقصد القائد فيسأله إزاحة علّتي ، وكانت داره قريبة من موضع الخيّاط [٤] ، فقام معنا .

---

١ الوزير كان في ذلك الحين .

٢ الزيادة من ط .

٣ سوق الثلاثاء : قال ياقوت في معجم البلدان (٣/١٩٣) إن فيه اليوم سوق بز بغداد الأعظم ، وقال إنه سمي سوق الثلاثاء لأنه كانت تقام فيه في كل شهر مرة سوق لأهل كلواذى وأهل بغداد قبل أن يعمر المنصور مدينته ، وذكره ابن بطوطة الذي زار بغداد في عهد السلطان أبي سعيد بن السلطان محمد خدابنده فقال : إن أعظم أسواق الجانب الشرقي في بغداد يعرف بسوق الثلاثاء ، كل صناعة فيه على حدة ، وفي وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الأمثال تضرب بحسنها ، وفي آخره المدرسة المستنصرية (مهذب الرحلة ١/١٧٥) المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٣٤ .

٤ في ب : دار الخياط .

فلما مشينا تأخّرْتُ ، وقلت لصديقي : إنّك قد عرّضت هذا الشيخ ، ونفسك ، وإيّاي ، إلى مكروه غليظ ، هذا إذا حصل على باب الرجل ، صُفع ، وصفعنا معه ، فإنّه لم يلتفت لشفاعة فلان وفلان ، ولم يفكّر في الوزير ، يفكّر في هذا ؟

فضحك الرجل ، وقال : لا عليك ، امشِ واسكت .

فجئنا إلى باب القائد ، فحين رأى غلْمانهُ الخيّاطَ أعظموه ، وأهووا ليقبّلوا يده ، فمنعهم .

وقالوا : ما جاء بك يا شيخ ؟ فإنّ صاحبنا راكب ، فإنْ كان أمر نعمله نحن بادرنا إليه ، وإلاّ فادخل واجلس حتّى يجيء .

فقويت نفسي بذلك ، فدخلنا ، وجلسنا .

وجاء الرجل ، فلما رأى الخيّاط ، أعظمه إعظاماً تامّاً ، وقال : لست أنزع ثيابي ، أو تأمر بأمرك .

فخاطبه في أمري .

فقال : والله ، ما عندي إلاّ [٩٠ ط] خمسة آلاف درهم ، فسله أن يأخذها ، ورهناً من مراكبي الفضّة والذهب ، إلى شهر ، [لأعطيه] [١] .

فبادرت أنا إلى الإجابة ، فأحضر الدراهم ، والمراكب بقيمة الباقي ، فقبضت ذلك .

وأشهدت الخيّاط وصديقي عليه ، بأنّ الرهن عندي ، إلى شهر على البقيّة ، فإن جاز الأجل ، فأنا وكيل ببيعه ، وأخذ مالي من ثمنه ، فأشهدتهما على ذلك ، وخرجنا .

فلما بلغنا إلى موضع الخيّاط ، طرحت المال بين يديه ، وقلت : يا شيخ ،

---

١ الزيادة من ب .

إنّ الله قد ردّ عليّ هذا بك ، فأحبّ أن تأخذ ربعه ، أوثلثه ، أو نصفه ، بطيب من قلبي .

فقال : يا هذا ، ما أسرع ما كافأتني على فعل الجميل بالقبيح ، انصرف بمالك ، بارك الله لك فيه .

فقلت : قد بقيت لي حاجة .

فقال : قل .

قلت : تخبرني عن سبب طاعة هـــذا لك ، مع تهاونه بأكابر أهل الدولة .

فقال : يا هذا قد بلَغْتَ مرادك ، [وأخذت مالك] [1] فلا تقطعني عن شغلي ، وما أعيش منه .

فألححت عليه .

فقال : أنا رجل أؤمّ ، وأقرئ في هذا المسجد ، منذ أربعين سنة ، ومعاشي [١٠١ ب] من هذه الخياطة ، لا أعرف غير هذا .

وكنت منذ دهر ، قد صلّيت المغرب ، وخرجت أُريد منزلي ، فاجتزت بتركيّ كان في هذه الدار ، فإذا قد اجتازت امرأة جميلة الوجه عليه ، فتعلّق بها وهو سكران ، ليدخلها داره ، وهي ممتنعة تستغيث ، وليس أحد يغيثها ، وتصيح ، ولا يمنعها منه أحد [2] ، وتقول في جملة كلامها : إنّ زوجي قد حلف بطلاقي أن لا أبيت عنه ، فإن بيّتني هذا ، أخرب بيتي ، مع ما يرتكبه منّي من المعصية ، ويلحقه بي من العار .

قال : فجئت إلى التركيّ ، ورفقت به ، وسألته تركها ، فضرب رأسي

---

١ الزيادة من ط .

٢ في ب : ولا يمنعه أحد منها .

بدبّوس كان في يده . فشجّني [1] ، وآلمني [2] ، وأدخل المرأة .

فصرت إلى منزلي فغسلت الدمَ ، وشددت الشجّة ، واسترحت .

وخرجت أصلّي العشاء ، فلمّا فرغنا منها ، قلت لمن حضَر : قوموا معي إلى عدوّ الله ، هذا التركيّ ، ننكر عليه ، ولا نبرح ، حتى نخرج المرأة .

فقاموا ، وجئنا ، فضججنا [3] على بابه ، فخرج إلينا في عدّة من غلمانه ، فأوقع بنا الضرب ، وقصدني من بين الجماعة ، فضربني ضرباً عظيماً ، كدت أتلف منه ، فشالني الجيران إلى منزلي كالتالف .

فعالجني أهلي ، ونمت نوماً قليلاً للوجع ، وأفقت نصف الليل ، فما حملني النوم فكراً في القصّة .

فقلت : هذا قد شرب طول ليلته ولا يعرف الأوقات ، فلو أذّنت ، وقع له إنّ الفجر قد طلع ، فأطلق المرأة ، فلحقت بيتها قبل الفجر ، فتسلم من أحد المكروهين ، ولا يخرب بيتها ، مع ما قد جرى عليها .

فخرجت إلى المسجد متحاملاً ، وصعدت المنارة ، فأذّنت ، وجلست أطّلع منها إلى الطريق ، أترقّب منها خروج المرأة ، فإن خرجت ، وإلاّ أقمت الصلاة ، لئلاّ يشكّ في الصباح ، فيخرجها .

فما مضت إلاّ ساعة ، والمرأة عنده ، فإذا الشارع قد امتلأ خيلاً ورجلاً ومشاعل ، وهم يقولون : من هذا الذي أذّن الساعة ؟ أين هو ؟

ففزعتُ وسكتُّ ، ثم قلت [٩١ ط] أخاطبهم ، لعلّي أستعين بهم على إخراج المرأة .

---

١ شجه : ضربه على رأسه فجرحه ، وفي بغداد يقولون : فشخه ، وهي فصيحة بمعنى لطمه ، وأهل القرى في العراق يقولون : فجه ، وهي فصيحة أيضاً بمعنى : شقه .

٢ في ط : ولطمني .

٣ في ط : فصحنا .

فصحت من المنارة : أنا أذَّنْتُ .

فقالوا لي : انزل ، فأجبْ أمير المؤمنين .

فقلت : دنا الفرج ، ونزلت ، فمضيت معهم ، فإذا هم غلمان مع بدر [1] .

فأدخلني على المعتضد ، فلما رأيته هبته ، وارتعدت ، فسكّن منّي .

وقال : ما حملك على أن تغرّ المسلمين بأذانك في غير وقته ، فيخرج ذو الحاجة في غير حينها ، ويمسك المريد للصوم ، في وقت أُبيح له فيه الإفطار ؟

فقلت : يؤمنني أمير المؤمنين ، لأصدق ؟

فقال : [١٠٢ ب] أنت آمن على نفسك .

فقصصت عليه قصة التركيّ ، وأريته الآثار التي بي .

فقال : يا بدر ، عليّ بالغلام والمرأة ، الساعة ، الساعة ، وعُزِلْتُ في موضع .

فلما كان بعد ساعة قليلة ، أُحْضِرَ الغلامُ والمرأةُ ، فسألها المعتضد عن الصورة ، فأخبرته بمثل ما قلته .

فقال لبدر : بادر بها الساعة إلى زوجها مع ثقة يدخلها دارها ، ويشرح له خبرها ، ويأمره عنّي بالتمسّك بها ، والإحسان إليها .

ثم استدعاني ، فوقفتُ ، فجعل يخاطب الغلامَ ، وأنا قائم أسمع .

فقال له : يا فلان ، كم رزقك ؟

قال : كذا وكذا .

قال : وكم عطاؤك ؟

---

[1] الأمير بدر صاحب شرطة المعتضد : قتله المكتفي بعد وفاة سيده المعتضد بخمسة أشهر ، وكان بين المكتفي وبين بدر تباعد ، واستغل الوزير هذا التباعد ودبر عليه فقتله في السنة ٢٨٩ (المنتظم ٦ / ٣٦) .

قال : كذا وكذا .

قال : وكم وظائفك ؟

قال : كذا وكذا .

قال : وجعل يعدّد عليه ما يصل إليه ، والتركيّ يقرّ بشيء عظيم [1] .

قال : فقال له : كم لك جارية ؟

قال : كذا وكذا .

قال : فما كان لك فيهنّ ، وفي هذه النعمة العريضة ، كفاية عن ارتكاب معاصي الله عزّ وجلّ ، وخرق هيبة السلطان ؟ حتّى استعملت ذلك ، وتجاوزته إلى الوثوب بمن أمرك [2] بالمعروف ؟

فأُسقط الغلام في يده ، ولم يحر جواباً [3] .

فقال : هاتم [4] جوالق ، ومداقّ الجص ، وقيوداً ، وغلاًّ ، فأُحضر ذلك .

فقيّده ، وغلّه ، وأدخله الجوالق ، وأمر الفرّاشين ، فدقّوه بمداقّ الجص. وأنا أرى ذلك ، وهو يصيح ، ثم انقطع صوته ، ومات .

فأمر به ، فغرّق في دجلة ، وتقدّم إلى بدر بحمل ما في داره .

ثم قال لي : يا شيخ أيّ شيء رأيت من أجناس المنكر ، كبيراً كان أو صغيراً ، أو أيّ أمر ، صغيراً كان أو كبيراً ، فمر به [5] وأنكِرْهُ ، ولو على هذا ، وأومأ بيده إلى بدر .

---

١ في ط : يقر بشيء بعد شيء .

٢ ب و ط : أمر عليك .

٣ في ب : لم يجب .

٤ هاتم : لغة بغدادية في : هاتوا .

٥ في ب : فأمر .

فإن جرى عليك شيء ، أو لم يقبل منك ، فالعلامة بيننا أن تؤذّن في مثل هذا الوقت ، فإنّي أسمع صوتك فأستدعيك ، وأفعل مثل هذا بمن لا يقبل منك ، أو بمن يؤذيك .

قال : فدعوت له وانصرفت .

وانتشر الخبر في الأولياء والغلمان ، فما سألت أحداً منهم بعدها إنصافاً لأحد ، أو كفاً عن قبيح إلاّ أطاعني ، كما رأيت ، خوفاً من المعتضد .

وما احتجت أن أؤذّن إلى الآن ، [في غير وقت الأذان][1] .

---

١ الزيادة من ط .

١٧٣

مثل على تيقظ المعتضد وعلو همته

حدّثني أبي ، عن أبي محمد ابن حمدون [١] ، قال :

كنت بحضرة المعتضد ليلة على شرب ، إذ جاءه كتابٌ ، فقرأه وقَطَعَ الشرب ، وتنغّص به .

واستدعى عبيد الله بن سليمان [٢] ، فأُحضر للوقت ، وقد كاد يتلف ، وظنّ أنّه قد قبض عليه .

فرمى بالكتاب إليه ، فإذا هو كتاب صاحب خبر السرّ بقزوين إليه ، يقول : إنّ رجلاً من الديلم ، وُجدَ بقزوين [٣] ، وقد دخلها متنكّراً .

فقال لعبيد الله : اكتب [٩٢ ط] الساعة ، إلى صاحبي الحرب والخراج [٤] ، وأقم قيامتهما ، وتهدّدهما [١٠٣ب] عنّي بالقتل ، لمَ تمّ هذا ، وتشدّد في الإنكار ، وطالبهما بتحصيل الرجل ، ولو من تخوم الديلم [٥] ، وأعلمهما [٦] إنّ دمهما مرتهن به ، حتى يحضرانه .

---

١ في ط : حدثني أبو علي محمد بن حمدون ، والصحيح ما ورد في ب ، وأبو محمد هو عبد الله بن أحمد بن حمدون : راجع القصص ١ / ١٤٢ و ١٤٣ و ١٧٧ من النشوار .

٢ الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد : انظر ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٣ قزوين : مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخاً . (معجم البلدان ٤ / ٨٨) .

٤ صاحب الحرب : العامل الذي يلي الإدارة والصلاة ، ويقابله الآن الوالي والمحافظ ، وصاحب الخراج : الذي يلي جباية الضرائب وتنظيم الحساب .

٥ في ط : ولو أقصى بلد الديلم .

٦ في ب : وعلمهما .

وارسم لهما أن لا يدخل البلد مستأنفاً أحد، ولا يخرج ألا بجواز [1]، حتى لا تتمّ حيلة لأحدٍ من الديلم في الدخول سرّاً، وأن يزيدا في الحذر والتيقّظ ، [ونفّذنا الناس إليهم] [2] ، وأفرِطْ في التأكيد .

فقال عبيد الله : السمع والطاعة ، أمضي إلى داري ، فأكتب .

فقال : لا ، إجلس بمكانك ، واكتب بخطّك ، واعرض عليّ .

قال : فأجلسه، وعقله ذاهل، فكتب ذلك، وعرضه عليه ، فلمّا ارتضاه، دعا بخريطة إلى حضرته ، فجعلت الكتب فيها ، وأنفذها .

وقال لعبيد الله : أنفذ معها من يأتيك بخبر وصولها النهروان [3]، وسيرها عنه ، وانْصرِفْ .

فنهض عبيد الله ، وعاد المعتضد إلى مجلس شربه ، وكان قد لحقه تعب عظيم ، فاستلقى ساعة ، ثم عاد يشرب .

فقلت له : يا أمير المؤمنين ، تأذن في الكلام ؟

فقال : نعم .

فقلت : كنتَ على سرور ، وطيب نفس ، فورد خبر قد كان يجوز أن تأمر فيه غداً بما أمرت به الساعة ، فضيّقت صدرك ، وقطعت شربك ، ونغّصت على نفسك ، وروّعت وزيرك ، وأطرت عقول عياله وأصحابه ،

---

١ راجع : أجوزة السفر في العصور الإسلامية ، لميخائيل عواد ، نشر بمجلة الكتاب بالقاهرة م ٢ ج ٧ .

٢ انفردت ب بهذه الجملة ، ولم أفهم معناها ، والظاهر أنها أقحمت بخطأ من الناسخ .

٣ النهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي يسقيها نهر النهروان ، (معجم البلدان ٤/١٤٦) أقول : ونهر النهروان نهر عظيم ينحدر موازياً لنهر دجلة ، وقد اندرس منذ أمد بعيد ، ولا يزال أثره يدل على عظمته ، والمسافر القاصد ايران من بغداد ، يعبره عند اقترابه من مدينة بعقوبة .

باستدعائه في هذا الوقت المنكر ، حتّى أمرته بهذا الذي لو أخّرته إلى غدٍ ، لكان جائزاً .

فقال : يا ابن حمدون ، ليست هذه من مسائلك ، ولكنّا أذنّا لك في الكلام . إن الديلم شرّ أمّة في الدنيا، وأتمّهم مكراً، وأشدّهم بأساً، وأقواهم قلوباً ، ووالله ، لقد طار عقلي فزعاً على الدولة من أن يتطرّق إليهم دخول قزوين سرّاً ، فيجتمع فيها منهم عدّة ، يوقعون بمن فيها ويملكونها ، وهي الثغر بيننا وبينهم ، فيطول أمد ارتجاعها منهم ، ويلحق الملك من الضعف والوهن بذلك أمر عظيم ، يكون سبباً لبطلان الدولة ، وتخيّلت أنّي إن أمسكت عن التدبير ساعة ، إنّه يفوت ، وإنّهم يحتوون على قزوين ، ووالله لو ملكوها ، لنبعوا عليّ من تحت سريري هذا ، واحتووا على دار المملكة ، فما هنّأني الشرب ، ولا طابت نفسي بمضيّ ساعة من زماني فارغة من تدبير عليهم .

فعملت ما رأيت .

١٧٤

التفريط في حفظ حدود أذربيجان

أدّى إلى فساد المملكة

وحدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق ، قال :

كنت حدثاً في الديوان في سنة سبع عشرة وثلثمائة ، والوزير إذ ذاك أحمد بن عبيد الله الخصيبي[١] .

فأنشأنا من الديوان ، كُتُباً إلى ابن أبي الساج[٢] ، عن السلطان ، يأمره فيها بالمسير إلى الحضرة[٣] ، لقتال القرمطيّ[٤] .

فوردت الأجوبة للخليفة ، لا للديوان .

فسمعت مشايخ الكتّاب ، يتحدّثون عنه[٥] ، إنّه كتب يقول : أنا في

---

١ أبو العباس الخصيبي : أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصيب ، وزير المقتدر ، كان عفيفاً متورعاً عن مال السلطان ، وعما في أيدي الرعية ، دس عليه الوزير بن مقلة ، فعزل ، واعتقل، ثم توصل إلى عزل ابن مقلة ، وضمنه هو وسليمان بن الحسن بن مخلد بألفي ألف دينار ، (الفخري ٢٧٠) راجع القصة ٢/٦٣ من النشوار .

٢ الأمير يوسف بن أبي الساج : من كبار رجال الدولة العباسية ، ومن قوادها المشهورين ، قلده المقتدر في السنة ٣١٤ نواحي المشرق ، وأمره بالقدوم إلى بغداد من أذربيجان ، والمسير إلى واسط، ليسير إلى هجر لمحاربة أبي طاهر القرمطي، وحاربه ، فقتله القرمطي سنة ٣١٥، وكان ممدوح السيرة، مشهوراً بالدين والاستقامة والكرم (الكامل لابن الأثير ٨/٥٤ – ٣٨٥).

٣ الحضرة : عاصمة المملكة .

٤ القرامطة : اختلف المؤرخون في القرامطة ، فقال قوم إنهم باطنية ، وقال آخرون إنهم من أتباع الفاطميين ، وقال غيرهم ، غير ذلك ، وقالوا هم عن أنفسهم : إنهم مسلمون ، وإنما أخرجهم اعتداء العمال عليهم ، وقد عاث القرامطة في جزيرة العرب والعراق والشام والحجاز عيثاً شديداً ، راجع الكامل لابن الأثير ٧/ ٤٤٤ – ٥٥٣ و ٨/ ٦٥ – ٦٨٨ .

٥ في ب : فيه .

ثغر أعظم [١٠٤ ب] من ثغور الروم ، وبإزاء سدّ أحصن من سد يأجوج ومأجوج ، وإن أخللت به ، انفتح منه أعظم من أمر القرمطيّ ، ولم يؤمن أن يكون سبباً لزوال المملكة في سائر النواحي [٩٣ ط] .

قال : فأخذ الكتّابُ يتطانزون[١] بذلك ، وقالوا : في أيّ ثغرٍ هو ؟ ومن بإزائه إلاّ الديلم ، وإنّما هم أكَرَةٌ ، ولكنّه يريد ترفيه نفسه ، والخلاف على السلطان .

قال : وأُنشِئَتْ كتُبٌ أُخر ، يؤمر فيها بترك ما هو بسبيله ، والقدوم ، فقدم وخرج إلى القرمطيّ ، فقتله القرمطيّ .

فما مضت إلاّ مديدة يسيرة ، على قتله ، حتّى سار القاسم بن الحسن الداعي العلويّ[٢] ، وماكان الديلميّ[٣] صاحب جيشه ، من طبرستان إلى الريّ ، فأخذاها من يد أصحاب السلطان .

وخرج أسفار بن شيرويه الديلميّ[٤] فسار إلى طبرستان[٥] ، فأخذها منهما .

---

١ الطنز : السخرية .

٢ اسمه الصحيح الحسن بن القاسم الداعي العلوي : استولى على قزوين وزنجان وأبهر وقم، وسار لفتح طبرستان ، فقتل (الكامل لابن الأثير ٨/٨٢ – ١٨٩) .

٣ ماكان الديلمي : صاحب جيش الداعي العلوي ، دخل في معركة في السنة ٣٢٩ فأصابه سهم غرب، فوقع في جبينه ، ونفذ في الخوذة والرأس حتى طلع من قفاه ، وحمل الرأس إلى بخارى ، ثم إلى بغداد (الكامل لابن الأثير ٨/٧٩ – ٣٧٠) .

٤ أسفار بن شيرويه الديلمي : حارب الداعي العلوي وقتله ، واستولى على طبرستان والري وجرجان وزنجان وأبهر وقم وقلعة الموت . قتله مرداويج أحد قواده ، وتملك من بعده سنة ٣١٥ (الكامل ٨/١٧٥ – ٢٦٧) .

٥ طبرستان : جاء في معجم البلدان (٣/٥٠١) : أنها بلاد واسعة يشملها هذا الاسم ، وهي البلاد المعروفة بمازندران ، ومن أعيان بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمل وسارية وشالوس .

فرجع الداعي إليه ، فقاتله ، فقتله أسفار ، وتوطّأ له الأمر ، وسار إلى الريّ[1] ، فقاتله ماكان .

وثار مرداويج الجيلي[2] ، وكان أحد أصحاب أسفار ، به ، فقتله ، واحتوى على عسكره ، وتملّك أعماله ، وأخذ الريّ ، والجبل[3] ، والأعمال .

وتفرّقت أعمال ابن أبي الساج على جماعة أهملوا سياستها .

واستفحل أمر الديلم ، وتزايد على الأوقات ، وضعف السلطان ، وانفتقت الفتوق عليه ، وكثرت الفتن ، وقُتل المقتدر .

وجاء مرداويج إلى أصبهان[4] ليسير إلى بغداد . وقدم شيرج[5] بن ليلى إلى الأهواز ، فتملّكها .

وكان الأمير عماد الدولة عليّ بن بويه[6] يخلفه على الكرج حينئذ ، فاستغوى

---

١ الري : في معجم البلدان (٢/٨٩٢) : إن الري مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن ، كثيرة الفواكه ، والخيرات ، وهي محط الحاج على طريق السابلة ، وقصبة بلاد الجبال ، بينها وبين قزوين سبعة وعشرون فرسخاً .

٢ مرداويج الجيلي : أحد قواد أسفار ، تملك بعد أن قتله ، واستولى على قزوين والري وهمدان وكنكور والدينور وبروجرد وقم وقاشان وأصبهان وجرفا دقان وغيرها ، ثم استولى على طبرستان ، وعمل تاجاً مرصعاً على صفة تاج كسرى وعرشاً من الذهب ، وعزم على إعادة بناء المدائن وإحياء دولة الفرس ، قتله غلمانه سنة ٣٢٣ (الكامل لابن الأثير ٨/٧٩ – ٦٧٠).

٣ الجبل : اسم شامل لإقليم عراق العجم (المشترك وضعا ٩٥) .

٤ أصبهان : في معجم البلدان (١/١٩٢) : أنها بلدة صحيحة الهواء نفيسة الجو ونهرها المسمى زندروذ في غاية الطيب والصحة والعذوبة .

٥ في ب وط : سرح ، والتصحيح من تجارب الامم ١ / ٣٠١ و ٣١٦ و ٣٢٠ و ٢ / ٤ و ١٣٨

٦ الأمير عماد الدولة : أبو الحسن علي بن بويه بن فناخسرو الديلمي ، أول من ملك من بني بويه ، ملك بلاد فارس ، وعاصمته شيراز . ودام ملكه ١٦ سنة وكان الخليفة يخاطبه بأمير الأمراء (المنتظم ٦ / ٣٦٥ والأعلام ٥ / ٧٥) .

من معه ، وسار بهم فملك أرّجان [1] لنفسه .

وهدّده مرداويج بالمسير إليه ، فداراه ، ووعده أن يكون من قِبله ، وأنفذ الأميرَ ركن الدولة [2] ، أخاه ، رهينة إليه .

وسار فأوقع بياقوت [3] ، وهو في سبعمائة نفر من الديلم ، وياقوت في الطمّ والرمّ [4] ، وملك فارس ، وظَفِر بأموالها ، وكنوزها ، فقوي ، وعمل مرداويج على إنفاذ عسكر إليه ، ليأخذه ، ثم يسير إلى بغداد ، فوثب غلمانه الأتراك به ، فقتلوه ، وجاء رجاله إلى الأمير عماد الدولة ، وقد كان ملَكَ فارس ، وطرَدَ ياقوت عنها ، فقوي أمره ، وعظم شأنه .

ومرّت على ذلك سنيّات ، فأنفذ أخاه الأمير معزّ الدولة إلى الأهواز ، ولم يزل أمره يقوى ، حتّى ملك بغداد .

وحصل الأمر على ما قاله المعتضد ، وابن أبي الساج ، وصاروا ملوك الأرض .

وحصلت للديلم ممالك ، غير ممالك الأمراء من بني بويه ، كثيرة ، بعد أن كان الناس يتمثّلون إذا ظُلموا ، فيقولون : [١٠٥ ب] أي شيء خبرنا ؛ في يد الديلم نحن أم في يد الأتراك ؟ فصاروا في ممالكهما وأيديهما .

ونسأل الله السلامة .

---

١ ارجان : مدينة كبيرة كثيرة الخير ، تقع بين شيراز وبين سوق الأهواز ، وبها نخيل وزيتون ، وهي برية بحرية ، سهلية جبلية (معجم البلدان ١/١٩٣) .

٢ ركن الدولة : أبو علي الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي ، من كبار الملوك في الدولة البويهية ، صاحب أصبهان والري وهمذان وجميع عراق العجم ، شقيق عماد الدولة ومعز الدولة ، دام ملكه ٤٤ سنة ، توفي بالري سنة ٣٦٦ (الأعلام ٢/١٩٩) .

٣ ياقوت : من أعاظم قواد الدولة العباسية ، لعب هو وولداه المظفر ومحمد أدواراً هامة في سياسة الدولة ، ونصب حاجباً للمقتدر بعد نصر القشوري ، قتل سنة ٣٢٤ (خلاصة الذهب المسبوك ٢٤١) .

٤ الطم والرم : تعني العدد الكثير .

١٧٥

مثل آخر على تيقظ المعتضد وعلو همته

حدّثني القاضي أبو الحسن محمّد بن عبد الواحد الهاشمي ، قال : حدّثني أبو عليّ الحسن بن إسماعيل بن إسحاق القاضي [1] ، وكان ينادم المعتضد ، ويتجاسر عليه ، قال :

كنّا نشرب يوماً مع المعتضد ، حتّى دخل عليه بدر [2] ، فقال : يا مولاي ، قد أحضر القطّان الذي من بركة زلزل [3] .

قال : فترك مجلس النبيذ ، وقام إلى مجلس في آخر ذلك المجلس ، دونه ، ونحن نراه ونسمع كلامه ، ومدّت بيننا وبينه ستارة ، ولبس قباءً ، وأخذ بيده حربة ، وجلس كالمغضب المهول ، حتّى فزعنا نحن [٩٤ ط] منه ، مع أنسنا به [4] .

وأُدخل إليه شيخٌ ضعيفٌ ، فقال له بصياح شديد : أنت القطّان الذي قلت أمس ما قلت ؟

فغشي على القطّان ، فأمر به فَعُزِلَ ناحية .

فلمّا سكن جاءوه به ، فقال : ويلك ، مثلك يقول ليس للمسلمين

---

١ أبو علي الأزدي ، الحسن بن إسماعيل بن إسحاق القاضي : كان مألفاً لأهل الأدب ، ومعاشراً لأهل الفضل ، وكان فهماً حسن المحاضرة ، مليح النادرة ، جميل الأخلاق ، سمح النفس ، (تاريخ بغداد للخطيب ٢٨٤/٧) .

٢ بدر المعتضدي : انظر ترجمته في حاشية القصة ١٧٢/١ من النشوار .

٣ بركة زلزل : محلة ببغداد بين الكرخ والصراة وباب المحول وسويقة أبي الورد ، منسوبة إلى زلزل الضارب بالعود الشهير ، حفر بركة ووقفها على المسلمين ، فنسبت المحلة باسرها إليها (معجم البلدان ٥٩٣/١) .

٤ في ط : مع قربنا من أنسه .

ناظرٌ في أمورهم ، فأين أنا ؟ وأيّ شغل شغلي ؟

قال : يا أمير المؤمنين، أنا رجل سوقيّ، لا أعرف غير الغزل والقطن ومخاطبة النساء والعامّة، وإنّما اجتاز بنا رجلٌ بايعنا شيئاً كان معه ، فوجدنا ميزانه ناقصاً ، فقلت هذا الكلام ، وعنيت به المحتسب لا غيره .

[فقال له المعتضد : اللهَ ، إنّك أردت به المحتسب ؟] [1] .

فقال : والله ما عنيت غيرَهُ ، وأنا تائب أن أتكلّم بما يشبه هذا .

فقال : يُحْضَرُ المُحْتسبُ [2] ، ويبالغ في الإنكار عليه لمَ غَفلَ عن إنكار مثل هذا ، ويؤمر بتعييره [3] ، وتتبّع [4] الطوّافين ، وأهل الأسواق ، والتعيير عليهم .

وقال للشيخ : انصرف ، لا بأس عليك ، ودخل ، فضحك ، وانبسط ، وعاد يشرب .

فلما حمل عليّ النبيذ ، قلت له : يا مولاي ، تعرف فضولي ، فتأذن لي في أن أقول ؟

فقال : قل .

قلت : كان مولانا في أطيب شرب ، وأتم سرور ، فتركه ، وتشاغل عنه بخطاب كلب من السوقَةِ [5] ، كان يكفيه أن يصيح عليه راجل من رجّالة صاحب الربع [6] صيحة ، ولم يقنع مولانا في أمره بالوصول إلى حضرته ،

---

١ الزيادة من ط .

٢ المحتسب : مأمور من الحاكم لملاحظة سير الأمور، ومن جملة ذلك ملاحظة صحة العيار وضبط الميزان وأسعار البيع .

٣ التعيير : ضبط العيار، وهو ما يوزن به في الميزان، ويوضع معادلا للبضاعة، والكلمة مستعملة حتى الآن في العراق .

٤ في ب : يتبع .

٥ السوقة : الرعية من الناس .

٦ في ط : صاحب المعونة .

حتى غيّر له لبسته ، وشهر سلاحه ، واستقصى خطابه بنفسه ، لأجل كلمة تقول العامة مثلها دائماً ، ولا يميّزون معناها .

فقال : يا حسن ، أنت لا تعلم ما يجرّ هذا الكلام ، إنّ مثل هذا إذا انتشر على ألسنةِ العوامّ ، تلقّفه[1] بعضهم من[2] بعض ، وتجرّأوا عليه ، وربوا على قوله ، حتى يصير منهم كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يبعد أن يولّد ذلك لهم امتعاضاً عند أنفسهم للسياسة والدين ، فتثور الفتن على السلاطين .

وليس شيء أبلغ في حسم ذلك، من قطع مادّته من الأصل في [١٠٦ ب] أوّله .

فإنّ هذا ، ممّا جرى عليه ، قد طارت روحه ، فهو يخرج ، ويحدّث بأضعاف ما لحقه من الإنكار ، وأكثر ممّا شاهده من الهيبة والفخامة، وفوق ما سمعه من المطالبة بموجبات السياسة ، ومرّ الحقيقة ، فينتشر عند العوامّ ما نحن عليه من التيقّظ ، وإنّ كلمة تكلّم بها الرجل منهم لم تخفَ عليّ ، وما[3] غفلت عن مناظرة صاحبها ، وعقابه [فيعرفوني بذلك][4] فيغنيني[5] ذلك عن أفعال كثيرة ، ويحذر جميعهم ، ويضبط نفسه ، وتنحسم مادّة شرّ ، لو جرى ، لاحتيج إلى ضروب من الكلف غليظة في صلاحه ، قد انحسمت بيسير من القول والفعل .

فأقبلنا ندعو له ونطريه [أنا والجماعة][4] .

---

١ في ط : تلقاه .

٢ في ب : على .

٣ في ب و ط : ولا .

٤ الزيادة من ط .

٥ في ب : فيصرفني .

١٧٦

مثل على ضبط المعتضد أمر جنده

وتشدّده في منعهم من التعدّي

حدّثني وكيل كان لأبي القاسم ابن أبي علان ، سلّمه إليّ بتوكيل[١] في ضيعتي بالأهواز ، وكان ابن أبي علان يقول إنّه أسنّ منه ، وكان ثقة ، ما علمت ، يقال له : ذو النون بن موسى ، قال :

كنت غلاماً ، والمعتضد إذ ذاك بكور الأهواز ، فخرجت يوماً من قرية بمناذر[٢] يقال لها شانطف ، أُريد عسكر مكرم[٣] ، ومعي حمار [٩٥ط] أنا راكبه ، وهو مُوقرٌ بطّيخاً ، قد حملته من القرية لأبيعه في البلد ، يعني العسكر .

فلقيني جيش عظيم لم أعلم ما هو ، وتسرع إليّ منهم جماعة ، وأخذ واحد منهم ثلاث بطيخات أو أربعاً ، وحرّك .

فخفت أن ينقص عدده ، فأُتّهم به ، فبكيت ، وصحت ، والحمار يسير[٤] بي على المحجّة ، والعسكر يجتاز عليها .

فإذا بكوكبة عظيمة يقدمها رجل منفرد ، فوقف ، وقال : ما لك يا غلام تبكي وتصيح ؟

---

١ كذا في ب وط : ولعلها يتوكل .

٢ مناذر : اسم بلدتين بنواحي خوزستان ، مناذر الكبرى ، ومناذر الصغرى . (معجم البلدان ٤/٦٤٥) .

٣ عسكر مكرم : بلد مشهور بنواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء الحارث . (معجم البلدان ٣ / ٦٧٦) .

٤ في ب : يصيح ، والتصحيح من ط .

فعرّفته حالي ، فوقف بي ، ثم التفت إلى القوم ، فقال : هيْ ، عليّ بالرجل الساعة .

قال : فكأنّه كان وراءه ، حتى ورد[1] في سرعة الطرف .

فقال : هذا هو يا غلام ؟

فقلت : نعم .

فأمر به [فبطح][2] وضرب بالمقارع ، وهو واقف ، وأنا على حماري ، والعسكر واقف .

وجعل يقول ، وهو يضرب : يا كلب ، يا كذا وكذا ، ما كان معك ثمن هذا البطيخ ؟ ما كان في حالك فضل لشرائه ؟ ما قدرت تمنع نفسك منه ؟ هو مالك ؟ مال أبيك ؟ أليس هو الرجل الذي قد تعب بنفسه في زرعه ، وسقيه ، وماله ، وأداء خراجه ؟ أليس كذا ؟ أليس كذا ؟ يعدّد عليه أشياء من هذا الجنس ، والمقارع تأخذه ، إلى أن ضربه نحو مائة مقرعة [١٠٧ ب] .

ثم أمر برفعه ، فرفع ، وسار ، وسار الناس .

فأخذ الجيش يشتمونني ، ويقولون ، يُضرَبُ فلان بسبب هذا الأكّار الحوزيّ ، لعنه الله ، مائة مقرعة .

فسألت بعضهم عن الخبر ، فقال : هذا الأمير أبو العبّاس .

---

١ في ط : جاءوه به .

٢ الزيادة من ط .

١٧٧

شدّة ضبط المعتضد عسكره

حدّثني عبد الله بن عمر الحارثيّ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني أبو محمد عبد الله بن حمدون ، قال :

كان المعتضد ، في بعض متصيّداته ، مجتازاً بعسكره ، وأنا معه ، فصاح ناطور في قراح قثّاء[1] ، فاستدعاه ، وسأله عن سبب صياحه .

فقال : أخذ بعض الجيش من القثّاء شيئاً .

فقال : اطلبوهم ، فجاءوا بثلاثة أنفس .

فقال : هؤلاء الذين أخذوا القثّاء ؟

فقال الناطور : نعم .

فقيّدهم في الحال ، وأمر بحبسهم . فلما كان من الغد ، أنفذهم إلى القراح ، فضرب أعناقهم فيه ، وسار .

فأنكر الناس ذلك ، وتحدّثوا به ، ونفرت قلوبهم منه .

ومضت على ذلك مدّة طويلة ، فجلست أحادثه ليلة ، فقال لي : يا أبا عبد الله هل يعيب الناس عليّ شيئاً ؟ عرّفني حتى أزيله .

قلت : كلاّ ، يا أمير المؤمنين .

فقال : أقسمت عليك بحياتي ، إلاّ ما صدقتني .

قلت : وأنا آمن ؟

---

[1] القثاء : من فصيلة الخيار ، يسمى في العراق الأوسط : جتّا ، وتسميه العامة في بغداد : تعروزي ، وقد يسميه بعضهم : ترعوزي ، وفي لبنان يسمون الموضع الذي تزرع فيه الخضر : مأته ، وأصلها : مقثأة ، قلبوا القاف إلى همزة جرياً على طريقتهم ، وفي مصر يسمون الشاخص الذي يوضع في المزرعة لطرد الطيور : خيال المآته ، والمآته هنا هي المقثأة محرفة.

قال : نعم .

قلت : إسراعك إلى سفك الدماء .

قال : والله ، ما هرقت دماً منذ وليت هذا الأمر ، إلاّ بحقّه .

قال : فأمسكت إمساك من يتبيّن عليه الكلام .

فقال : بحياتي ما يقولون[1] ؟

قلت : يقولون إنّك قتلت أحمد بن الطيّب[2] ، وكان خادمك ، ولم تكن له جناية ظاهرة .

قال : دعاني إلى الإلحاد ، فقلت له : يا هذا أنا ابن عمّ صاحب الشريعة ، وأنا الآن منتصب منصبه ، فألحد حتى أكون من ؟ وكان قال لي : إن الخلفاء لا تغضب ، فإذا غضبت لم ترضَ ، فلم يصحّ إطلاقه .

فسكتُّ ، سكوت من يريد الكلام .

فقال لي : في وجهك كلام .

فقلت : الناس ينقمون [٩٦ ط] عليك أمر الثلاثة أنفس ، الذين قتلتهم في قراح القثّاء .

فقال : والله ، ما كان أولئك المقتولين هم الذين أخذوا القثّاء ، وإنّما كانوا لصوصاً حُمِلوا من موضع كذا وكذا ، ووافق ذلك أمر أصحاب القثّاء ، فأردت أن أهوّل على الجيش ، بأنّ من عاث من عسكري ، وأفسد

---

١ في ط : ما قلت .

٢ أحمد بن الطيب السرخسي : ويعرف بابن الفرانقي ، أحد العلماء ، الفهماء ، المحصلين ، البلغاء، المتفقفين ، له في علم الأثر الباع الوساع ، وفي علوم الحكماء الذهن الثاقب الوقاد ، وهو تلميذ الكندي ، وله في كل فن تأليف ، كان نديماً للمعتضد ، فأنكر عليه بعض شأنه ، فقتله ، إذ أمر في السنة ٢٨٣ بحبسه في المطبق بعد ضربه مائة سوط ، فمات في الحبس سنة ٢٨٦ (معجم الأدباء ١/١٥٨) .

بهذا القدر ، كانت هذه عقوبتي له : القتل، ليكفّوا عمّا فوقه ، ولو أردت قتلهم لقتلتهم في الحال ، وإنّي حبستهم ، وأمرت بإخراج اللصوص في غد مغطّين الوجوه ، ليقال إنّهم أصحاب القثّاء ، ويقتلون بفعل ذلك .

فقلت : كيف تعلم العامّة هذا ؟

قال : بإخراجي القوم الذين أخذوا القثّاء ، أحياء ، وإطلاقي لهم في هذه الساعة .

ثم قال : هاتم القوم ، فجاءوا بهم ، وقد تغيّرت حالهم من الحبس والضرب .

فقال لهم : ما قصّتكم ؟

فاقتصّوا عليه قصّة القثّاء .

فقال لهم : أفتتوبون من مثل هذا الفعل ، حتّى أطلقكم ؟

فقالوا : نعم .

فأخذ عليهم التوبة ، وخلع عليهم، ووصلهم ، وأمر بإطلاقهم ، وردّ أرزاقهم عليهم .

فانتشرت الحكاية ، وزالت عنه التّهمة [1] .

---

١ انفردت بها ط ، ونقلها صاحب المنتظم ١٢٣/٥ ومعجم الأدباء ١٥٩/١ .
وقد جاء في الحاشية بخط الناسخ ما يلي :
حاشية : قال بعضهم : بعثني أبي إلى الخليفة المعتضد ، فقال لي : اجلس ، فاستعظمت الجلوس بحضرته ، وقلت : إنه لا يسعني ترك الأدب ، فقال : أدبك بالقبول مني ، خير من أدبك بالقيام مع مخالفتي .

١٧٨

بين المعتضد ونديمه ووزيره

حدثني أبي ، عن أبي محمد ، عبد الله بن حمدون ، قال :

قال لي المعتضد ، يوماً ، وقد قُدّمَ إليه عشاء على النبيذ : لقّمني .

قال : وكان الذي قدّم إليه فراريج ، ودرّاريج[1] ، فلقّمته من صدر فرّوج .

فقال : لا ، لقّمني من فخذه . فلقّمته لُقَماً .

ثم قال : هات من الدرّاج ، فلقّمته من أفخاذها .

فقال : ويلك ، هوذا تتنادر عليّ ؟ هات من صدورها .

فقلت : يا مولاي ، ركبتُ القياس ، فضحك .

فقلت له : إلى كم أُضحكك ، ولا تُضحكني ؟

قال : شل[2] المطرح ، وخذ ما تحته .

قال : فشلته ، فإذا بدينار واحد .

فقلت : آخذ هذا ؟

فقال : نعم .

فقلت له : بالله ، هوذا تتنادر أنت الساعة عليّ ؟ خليفة يجيز نديمه بدينار واحد ؟

فقال : ويلك ، لا أجد لك في بيت المال حقّاً أكثر من هذا ، ولا تسمح نفسي أن أعطيك من مالي شيئاً ، ولكن هوذا ، أحتال لك بحيلة ، تأخذ

---

١ دراريج : جمع دراجة : طائر شبيه بالحجل وأكبر منه ، أرقط بسواد وبياض قصير المنقار ويكثر في أواسط العراق وجنوبه .

٢ شل : بغدادية بمعنى ارفع .

فيها خمسة آلاف دينار . فقبّلت يده .

فقال : إذا كان غداً ، وجاء القاسم[1] فهوذا أسارّك حين تقع عيني عليه ، سراراً طويلاً ، ثم ألتفِتُ إليه كالمغضب ، وانظر أنت إليه من خلال ذلك ، كالمخالس لي ، نظر المترثّي .

فإذا انقطع السرار ، فستخرج ، ولا تبرح من الدهليز .

فإذا خرجتَ ، خاطبك بجميل ، وأخذك إلى دعوته ، وسألك عن حالك ، فاشْكُ الفقر والخلّة ، وقلّة حظّك مني ، وثقل ظهرك بالدين والعيال ، وخذ ما يعطيك ، واطلب كل ما تقع عينك عليه ، فإنّه لا يمنعك ، حتّى تستوفي الخمسة آلاف دينار .

فإذا أخذتها فسيسألك عما جرى بيننا ، فاصدقه ، وإيّاك أن تكذبه ، وعرّفه أنّ ذلك ، حيلة منّي عليه ، حتّى وصل إليك هذا ، وحدّثه بالحديث على شرحه ، وليكن إخبارك إيّاه ، بعد امتناع شديد ، وإحلاف منه بالطلاق [٩٧ ط] والعتاق أن تصدقَهُ ، وبعد أن تُخرج من داره ، كلّ ما يعطيك إيّاه .

فلما كان من غد ، حضر القاسم ، فحين رآه ، بدأ يسارِرُني ، وجرت القصّة ، على ما واضعني عليه ، فخرجت ، فإذا القاسم في الدهليز ينتظرني .

فقال لي : يا أبا محمد ، ما هذا الجفاء ؟ لا تجيئني ، ولا تزورني ، ولا تسألني حاجة ، فأقضيها لك ، فدعوت له .

فقال : ما يقنعني إلاّ أن تزورني اليوم ، ونتفرّج .

فقلت : أنا خادم الوزير .

فأخذني إلى طيّاره ، وجعل يسألني عن حالي ، وأخباري ، فاشكو إليه

---

١ يعني القاسم بن عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد .

الخلّة ، والإضاقة ، والدَّين ، وجفاء الخليفة ، وإمساك يده ، فيتوجّع ، ويقول : يا هذا ، مالي مالك ، ولن يضيق عليك ، ما اتّسع عليّ [ولا تتجاوزك نعمة تخلّصت إليّ ، أو يتخطّاك حظّ نازل بفنائي][1] ، ولو عرّفتني لعاونتك ، وأزلت هذا عنك .

فشكرته ، وبلغنا إلى داره ، فصعد ، ولم ينظر في شيء ، وقال : هذا يوم أحتاج أن اختصّ فيه بالسرور بأبي محمد ، فلا يقطعني عنه أحد .

فأمر كتّابه بالتشاغل بالأعمال ، وخلا بي في دار الخلوة ، وجعل يحادثني ويبسطني ، وقُدّمتِ الفاكهة ، فجعل يلقّمني بيده ، وجاء الطعام ، فكانت هذه سبيله ، وهو يستزيدني . فلمّا جلس للشراب ، وقّع لي بثلاثة آلاف دينار مالاً ، فأخذتها في الوقت .

وأحضرني ثياباً ، وطيباً ، ومركوباً ، فأخذت ذلك .

وكانت بين يديّ صينية فضّة ، فيها مغسل فضّة ، وخرداذيّ بلّور[2] ، وكوز وقدح بلّور ، فأمر بحمله إلى طيّاري .

وأقبلت كلما رأيت شيئاً حسناً ، له قيمة وافرة ، طلبته منه .

وحمّل إليّ فرْشاً نفيساً ، وقال : هذا للبنات .

فلما تقوّض المجلس ، خلا بي ، وقال : يا أبا محمد ، أنت عالم بحقوقي عليك ، ومودّتي لك .

فقلت : أنا خادم الوزير .

فقال أريد أن أسألك عن شيء ، وتحلف لي أنّك تصدقني عنه .

فقلت : السمع والطاعة ، فأحلفني بالله ، وبالطلاق ، والعتاق ، على الصدق .

---

١ هذه الزيادة من المنتظم ٥/١٢٥ .

٢ خرداذي بلور : الخرداذي ، فارسية : الخمر ، والكلمة تطلق على اقداح الشراب .

ثم قال لي : بأي شيء سارّرك الخليفة اليوم في أمري ؟

فصدقته عن كل ما جرى ، حرفاً بحرف .

فقال : فرّجت عني ، وأن يكون هذا هكذا ، مع سلامة نيته لي ، أسهل عليّ . فشكرته ، وودّعته . وانصرفت إلى بيتي .

فلما كان من الغد ، باكرت المعتضد ، فقال : هات حديثك . فسقته إلى آخره .

فقال : احتفظ بالدنانير ، ولا يقع لك ، أنّك تعامل بمثل هذا بسرعة[١] .

وحدثني أبو السريّ، محمد بن عمر التازيّ البغداديّ[٢] ، ويعرف بابن عتّاب السقطيّ[٣] ، قال : حدّثني أبو الطيّب واثق بن رافع ، مولى ابن أبي الشوارب ، قال : حدّثني أبو محمد عبد الله بن حمدون ، بهذا الحديث ، فأورده بغير هذه الألفاظ ، والمعنى واحد . إلاّ أنّه ليس في حكاية واثق ، العشاء بالفراريج والدرّاريج ، ولا أنّ المعتضد وهب له ديناراً .

وأوّل حكاية واثق عن ابن حمدون ، قال :

شكوت إلى المعتضد ، ديني وإضاقتي ، فقال : أمّا مالي فلا طمع لك فيه ، ولكن أعمل لك حيلة ، وذكر الحكاية[٤] [٩٨ ط] .

---

١ وردت القصة إلى هذا الحد في المنتظم لابن الجوزي ٥/١٢٥ .

٢ راجع ما أوردناه في حاشية القصة ١/٣٦ .

٣ قوله : يعرف بابن عتاب السقطي ، تحريف من الناسخ ، لأن ابن عتاب السقطي هو الحسين بن أحمد بن عتاب ، أبو عبد الله السقطي ، ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه (٨/٨) .

٤ انفردت بها نسخة ط .

١٧٩

عاشق تسبب في قتل حبيبته وزوجها

ومن الأخبار المفردات ، والاتفاقات التي سمعناها ، وشاهدنا بعضها ، ما أخبرني به أبو القاسم الجهنيّ[١] ، قال :

كان في جواري ببغداد ، امرأة جميلة مستورة ، ولها ابن عمّ يهواها ، كان ربّي معها ، فعدل بها أبوها عنه ، إلى رجل غريب ، زوّجه بها ، فكان ابن العم ، يلزم بابها ، طمعاً فيها ، وأحسّ الزوج بذلك ، فكان يتحرّز ، وكان خبيثاً .

فخرج يوماً في بعض شأنه ، وأرادت المرأة أن تتبرّد ، فنزعت ثيابها ، وجلست عند البئر تغتسل ، وتركت خواتيم ذهب ، كانت في يدها ، عند ثيابها في الدار ، وكانت لطيفة ، وفيها عَقْعَق[٢] مخلّى في الدار ، فأخذ الخواتيم ، وخرج وهي في منقاره ، إلى الباب ، على عادة العقاعق ، في أخذ كلّما يجدونه وخبثه .

فوافق خروجه ، اجتياز ابن عمها ، ورأى الخواتيم ، فسعى خلف العقعق ، وأخذها منه ، ولبسها ، وقعد بالباب ، ليراه زوج المرأة ، فيظنّ أنّه كان عندها ، فيطلّقها ، فيتمكّن هو من تزوّجها .

فجاء الزوج ، فقام ابن العم مسلّماً عليه ، وتعمّد أن يرى الخواتيم في يده ، وانصرف ، فعرفها الزوج ، ودخل ، فرأى امرأته تغتسل ، فلم يشكّ

---

١ وردت القصة في كتاب ذم الهوى لابن الجوزي : ٤٧٩ ، وقد انفردت بها ط .

٢ العقعق طائر يشبه الغراب ، لون ريشه أبيض وأسود ، يتشاءم منه بعض الناس ، قال الشاعر :

إن من صاد عقعقاً لمشوم كيف من صاد عقعقان وبوم

أنّه غُسْلُ جنَابةٍ ، وأنّ ابن العمّ ، قد وطئها .

فقال لجارية كانت معهم : اذهبي في حاجة كذا ، فمضت فيها ، وغلق الباب ، وأضجع المرأة ، ولم يسلها عن شيء ، وقتلها .

وعادت الجارية ، فرأت ستّها مقتولة ، فريعت[1] ، وخرجت ، وصاحت، فبدر[2] الجيران به ، وأهلها ، فقبضوا عليه ، وحُمل إلى السلطان، فقتل بها .

فأخرج ابن العم الحديث ، وكان ذلك سبب توبته ، ولزم العبادة ، وترك الدنيا إلى أن مات .

---

١ الريع والروع : الفزع .

٢ بدر إلى الشيء : أسرع إليه .

١٨٠

كلب يكشف عن قاتل سيده

ومنها[١] : إنّ مبشّر الرومي ، مولى أبي ، حدّثني : إنّه سمعَ مولى كان له قبل أبي ، يعرف بأبي عثمان ، زكريّا المدنيّ ، ويقال له : ابن فلانة ، وكان هو تاجراً جليلاً ، عظيماً ، كثير المال ، مشهوراً بالجلالة ، والثقة ، والأمانة ، يحدّث :

إنّه كان في جواره ببغداد، رجل من أصحاب العصبيّة، يلعب بالكلاب .

فأسحر يوماً في حاجة ، وتبعه كلب كان يختصّه من كلابه ، فردّه ، فلم يرجع ، فتركه .

ومشى ، حتّى انتهى إلى قوم كانت بينه وبينهم عداوة ، فصادفوه بغير حديد[٢] ، فقبضوا عليه ، والكلب يراهم ، فأدخلوه ، فدخل معهم ، فقتلوه ، ودفنوه في بئر في الدار ، وضربوا الكلب ، فسعى ، وخرج وقد لحقته جراحة ، فجاء إلى بيت صاحبه يعوي ، فلم يعبأوا به .

وافتقدت أمّ الرجل ، ابنها ، يومه وليلته ، فتبيّنتْ الجراحة بالكلب ، وأنّها من فعل من قتل ابنها ، وأنّه قد تلف ، فأقامت عليه المأتم ، وطردت الكلاب عن بابها .

فلزم ذلك الكلب الباب ، ولم ينطرد ، فكانوا يتفقّدونه في بعض الأوقات .

فاجتاز يوماً ، بعض قتلة صاحبه بالباب ، وهو [٩٩ ط] رابض ، فعرفه الكلب ، فخمش ساقه ، ونهشه ، وعلق به .

---

١ يعني من الأخبار المفردات ، انفردت بها ط .

٢ بغير حديد : يعني بغير سلاح .

واجتهد المجتازون في تخليصه منه ، فلم يمكنهم ،

وارتفعت ضجّة ، وجاء حارس الدرب ، فقال : لم يتعلّق هذا الكلب بالرجل ، إلاّ وله معه قصّة ، ولعلّه هو الذي جرحه .

وخرجت أمّ القتيل ، فحين رأت الرجل ، والكلب متعلّقاً به ، وسمعت كلام الحارس ، تأمّلت الرجل ، فذكرت أنّه كان أحد من يعادي ابنها ويطلبه ، فوقع في نفسها إنّه قاتل ابنها ، فتعلّقت به ، وادّعت عليه القتل ، وارتفعا إلى صاحب الشرطة ، فحبسه ، بعد أن ضرب ، ولم يقرّ ، ولزم الكلب باب الحبس .

فلما كان بعد أيّام ، أطلق الرجل ، فحين أُخرِجَ من باب الحبس ، علق به الكلب ، كما فعل أوّلاً ، فعجب الناس من ذلك .

وأسرّ صاحب الشرطة ، إلى بعض رجّالته ، أن يفرّق بين الكلب والرجل ، ويتبع الرجل ويعرف موضعه ، ويترصّده ، ففعل ذلك .

فما زال الكلب ، يسعى خلف الأول ، والراجل يتبعه ، إلى أن صار في بيته .

فكبس صاحب المعونة ، الدار ، فلم يجد أثراً .

وأقبل الكلب يصيح ، ويبحث في موضع البئر التي طرح فيها القتيل .

فقال الشرطيّ : انبشوا موضع نبش الكلب ، فنبش ، فوجد الرجل قتيلاً .

فأخذ الرجل ، وضرب ، وأقرّ على نفسه ، وعلى جماعة بالقتل ، فقتل هو ، وطُلب الباقون ، فهربوا .

١٨١

خبأ ماله في برنية

فعجّل ذلك في سرقتها

ومنها[١] : إنّ أبا الحسن ، أحمد بن يوسف الأزرق ، حدّثني ، قال : كان لنا صديق ، مستظهرٌ على الزمان ، قد سلمَ على الحوادث ، عُمرُه كلّه .

فلمّا تواترت الكبسات ليلاً ببغداد، خاف على مالٍ عنده عتيد ، فجعل ثلاثة آلاف دينار عيناً ، في برنيّة[٢] ، وحفر لها في عرض حائط ، كان بين بيتين من داره ، وكانت الحفيرة قريبة من زاوية الحائط ، والزاوية على الطريق ، ومضى على هذا مدّة .

فجاء اللصوص ، ينقبون على داره ، فوقع نقبهم على الزاوية ، فقدّروا أنّ الحائط عرضاً ، فنقبوا في طوله من حيث الزاوية ، فوصلوا إلى البرنيّة ، فأخذوها .

فلما شاهدوا ما فيها اكتفوا به ، وانصرفوا ، ولم يدخلوا الدار .

وتضعضعت حال الرجل .

---

١ يعني من الأخبار المفردات ، انفردت بها ط .

٢ البرنية : إناء من الخزف .

١٨٢

الأمير عماد الدولة بن بويه

تقع عليه حيّة فيجد كنزاً

ومنها [١] : ما حدّثني به أبو الحسن بن مهذب القزويني ، كاتب سوريل ، أحد قوّاد الديلم ، قال :

لما ملك الأمير عماد الدولة ، أحمد بن بويه [٢] ، شيراز ، ظهر له من الكنوز القديمة ، والقريبة ، أمر عظيم ، على أوصاف طريفة .

فكان منها : إنّه دخل مستراح دار الإمارة ، التي يسكنها ، فسقطت عليه حيّة من سقف المستراح [٣] ، وكان أزجاً [٤] عتيقاً ، فارتاع لذلك ، وأمر بنقضه ، فوجد فيه خمسين ألف دينار عيناً .

---

١ يعني من الأخبار المفردات ، انفردت بها ط .

٢ الأمير عماد الدولة : راجع ترجمته في حاشية القصة ١٧٤/١ من النشوار .

٣ المستراح : بيت الخلاء .

٤ الأزج : سقف البيت المعقود بالآجر والجص .

١٨٣

الأمير عماد الدولة يجد كنزاً

في خان مهجور

قال [١] : وكنت قائماً بحضرته [٢] يوماً ، فسُعيَ إليه ببيت في خان في السوق ، وأنّ فيه ودائع عظيمة القدر ، لبعض أصحاب ياقوت [٣] .

فقال لي : امضِ فخذها [١٠٠ ط] .

فجئت ، وفتحت الباب ، وإذا بشيء كثير ، فاستدعيت كاتباً آخر ، وجلسنا نحصي .

فوقعت عيني على بيتٍ في آخر الخان ، مقفلٍ بعدّة أقفال ، قد رثّت ، لعتقها ، ووقع في نفسي أنّ فيه وديعة أخرى لبعض أصحاب السلطان .

فقلت للخانيّ : لمن هذا البيت ، وأيّ شيء فيه ؟

فقال : لا أدري ، إلاّ أنّه مقفل منذ أكثر من ثلاثين سنة .

فقوي طمعي فيه ، فقلت : افتحوه ، ففتحوه ، فلم يجدوا فيه شيئاً .

فاستربت بالأمر ، وقلت : بيت عليه عدّة أقفال ، طول هذه السنين ، فارغ ؟ هذا محال ، فتّشوه .

وفُتّش بدَنُ الحائط ، فلم يجدوا شيئاً .

فقلعت بارية فيه ، وأمرت بالحفر ، فحفر ، ولم نر شيئاً .

وعزمنا على الانصراف ، فوجدنا خمس قماقم مملوءة دنانير ، فحملناها إلى الأمير ، وحدثته بالحديث ، فوهب لي منها ، ألف دينار .

---

١ المتحدث أبو الحسن بن مهذب القزويني ، انفردت بها ط .

٢ حضرة عماد الدولة بن بويه .

٣ ياقوت : راجع ترجمته في حاشية القصة ١ / ١٧٤ من النشوار .

١٨٤

الأمير معزّ الدولة يستخرج كنزاً من المدائن

ومن ذلك[١] : ما أخبرني به الحسين بن محمد بن الحسين الجبائيّ ، قال : حدّثني أبو الحسن الدامغانيّ ، صاحب معزّ الدولة :

إنّه كان جالساً في الدهليز ، في يوم نوبة ، فجاء رجل يصيح : نصيحة .

فقلت له : ما هي ؟

قال : لا أخبر بها إلاّ الأمير .

فدخلت ، فعرّفته ، فقال : هاته ، فأدخلته إليه .

فقال : أنا رجل صيّاد بناحية المدائن[٢] ، وكنت أصيد ، فعلقت شبكتي ، في أسفل جرف بشيء ، ولم أدر ما هو ، فخلّصتها ، فتعذّرت ، فغصت في الماء ، فوجدتها متعلقة بعروة حديد ، فحفرت ، فإذا بقمقم مملوء ، فرددته إلى مكانه ، وجئت أعرّف الأمير .

فقال لي : انحدر الساعة معه ، وأحضرني المال . وردّ الرجل إليّ على حاله .

فانحدرت ، وجئت إلى المدائن العتيقة ، والجرف ، ووجدنا القمقم بحاله ، كما قال الرجل .

---

١ يعني من الأخبار المفردات ، انفردت بها ط .

٢ المدائن : وتسمى الآن سلمان باك ، لأن سلمان الفارسي الصحابي مدفون فيها ، وقبره يزار ، وباك يعني الطاهر ، وتبعد عشرين كيلومتراً عن بغداد على دجلة ، من جنوبيا ، جاء في معجم البلدان (٤ / ٤٤٦) : إن المدائن كانت مسكن الملوك الأكاسرة الساسانية وفتحها العرب سنة ١٦ للهجرة في زمن الخليفة عمر على يد سعد بن أبي وقاص. أقول: ولا يزال إيوان كسرى قائماً في المدائن ، وقد سقط أحد جناحيه .

فتتبّعت نفسي الطلب ، وأمرت بأن يحفروا ، ويطلبوا .

فحفروا ، وأطالوا الحفر كثيراً، فوجدنا ثمانية قماقم أُخر[1] ، مالاً .

فحملت الجميع ، والرجل ، إلى الأمير ، وحدثته بالحديث ، ففرح بذلك ، وقال : أعطوا الرجل من المال عشرة آلاف درهم ، واصرفوه .

فقال الرجل : لا أُريد ذلك ، ولا حاجة لي إليه .

فقال له الأمير : ولمَ ؟

قال : أُريد أن تهب لي الصيد في تلك الناحية ، وتأمر بأن يمنع كلّ أحد من أن يصطاد فيها غيري .

فضحك الأمير ، وجعل يعجب من حماقته . وقال : اكتبوا له بما سأل .

فكُتب له بذلك .

---

[1] القمقم : له مدلولات عدة ، منها الحلقوم ، والجرة ، والوعاء النحاس الذي يسخن فيه الماء ، والقنينة من الزجاج أو الفضة يجعل فيها ماء الورد ويرش على من يراد تعطيره ، والمدلولان الأخيران متعارفان في العراق الآن ، وإن كان الأخير أكثر رواجاً ، يلاحظ أن المؤلف ذكّر القمقم في هذه القصة ، ولكنه أنّثه في القصة ١٨٣/١ .

١٨٥

كردك النقيب الديلميّ

يغتال مستأمناً طمعاً في ماله

ومنها[١] : ما جرى في عصرنا، وأُخبرْتُ به ، من أمر كردك النقيب[٢] :

وذلك ، إنّ معزّ الدولة ، أنفذه إلى رجل بعُمان[٣] ، يقال له النوكاني ، كان قد ملكها عقيب انقراض بني وجيه ، ملوكِها ، فراسله في تسليمها إليه ، وتهدّده بالجيش .

وكان الرجل تاجراً موسراً ، إلاّ انّ أهل البلد ملّكوه ، فملك .

فلمّا جاءته الرسالة، انحلّ ، وأجاب إلى تسليم البلد [١٠١ ط] . وخلع على كردك وردّه .

فاضطرب أهل البلد عليه ، وجيشه ، وثاروا به ، وقبضوا عليه ، وخيّروه موضعاً ينفى إليه ، فاختار البصرة .

وجمع متاعه ، وأمواله ، وصكاك ضياعه وعقاره ، بعُمان ، والبصرة ، وحسابه ، وثبت ودائعه ، وذخائره ، وكلّ ما يملكه ، من قليل ، وكثير ، وعتيد .

قال : وجعله في مركب ، وخطف يريد البصرة ، وقد احتوى مركبه على مالٍ كثير .

---

١ من الأخبار المفردة ، انفردت بها ط .

٢ راجع تجارب الأمم ٢ / ٢١٣ .

٣ عمان : كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند ، حرها يضرب به المثل ، وأكثر أهلها خوارج إباضية . (معجم البلدان ٣/٧١٧)، أقول : وهي الآن سلطنة، وقد قرأت مذكرات طبيب انكليزي أقام فيها سنة ١٩٤٠ قال: إن درجة الحرارة فيها في الليل تبلغ ٥٠ مئوية.

فلقيه كردك في الطريق يريده ، وعنده أنّه بعُمان ، بجواب الرسالة .

فلما رآه طرح إليه ، فعرّفه خبره . فوجده في نفر يسير ، فطمع فيه ، وبات معه في مركبه ، ونقل إليه من غلمانه قطعة .

فلما كان الليل ، قيّده ، وطرحه في البحر ، واحتوى على جميع ما في المركب ، ونقل ، إلى مركبه ، من الجواهر ، والطيب ، وفاخر المتاع ، والجواري ، ما أراد ، وترك الباقي في المركب .

وسار حتّى أتى معزّ الدولة ، فعرّفه ما عمل، وسلّم إليه عقود الضياع[1] ، وثبت الودائع[2] ، واستوهب منه من بقي من الجواري ، وأشياء أرادها أيضاً من المتاع ، فوهبها له .

وطاح دم الرجل .

وقبض الأمير الضياع ، وأمر ببيعها ، فبيعت ، وقد شاهدتُ بيعها .

وبلغني ، أنّ المشترين ، كانوا يستلمون كتب الرجل بشرائها ، فتسلّم إليهم .

---

١ عقود الضياع : العقود التي أثبت فيها ملكية الضياع ، وكانت تقوم مقام سندات الملكية العقارية المسماة الآن في العراق بسندات الطابو .

٢ ثبت الودائع : قائمة بالأموال والعين والجوهر الذي أودعه صاحبه أمانة عند الناس .

١٨٦

ابن الحراصة يضمن القمار والفجور ببغداد
وحماية اللصوص بألفي درهم في كلّ شهر

ومن ذلك[١] : ما كان يجري ببغداد من رجلٍ يعرف بابن الحراصة ، نفّاط ، مع قائد من قوّاد الديلم ، يقال له أبو الحسن شيرمردي بن بلعباس قاضي الديلم .

وكان هذا النفّاط ، مظهراً للقمار ، والعيارة ، والفجور ، وبيع الخمور ، وتأوي إليه اللصوص ، فلا ينكر أحد ذلك عليه ، لأجل شيرمردي ، وضمانه ذلك منه ، بألفي درهم ، في كلّ شهر .

وبلغني : أنّه كان إذا عجز عليه مال الضمان ، قبض على من يجتاز ببابه ، ويدخلهم فيها ، ويقال لهم : إمّا وطئتم ما تريدون ، ووزنتم كذا وكذا ، أو لا ، فزنوه وانصرفوا ، ولا يخرجون إلاّ بذلك .

وكان ينزل الجانب الشرقيّ ، بقرب الجسر ، وباب الطاق ، في الموضع المعروف ببين القصرين ، بدار الجاشياريّ ، على دجلة .

---

١ أي من الأخبار المفردة ، انفردت بها ط .

١٨٧

ابن الحراصة ترتكب الفاحشة في داره علانية

فحدّثني أبو الحسن ، أحمد بن يوسف الأزرق ، قال[١] :

اجتزت بداره[٢] من الشط ، فرأيت في صحنها ، ظاهراً بغير استتار ، نفسين يتجامعان .

فقلت لمن كان معي في السمّاريّة[٣] ، اعدلوا بنا نُنْكر هذا .

فطرحنا إليهما ، وأخذت الجماعة ترجمهما من الشطّ ، وتستنفر الناس .

فقال بعض من معنا : لعنكما الله ، ما كان في الدار بيت تدخلون فيه ؟

فذكرت في الحال ما جاء عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : عند ظهور المنكر ، أشدّ الناس أمراً بالمعروف ، من يقول ألا تواريتما ، أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم .

ونزل إلينا أصحاب ابن الحراصة ، فخفنا منهم على نفوسنا ، وجلسنا في السمّارية ، وانصرفنا [١٠٢ ط] .

فلم يزل كذلك ، إلى أن زاد الأمر ، وأكثر على معزّ الدولة في استقباح ذلك ، فأمر بكبسه ، فهرب ، وتفرّقت جموعه .

---

١ انفردت بها ط .

٢ دار ابن الحراصة : راجع القصة السابقة .

٣ السمارية ، والسميرية : نوع من القوارب .

١٨٨

إمرأة تشوي ولدها وتأكله

ومنها[١] : إنّ أحمد بن إبراهيم الجعفي ، أحد شهودي –كان– بقصر ابن هبيرة[٢] ، وأنا أتقلّدها ، إذ ذاك ، أخبرني :

إنّه شاهد في وقت الغلاء الشديد الذي كان ببغداد ، ونواحيها ، في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، امرأة قد شوت ولدها ، وجلست تأكله[٣] .

ففطن المسلمون بها ، فأخذوها ، وبَقَيَتْ معها حتّى حملوها إلى السلطان ، فقتلها .

وقد أخبرني عدد كثير من أهل بغداد ، أنّ هذا جرى عندهم في هذا الوقت ، وأنّهم شاهدوه .

واختلف عليّ قول بعضهم ، لأنّ فيهم من قال : شوت ابناً لجارة كانت لها ، ومنهم من قال : ابناً لها ، ومنهم من قال : ابنة جارتها .

وأيّ شيء حصل من ذلك ، فهو طريف[٤] عظيم .

---

١ يعني من الأخبار المفردة ، انفردت بها ط .

٢ قصر ابن هبيرة : راجع الحاشية على ترجمة المؤلف .

٣ أدت الحروب المستمرة في العراق إلى عدم القوت ، حتى إن معز الدولة في السنة ٣٣٤ اشترى كراً واحداً من الدقيق بعشرين ألف درهم : تجارب الأمم ٢ / ٩١ ، راجع القصة ١ / ١٨٩ من النشوار و المنتظم ٦ / ٣٤٥ .

٤ بالأصل : طريق ، والطريف : الغريب النادر .

١٨٩

عشرون ألف درهم

ثمن كرّ واحد من الحنطة

حدّثني أبو الحسين بن عيّاش القاضي ، قال : حدّثني أبو عبد الله الموسويّ العلويّ ، البغداديّ :

إنّه باع في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، عند اشتداد الغلاء[١] ، على معزّ الدولة ، وهو محاصر ، مقيم بظاهر بغداد من الجانب الغربيّ[٢] ، كرّا معدّلا[٣] حنطة ، بعشرين ألف درهم .

قال : ولم أخرج الغلّة حتّى تسلّمت المال ، وحصل في داري ، ثم أخرجت الغلّة فاكتالوها ، وأخذوها .

فنعوذ بالله من مثل هذه الأحوال .

---

١ في نسخة ط : الأمر .

٢ كان ذلك في السنة ٣٣٤ (تجارب الأمم ٢/٩٠) .

٣ الكر المعدل : ستون قفيزاً (مفاتيح العلوم ٤٤) .

١٩٠

أبو الفرج الببغاء يمتدح الأمير سيف الدولة

أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المعروف بالببغاء ، لنفسه قصيدته إلى سيف الدولة ، يذكر وَقعة كانت له مع بعض العرب ، وهي :

عدلُ الصوارمِ أعدل الأحكامِ وشبا الأسنّة أكتب الأقلام

أَخلِقْ بمن كفر الغنى أن يغتدي كفرانُهُ سبباً إلى الإعـدام

من كان في الإكرام مفسدة لـه فهوانه أولى مـن الإكرام

هذان البيتان من الأمثال الجياد ، التي يجب أن تسير .

وفي هذه القصيدة أشياء حسان ، منها قوله :

فتركتهم صرعى كأنّك بالظبى عاطيتهم في الروع كأس مدام

متهاجرين عـلى الدنوّ كأنّما أنفت رؤوسهم من[١] الأجسام[٢]

تمّ الجزء الأول

ويتلوه في الجزء الثاني بمشيئة الله :

قد قدّمت في الجزء الأول الحمد لله والثناء عليه وذكرت من الأخبار ما لم تدر ، ممّا لم تجر العادة بكتب مثلها ، ولا ما يكاد أن يتجاوز به الحفظ[٣]

---

١ في الأصل : عن .

٢ هذا البيت انفردت به نسخة ب .

٣ انفردت بها نسخة : ط .

محتويات الكتاب

فهرس أسماء الأشخاص

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق

ك

م

ن

هـ

و

ي

فهرس جغرافيّ

فهرس عمراني عام

ث

ج

ح

خ

د

غ

ف

ق

ك

فهرس الكتب والمراجع

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب = معجم الأدباء

الأعلام : خير الدين الزركلي – الطبعة الثالثة

الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني – طبعة دار الكتب بالقاهرة ١٧ مجلداً

الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني – طبعة بولاق

الألفاظ الفارسية المعربة : أدي شير – المطبعة الكاثوليكية بيروت .

الأنساب : السمعاني – نشر المستشرق د . س . مرجليوث – طبع لندن ١٩١٣ .

إحصاء العلوم : أبو نصر الفارابي – تصحيح عثمان محمد أمين بمطبعة السعادة بمصر ١٩٣١ .

اصطلاحات الصوفية ، الواردة في الفتوحات المكيّة : مذيل لكتاب التعريفات للجرجاني .

تاريخ بغداد : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت – بيروت .

تاريخ الخلفاء : جلال الدين السيوطي .

تجارب الأمم : أبو علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه – تحقيق آمدروز – طبع مصر ١٩١٤ .

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء : أبو الحسن هلال بن المحسّن الصابي – تحقيق عبد الستار أحمد فراج – القاهرة ١٩٥٨ .

التعريفات : السيد الشريف الجرجاني – طبعة اصطنبول ١٢٨٣ .

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية : ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي المعروف بابن البيطار – طبعة بولاق ١٢٩١ .

حكاية أبي القاسم البغدادي : أبو المطهر الأزدي – تحقيق ونشر آدم متز – هيدلبرج ١٩٠٩ .

خزانة الأدب : عبد القادر البغدادي – ٤ مجلدات – طبع بولاق

خلاصة الذهب المسبوك ، المختصر من سير الملوك : عبد الرحمن سنبط قنيتو الإربلي – تحقيق السيد مكي السيد جاسم ١٩٦٤ .

دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربيّة : ١٥ مجلداً ١٩٣٣ .

ديوان أبي فراس : رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه – طبع دار صادر – بيروت ١٩٥٥ .

ديوان البحتري : أبو عبادة الوليد – تحقيق رشيد عطية – بيروت ١٩١١ .
شذرات الذهب ، في أخبار من ذهب –عبد الحي بن العماد الحنبلي ٨ مجلدات– طبعة القدسي .
الشرح الجلي على بيتّي الموصلي : الشيخ أحمد البربير – بيروت ١٣٠٢ .
شرح نهج البلاغة : عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد المدائني ٢٠ مجلداً – طبعة الحلبي بالقاهرة .
صلة الطبري : عريب بن سعيد القرطبي – المطبعة الحسينية بمصر .
الطبيخ : محمد بن عبد الكريم البغدادي – تحقيق الدكتور داود الجلبي – بيروت .
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : محمد بن علي طباطبا المعروف بابن الطقطقا طبعة صادر بيروت .
الفرج بعد الشدّة : أبو عليّ المحسّن التنوخي – طبعة دار الهلال بمصر ١٩١٤
فرج المهموم في مواقع النجوم : رضي الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني – طبع النجف .
فضائل بغداد : يزدجرد بن مهمندار الفارسي – تحقيق ميخائيل عواد – بغداد ١٩٦٢ .
الفهرست : ابن النديم – طبعة غوستاف فلوغل – ليبزك .
فوات الوفيات : ابن شاكر الكتبي – طبع بولاق – مجلدان اثنان .
الكامل في التاريخ : ابن الأثير– عن طبعة المستشرق تورنبرغ– ١٣ مجلداً مع الفهارس – طبع دار صادر ١٩٦٦ .
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : الحاج خليفة – طبعة اصطنبول ٦ مجلدات .
لسان العرب : ابن منظور المصري – طبعة صادر – بيروت .
مجلّة أهل النفط : المجلد الرابع .
مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق : المجلدات ٢ و ٣ و ٥ .
مجلّة المشرق : المجلد الثالث – بيروت .
مروج الذهب : المسعودي– تحقيق محيي الدين عبد الحميد– طبعة الشعب ، القاهرة ١٩٦٦.
المستجاد من فعلات الأجواد : أبو علي المحسّن التنوخي – تحقيق محمد كرد علي ، دمشق .
المشترك وضعاً والمفترق صقعاً : ياقوت الحموي – طبع وستنفلد – ١٨٤٤ .
مطالع البدور في منازل السرور : علاء الدين الغزولي – مطبعة الوطن بمصر١٢٩٩ .

معجم الأدباء : ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب – ياقوت الحموي – طبعة مرجليوث ١٩٢٤ ٧ مجلدات .

معجم البلدان : ياقوت الحموي – طبعة وستنفلد ٦ مجلدات مع الفهارس .

المعجم في أسماء الألبسة عند العرب : رينهارت دوزي – امستردام ١٨٤٥ .

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي – مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٣٤ .

مفاتيح العلوم : الخوارزمي – الطبعة المنيرية .

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – ٥ مجلدات طبعة حيدر آباد الدكن – ١٣٥٧ .

المنجد : الأب لويس معلوف – ط ١٩ – بيروت .

المنظمات البحريّة الإسلاميّة في شرق البحر الأبيض المتوسط : علي محمد فهمي – بالإنكليزية ط/٢ القاهرة ١٩٦٦ .

مهذب رحلة ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، ابن بطوطة – تحقيق أحمد العوامري ، ومحمد أحمد جاد المولى – المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٤ .

نخب تاريخيّة وأدبيّة جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني : جمع المستشرق ماريوس كنار – الجزائر ١٩٣٤ .

نكت الهميان في نكت العميان : صلاح الدين الصفدي – تحقيق أحمد زكي باشا – القاهرة ١٩١٣ .

الهفوات النادرة : غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال الصابي – تحقيق الدكتور صالح الأشتر – دمشق ١٩٦٧ .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – طبع القاهرة ٦ مجلدات .

الولاة والقضاة : أبو عمر محمد بن يوسف الكندي – تحقيق المستشرق رفن كست – بيروت ١٩٠٨ .

يتيمة الدهر، في محاسن أهل العصر : عبد الملك الثعالبي – مجلدان اثنان – أربعة أجزاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – القاهرة ١٩٥٦ .

رموز

= : راجع

ت م : ترجمة المؤلف

الأرقام التي نقش بجانبها نجمة تشير إلى صفحات مقدمة المحقق وترجمة المؤلف.

الأرقام المطبوعة بحروف سوداء تشير إلى التراجم .

الأرقام المثبتة في العمود الأيمن : للصفحات ، والأرقام التالية لها : للقصص .

الفهارس

DAR SADER Publishers
P.O.Box 10 - BEIRUT

THE TABLE-TALK OF A MESOPOTAMIAN JUDGE

BEING THE FIRST PART OF THE

NISHWĀR AL-MUHĀDARAH

OF

ABU 'ALĪ AL-MUHASSIN AL-TANŪKHĪ

Vol. I

EDITED BY

ABOOD SHALCHY
LAWYER

DAR SADER
BEIRUT